

جامعة القدس المفتوحة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

مختارات من الأغاني الشعبية الفلسطينية
(جمع وتقديم)

الأستاذ الدكتور نادي ساري الديك
أستاذ الأدب الحديث ونقده
جامعة القدس المفتوحة
رام الله - فلسطين

Dr. Nadi Sari Aldeek
Ramallah

٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

جامعة القدس المفتوحة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
فلسطين - رام الله - المصيون
ص.ب. ١٨٠٤
ت: ٢٩٨٤٤٩١-٠٢ / ٢٩٥٢٥٠٨-٠٢
ف: ٢٩٨٤٤٩٢-٠٢
بريد الكتروني: sprgs@qou.edu

الطبعة الأولى
٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

عنوان المؤلف:
nadishameem@yahoo.com
الخليوي: 00972 599 948612

تصميم:
توب ديزاين
02-2980138

الفهرست

الإهداء

إلى من شجا فأطربني، وقصّد فألهب مشاعري. (جدّي)

إلى من قدّس العمل حدّ العبادة، وروّى الأرض بعرقه، وغنّى للزيتون حتى الثّمالة، وهمس لليمون وقبّل سنابل القمح بنغمات تدوم، وأطفأ ظمأ العيون، وهيّأ المشاعل لغيرنا، ونسج من كل حدث صوتاً من نغميات العتابا والموّال، وعشق الجمال حتى الممات. (والدي)

إلى امرأة أضاءت قلوبنا بالإيمان،
وحبّبت إلى نفوسنا العطاء والسخاء، وصبِرت على محن الأقدار بثبات،
والدتي التي كانت تردد دوماً بعبرة مخفية وتحنان:
«لصبر صبور الخشب تحت المناشير ويش صبّرك يا خشبٍ غير التقاديرِ»

إلى التي تمنحني الدفء ولا تنتظر شيئاً من الوِداد،
خليلتي التي تظلّلني بمباسم الدحنون والأنفاس الحَرَّى في اللقاء.

إلى الثرى الذي جُبلت منه كلّيات الأجساد، وغدا ينادد الثريا في محاسن شوقه والعناق، واستوعب المنابت كلّها دون عناء، ويحتضن الشاردات منّا ويضمّد لنا الجراح، ويساوي بيننا في مواطنة تعز عند النّداء.

إليكم جميعاً أحني قامتي بعد الواحد الدّيان.

نادي

ملخص:

الفنون الشعبية القولية هي وليدة الفطرة والسليقة (الإنسانيتين)، حيث تظهر براعة (الإنسان) وعفويته في التفاعل مع محيطه والحياة؛ لأنها خرجت من رحم الأمة والشعب. وهي هجين من الثقافة الإبداعية وحياة الناس الطوعية، تخرج إلى الحياة دون تنميق وتعقيد في النمو والاداة.، ونراها بعيدة عن الفن المؤدلج أو المسير حسب الطروحات السياسية والعقدية على حد سواء،. لذا نجدها صادقة مطواعة تتناقلها الألسن وتحفظها الذاكرة على مر الأيام،؛ إذ لم تترك مظهراً من مظاهر الحياة إلاّ وطرقته وجسدته وجعلته مفعلاً بلا عوائق تذكر، وإن وجدنا حالة من الضمور والاضمحلال تعتري الفنون الشعبية القولية نتيجة لمزاحمة الثقافات المصنعة الوافدة، والحرب المستعرة التي تشن ضدها من الداخل والخارج؛ ما يعني أن هذه الفنون -إن لم تُفَعَّل بايجابية ويدافع عنها- تُصبح في مهب الريح مثلها كمثل الأشياء الأخرى التي تتآكل أو تتلاشى مع صراع الأيام،؛ فالتطور التقني والمعرفي -إن لم يسخر لخدمة الثقافة الوطنية بشكل عام والشعبية بشكل خاص- يصبح أداة قاطعة سلبية، يُسخَّر لحرق ما تراكم من معارف وثقافات على مدار الأيام.، خاصة أنّ التقنيات التي نتعامل معها ليست وليدة الفكر الذي نتبناه، و الحضارة العربية التي نعيش في كنفها، وإنما مصنعة في بيئات ليس لها مساس بنا ولا بثقافاتنا، ما يعني أنّ الثقافة المصنعة والمعدة إعدادًا فكرياً خاصاً هي من تنتعش ولها الصدى في هذه الأيام،وهذا هو المطلوب من ثقافة مصنعة ومصدرة لشعوب مستلبة الإرادة والفاعلية في الحياة المعاصرة،، وليس لها حراك يذكر للتأثير في أنماط التفكير الثقافي المحلي، أو الإقليمي أو العالمي، لان المزاحمة تبقى قائمة ما دامت الحياة، لان من مظاهر الحياة الطبيعية، الصراع المتجدد بين الانداد دون النظر إلى التكافؤ في المعطيات والدلالات.

المقدمة:

الموروث الغنائي الشعبي ممتد في الحياة، ومتجذر فيها بأزيلتها وقيمها، والدوافع التي وجد من أجلها، حيث يعالج أموراً ويحاكيها ويدافع عنها ويفعلها كل حسب المنطلق الذي ينطلق منه صاحب النص والمتلقي على حدٍّ سواء. بمعنى؛ ليس هذا التراث المتجدد - إذا جاز التعبير- بعيداً عن الحياة أو غريباً عنها. لذا؛ نجده يتدخل في كل جزئية من جزئيات الحياة، إلاّ أن هذا التراث قد لا يجد رواجاً عند بعض الدارسين للغة وعلومها وآدابها التي تنطلق من رؤى وفلسفات خاصة، وإن كانت هذه الفنون هي وليدة الفنون الإبداعية الأم، أو هي الابن الهجين للفنون الإبداعية المتعارف عليها، والتحرز منها لا يأتي عفوياً، وإنما يعود إلى التنشئة الثقافية والفكرية الإبداعية لمن انتهل من غدران الأدب والفن وعلوم اللغة المؤصّلة،، وهذا مردّه الهاجس الذي يعتري النفس المتأدبة بالأدب الإنساني الذي بني وفق قاعدة فكرية وإبداعية خاصتين،، لا تتماثلان مع قاعدة إبداع الأدب الشعبي، والباحث الذي يسطر هذه السطور واحد من الذين يتوجسون من البحث في ماهية الفنون القولية الشعبية وقيمها، لأسباب متعددة؛ منها ما تربى عليه من ثقافة ومعرفة تنبعان من اللغة الأم وعلومها.

إلاّ أن ما تكتنزه الذاكرة من أشياء تمت وتجسدت منذ الطفولة المبكرة حتى اكتمال الصبا والشباب، ولم يزل كثير منها عالقاً فيها، دفع الباحث إلى الغوص في الفنون القولية، حتى تتم نجدتها من الضياع، بعد أن أخذت عوامل الضعف تدب في الجسد ويؤثر ذلك على الذاكرة، وهذا مرده إلى عوامل داخلية تمس الذات والروح معاً، وخارجية تمس الجسد وتقنياته أيضاً،. بذلك توحدت العوامل الداخلية والخارجية، لإضعاف الذاكرة؛ ما جعل الباحث يستعيد نشاطه تلبية لدعوة المواطنة وتجذراتها في النفس البشرية. والوطن العربي،. لذا بدأت بالتعامل مع النصوص تعاملاً يعتمد على الجنس والدافعية، بمعنى؛ جمعت الفنون القولية حسب موضوعاتها والمناسبة التي قيلت فيها، فكانت الأغاني الخاصة بالطفولة والصبا والشباب والأعراس والختان، وغير ذلك من الموضوعات الأخرى، التي تلازم الانسان في حياته، أو يصنعها في الحياة بشكل عام.

وقد اعتمد الباحث منهجية الجمع والترتيب أكثر من التحليل،؛لأن جمع النصوص في مثل هذه المرحلة أولى من تحليلها، لأنّ جلّ الذين تغنّوا بالنصوص المجموعة فارقوا الحياة إلى ربهم، وبقيت محفوظة في ذاكرتي، لذا ارتأيت أن أجمعها، تكريماً لوالدي وجدي، والمحيط الضيّق الذي تلقفت من أفواههم الأغاني والمواويل الشعبية لكلا الجنسين (النساء والرجال)، على حد سواء، لأني كنت اتسمّع إلى النساء في المواسم المتعددة، علماً ان الباحث اعتمد على ما تختزنه الذاكرة من نصوص قولية مغناة وما اسعفه به بعض

العارفين في هذه الفنون، لان المشورة اضفت الرجاحة على بعض المفردات في النطق، او احلال كلمة مكان الاخرى، لان النصوص المدونة في هذا البحث وغيرها تغنى بها أهلها ومروجوها لحقب متتالية من الزمن، وكان لتلك النصوص وقعها وصداها وأثرها النفسي والبيئي والزماني، حتى أننا نستطيع أن نخرّج منها قيماً تربوية وفكرية هادفة أكثر بكثير من النصوص التي يعتد بها الآن أو ما يسمى بالأدب الرفيع.

فما نراه من نصوص ابداعية متنوعة في الفنون القولية الشعبية لم يأت من فراغ، وانما جاءت به السليقة السليمة والذائقة الفردية أو الجمعية على حد سواء، حتى تتضح الفكرة والفلسفة المرادتان دون مراوغة أو عناء.

وبعد أن دونت ما علق بالذاكرة على مراحلها العمرية المختلفة، وتمت عملية التقسيم والتبويب، عمدنا إلى الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع التي تعين الباحث في هذا المضمار، فكانت أن حققت المراد، أو تسعف الذاكرة من أجل التذكر الايجابي لنصوص قد غابت أو كاد الزمن أن يخفيها. إلاّ أن هذه الدراسات أعانت الباحث عوناً نافعا، بل وأضافت إلى المخزون بعضاً من نصوص مشابهة أو مكملة للموضوع المستطرق، عندها قسمت الدراسة إلى مباحث فرعية، يتقدمها تمهيد يعرّف بالفنون القولية الشعبية ومدى التفاعل معها، وكيف تحاول كثير من المؤسسات المصنعة للثقافة والمصدرة لها أن تميت تلك الفنون أو تحيّدها وتهمّش علاقة المجتمع معها، حتى تتم عملية الاحلال الممنهج لثقافات وافدة مؤدلجة تساعد على افساد الذوق، وتفتيت أواصر اللقيا بين الاجيال القائمة والفنون التي ولدت من هموم ومعاناة وقيم الأجيال السابقة، وكرّست قيماً فاعلة يحاول الناس التفاعل معها وتنميتها تنمية هادفة.

مثل ذلك يعني جعل المجتمع بأجياله المختلفة عرضة للثقافة المصنعة والمؤدلجة حسب مصنعيها ومصدريها، لذا تكون الثقافة المصنعة هادفة إلى تدمير القيم الانسانية في المجتمعات المستوردة لهذه الثقافات المدعومة من المؤسسات الاقتصادية المسيطرة على النظم المجتمعية في العالم المحتكر لرأس المال ومقومات الحياة معاً.

وهذا ما يسمى اليوم بـ « العولمة الكلية»، أي السيطرة الكاملة على مناحي الحياة وقيمها وثقافتها إن شئنا أو أبينا، لذا لا بد من نهضة شمولية لتفعيل دور الثقافات الوطنية والشعبية على وجه الخصوص، وألاّ تبقى الشعوب عرضة للاستلاب والتبعية والموالاة إلى ما يشاء الله.

لذا؛ من يتمعن في الثقافة الشعبية الوطنية في فلسطين يجدها نابعة من صميم البنية الفكرية للشعب على مدار عقود من الزمن، وقد جسدّت كثيراً من الامور الايجابية من عادات وتقاليد وقيم لدى الناس وحافظت عليها، ومن اليسير التمعن فيها واظهارها في الحياة بالشكل الايجابي والمفعل وهي نابعة من مضامين الشعب والأمة التي تحتضن

الشعب وينتمي إليها، وترينا مدى الخصوبة في النتاج وتنوعه على حد سواء.؛ فتكون الإبداعات الشعبية إشراقة إيجابية في حياة الناس، نابعة من الناس وتعود إلى الناس بشرائحهم المختلفة؛ لأنها لا تخاطب شريحة دون أخرى، أو لا تمايز أحداً عن غيره، وإنما تلد من رحم الأمة، وتسري في عقول أبنائها ونفوسهم.

وبعد الإفادة من الذاكرة ومعطياتها (لأن جلّ النصوص القولية المدونة بين دفتي هذه الدراسة هي من خزين الذاكرة للباحث أو بعض الذين استعان بهم لنجدة الذاكرة نفسها من هموم الضياع) وما جمعه الباحثون والدارسون من أشياء مثيلة تسنّد الفكرة المبحوث عنها، لذا جاءت أسطر البحث، وقد جسدت أشياء عمرها سنين طويلة، بعد عناء من البحث والاستدلال والاستقراء، وجاءت الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع التي أعانت الباحث حتى تظهر الدراسة في النور تتوشى بعيون الأمل القادم.

والله ولي التوفيق

نادي

التمهيد:

الثقافة الشعبية هي حصيلة التراكم الحضاري والمعرفي والإنساني لدى بيئة معينة تركتها الأجيال السابقة وتحاول الأجيال القائمة الحفاظ عليها، والأخذ بناصيتها وانمائها وتطويعها حتى يسهل التعاون معها، والاستمرارية التي توصل إلى حتمية مفادها أنّ ما صنعه الأجداد، أو ما تركته الأجيال السابقة يشكل رافعة من روافع النهضة الثقافية الشمولية، إن كنا نسعى إلى ذلك، أو نراها تتباعد عنا كل حسب تطلعاته ومنطلقاته والقيم التي يبحث عنها.

فإذا كانت نوايا الأجيال القائمة البحث في ماهية الثقافة الشعبية والأخذ بها، وإنماءها والبحث عن مقومات عطائها، نجدها غدت طيعة لينة سهلة التناول، ونراها تتناقل عبر الأفواه معبأة بالفكرة التي يطمح القائمون عليها أن يبقوها أو يفعلّوها، وإلاّ نرى المسألة عكسية، ويظهر للعيان أكثر من معنى ودلالة كل حسب طموحه وقيمه.

فالثقافة الشعبية منهل متعدد المشارب والروافد، تنمو كلما ازدادت حالات العناية بها،. وكلما غدت معلماً من معالم النمو الفكري والتطور الحضاري والإنساني نجد حالات النمو والنهوض بها تزدهر ازدهاراً فاعلاً ومفعلاً في الحياة المعاصرة، فحالات التعبير الشعبي متعددة، منها القولية والحركية والإبداعية الفنية والفكرية والملابس والطعام وغير ذلك، فالتعبير القولي الشعبي موغل في القدم، لا يعرف قائل محدد له، وأن يعرف فسرعان ما يصبح جزءاً من مكونات الإرث الشعبي أو المقولات الشعبية، التي لا يعرف قائلها أو يتناسى الناس المتلقون حقيقة القائل حتى يُعطى القول صبغة المجموع أو الصبغة الشعبية الهادفة،؛ لأن النص - إن نسب إلى ثقافة جمعية شعبية كان أم غير شعبية، - يأخذ بعداً نفسياً تأصيلياً يزداد عمقاً كلما تجذر في الزمان والمكان، أكثر من كونه منسوباً إلى فرد بعينه،؛ لأنّ سمة الجماعة تتجذر كثيراً بعمق يزداد مع استمرارية الحياة.

فالأغنية الشعبية لها نسق خاص في عملية تأصيل القيم والثوابت في نفوس الناس والشرائح المستهدفة من ذلك، لذا لا بد من السعي لتأصيل هذا اللون من الفن القولي حتى يدعم عملية البناء الفكري والثقافي والقيمي لدى مجتمع يسعى إلى النهوض بنفسه، كي يحافظ على كثير من الدلالات والرموز التي يحاول الزمن طمسها، إن كان ذلك قصداً أو عن غير قصد، لأن الأغنية الشعبية «تؤدي دوراً حاسماً في بناء الشخصية الأصيلة، وتسهم في خلق تنشئته الاجتماعية، بخاصة لدى الأطفال تراهن على سلامة مقوماتنا التراثية... وتسهم في التعريف بالتاريخ الشفاهي للأمة في حال نسيانه من الذاكرة الشعبية بفعل تطور الزمن وتعاقب الأجيال».[١]

ونظن أن الأغنية الشعبية لها أهمية قصوى في نفوس الناس، لما تحمله من قيم وثوابت، وما تقومُ به من مواكبة الحياة بأنماطها المختلفة كي تدلل على مدى أصالتها وتغلغلها في نفوس أبناء المجتمع بأنماطه المختلفة،؛ فهي تغرس الحس الإنساني لدى المتلقين من خلال تجسيد قيم التراث وثوابته منذ اللحظة الأولى من ميلاد الإنسان حتى متتاليات حياته، إذ تكمل عند مفارقه الروح الجسد، وتبدأ الدورة من جديد مع طلوع شمس يوم جديد في انبعاث الحياة في جينات وليدة أخرى، فمنذ شعور الأسرة بعلامات الحمل حتى لحظة الميلاد، والناس يتحسسون الأمل القادم، فتبدأ عملية خلق العلاقة بين القادم ومقومات الحياة، فنجد همسات الحنين للمولود القادم، ونجد بعض الأهازيج الشعبية ترفع من شأن المرأة التي تحمل في أحشائها مولوداً جديداً، ونجد أقوالاً أخرى تتناغم مع بدء عملية الولادة وخروج المولود إلى الحياة، ومن ثم تبدأ عملية التواصل مع المولود وغرس القيم الشعبية في نفسه، ونلاحظ الأقوال والمواويل والأغاني التي تُحكى للأطفال وهم يرضعون من صدور أمهاتهم، أو وهم يتعانقون مع الحياة وأمهاتهم توسدهم في المهد، وما إلى غير ذلك من مساهمات لم تزل تدلل على مفاهيم خاصة.

فالأغنية الشعبية التي تقال من أجل الأطفال، نجدها عفوية خالصة، ليس لها أسس منهجية كما هي حالات البناء الفني الأخرى التي تصاحب ميلاد الأجناس الأدبية من قصة ورواية ومسرحيات وقصائد شعرية تحمل هموم وأفكار وقيم مبدعيها، أي أن عملية التخطيط المسبق لا نجدها عندما تبدأ الأغنية الشعبية بالولادة؛ لأنها تحتكم إلى الفطرة والسليقة والعفوية، وانطلاقة الوجدان الذي لا تحده منطلقات أو تدفعه أفكار، وإنما هي الدافعية الفطرية الملازمة لسجية الإنسان معبرة عن خلجاته وهمومه الصادقة، بالعفوية المعهودة لدى الانسان السوي الذي لا تحركه الأيديولوجيا، وإنما تحركه عفوية الخاطر ومصداقية الشعور.

فما يقدم للأطفال عبر الأغنية الشعبية يرينا العمق في مصداقية الحس الشعبي، والمكانة التي يتبؤها في بنية التسلسل الثقافي والإرادة الاجتماعية،؛ لأن هذا الفن لا يكون حكراً على فئة اجتماعية دون أخرى، أو بمعنى أشمل لا يخصص للصفوة من المتفوقين أو المبرزين في الحياة، وإنما هو نابع من ضمير الشعب يخاطب الشريحة المستهدفة بكاملها، أي حيث إن الأطفال -مثلاً - هم المستهدفون نجد الإبداع الشعبي يخاطب الأطفال جميعهم، دون تمايز أو تمييز، لذا نجد البساطة في البناء والمصداقية في القول والأداء من مكملات النصوص الشعبية التي تولد من دون عوائق تذكر بين الأغنية الشعبية والطفولة وباقي أفراد المجتمع،؛ فهي ميسورة التناول والتواصل على الرغم من تعقيدات الحياة من حول أبنائها، وهذا الأمر يسهل عملية التواصل حتى تُستكمل حلقات البناء النفسي والفني والجسدي والروحي لدى لأطفال الذين هم عنوان البساطة والسهولة واليسر في التناول والتناغم مع الأشياء من محيطهم.

فعملية التجاذب والتواصل قائمة حتماً بين الأطفال وما يسمعونه من أغنيات وأقوال مموسقة؛ لأن الجرس الإيقاعي يؤثر كثيراً في نفسية الطفل، ويساعد على تنمية الشخصية، والقدرة على التحسس الجمالي مع تجسيد الميول الفكرية والتربوية التي تنهض بالإنسان، وتجعله يتواصل بمحبة وشوق فاعلين مع محيطه، لأن الفطرة السوية تساعد على التقبل الإيجابي للحس الموسيقي، وتجعل منه دافعاً حقيقياً في النهوض التربوي والنفسي والأخلاقي والقيمي لدى الأطفال المستهدفين من قبل بناة الفن وصانعيه.

فقابلية الاطفال للنص الموسق يؤكد أهمية الموسيقا في بناء الشخصية، وخلق الدافعية في تلقي الأفكار الجديدة، والممارسات الإيجابية المنوي غرسها لديهم، كذلك يجعل حالات الترفيه والمرح متلازمين، وتنميان الطاقات الابداعية، وتصبح تلك الأشياء من مقومات الطفل وبنائه النفسي والفكري والقيمي،؛ لأن ما يكتسبه الطفل في مراحل حياته الأولى من سلبيات وإيجابيات يبقى مكتنزاً في الذاكرة، وتسعى المخيلة إلى تفعيله في أنماط الحياة المتتابعة فيما بعد.

فمن يتابع يجد أن الأغنية الشعبية المعدة للأطفال تحمل أفكاراً تربوية ووجدانية، تساهم في خلق الدافعية لديهم في تخطي الصعوبات، وتنمية المهارات والمدركات، وتفعيل المبادرات، وتنمية حالات التكوين الإبداعية والمضامين التعليمية والتعلمية المرسلة إليهم عبر النص الإيقاعي أو الصوت النغمي، الذي يصبح -فيما بعد- أداة فاعلة في صد العوالم الوافده من ثقافات مدمرة، يسعى مروجوها إلى خلق حالة من التزامن الاندفاعي لتفتيت الروابط بين النشء الطفولي، والمحيط، والموروث المفعل في خلق الشخصية وتنمية المهارات الايجابية،؛لأن الثقافة الشعبية بشكل عام، والمعدة للأطفال بشكل خاص، أخذت حيزاً كبيراً من العناية والاهتمام من قبل الدارسين والمتخصصين؛ حتى يجعلوها أداة طيعة يستخدمونها حسب رغباتهم وميولاتهم، فإن كانت النوايا ايجابية تصبح كذلك، والا تغدو سلبية مؤكدة،؛ فلا مناص حين ذلك من مقاوماتها والدفاع عن المثل في بنية المجتمع،؛ فالاهتمام الشديد «بالثقافات الشعبية ينتمي إلى عملية أوسع تنتقل فيها تقنيات وأجناس وأعمال الثقافات الشعبية وتتفاعل عبر الحدود الثقافية والقومية على نحو متزايد، وقد يكون من المغري أن نسمي هذه العملية الأوسع بالعولمة».(٢)

فالعولمة تسعى إلى السيطرة الثقافية إلى جانب سيطرة الموارد الأخرى،؛ لأن الثقافة هنا تصنع ولا تنتج، وتحاول إضعاف الثقافة الوطنية، وما تحقق من نجاحات شعبية في خلق جيل من الثقافة الوطنية الناجحة والهادفة إلى التحصن من الوافد المدمر، وهذا ما نلمسه في خلق مسلسلات وأدبيات التسلية من قبل شركات الاحتكار والتمويل السلبي للبنية الثقافية، لأن التقنية المصنعة تهدف دائماً إلى الاستحواذ الشامل على مقومات الحياة. وهذا ما نتلمسه في صناعة الدراما الثقافية المعدة للشاشة الصغيرة (التلفاز) ،؛

لأن التلفاز جهاز ساحر وجذاب، ومن السهل أن يسيطر على المشاهدين والمتابعين، «ولكي نفهم شروط وجود العولمة الثقافية، فاننا نحتاج لأن نقوم بالتفاتة أوسع صوب اقتصاديات صناعة التسلية، والواقع أن الحقيقة الحاسمة في الأسواق الثقافية المعاصرة هي الدرجة التي يهيمن بها جهاز واحد عليها. هو جهاز التلفاز. ففي الولايات المتحدة، تمضي الأسرة العادية (٢٥٠٠) ساعة سنوياً أمام التلفزيون، وتنفق أقل من ١٠٪ من هذا الوقت في متابعة الأنشطة الثقافية الترويحية الأخرى»(٣)، وهذا يؤكد أهمية إدخال التقنية في ذلك.

إذاً؛ نجد كثيراً من النصوص الشعبية غدت مادة إعلامية تستقطب المشاهدين، وتغرس في نفوسهم قيماً مبحوثاً عنها، فكلما اتسعت أوقات الفراغ في حياة الشعوب والأفراد نجد الحاجة إلى صناعة التسلية، لذا لا يمكن أن تبقى الأمم المغلوبة أو الفقيرة التي لا تستطيع تحويل تراثها أو أفكار أبنائها إلى مادة للتسلية، بلْ مادة ترفيهية، من هنا تدخل الثقافة المصنعة الحاملة للأفكار التي يخطط لها، من أجل الوصول إلى الأهداف السياسية والاقتصادية،؛ ما يجعل الأمم تغرق في ثقافات مستوردة مصنعة معبأة بقيم دخيلة وعادات متعددة، بعيدة كل البعد عن أفكار الشعوب المستوردة لتلك الثقافات المستوردة، وهنا قد يصعب قراءة المراد، أو قد يقرأ المرء هذه المواد دون دراية حقيقية؛ لأن «الشعبي الكوني يضعف قدرة الأكاديميين على الوصول إلى أحكام سياسية على النتاج الثقافي، فالعولمة الثقافية قبل كل شيء تتمازج مع العولمة الاقتصادية والمالية، وكل منها يعمل لصالح أو ضد بعض الجماعات المحرومة في سائر أنحاء العالم، وتعمل العولمة- أيضاً في كل المجالات-على توسيع نطاق أسواق أوقات الفراغ التي لا يمكنها أن تثبت قيمتها الذاتية»(٤) لأن القوي المتمكن من أدواته والقادر على امتلاك زمام الصناعات الثقافية وتحويلها هو من يسيطر على أفكار الناس وقيمها ويوجهها حسبما يرغب، لأنه يستطيع قراءة الواقع السياسي أكثر من غيره الذين لا يستطيعون مقاومة الوافد، أو قراءة الهدف من الوافد، وإن استطاع أحدهم وتفرد بقراءة المخفي والمستور الموارى بين السطور، ولا يمتلك مقومات الرفض والدفاع عن فكرته وثقافته وطموحاته، تبقى المسألة عالقة وتسير الأمور إلى السلبية أكثر منها إلى الايجابية، وتظهر المظهرية القوية للثقافة الوافدة، إن كانت شعبية معدة لذلك أم ثقافة معبأة بالفكرة والقيم التسلطية والسيطرة الاحتكارية، عندها تغيب موارد الثقافة المحلية، وتمحى سمات ودعائمها الثقافة الشعبية، ايضاً؛ لأن ما أقدمت عليه المؤسسات المصنعة للثقافة لا تستطيع مقومات الواقع صدها لدى الأمم والشعوب المستغلبة التي لا تستطيع تفعيل إرثها الثقافي والانساني ليكون سداً منيعاً وحصناً مانعاً لهبات الرياح الصفراء المعبأة بنظم وأفكار هدامة، تغدو الشعوب من خلالها مستلبة الإرادة، ومفككة التكوين وهزيلة في آليات الدفاع، ولا تمتلك مقومات البناء مع وجود الخميرة في النفوس. إلا أن الهجمات أعتى ما يتصوره المتلقون للثقافات الوافدة، إن كانت تسلوية أم علمية وأدبية معدّة لما يصبو إليه أهل الصناعات والثقافات المصنعة، ورأس المال المسيطر. وعندما يتأكد ذلك تغيّب الثقافة كعنصر مواجهة أو أحد ركائز الرهان في

المواجهة، وهذا يجعل عناصر المواجهة متحفزة، ما دامت الهزيمة تتجدد في عملية الصراع مع المحتلين والمستوطنين، ((اذ ليس المطلوب الدفاع عن ثقافة محددة، بل المطلوب ثقافة تساعد الانسان في الدفاع عن ذاته، وتجدد المواجهة والهزيمة يفرض على الثقافة هذه أن تجدد ذاتها، وإلاّ أصبحت عنصراً موازياً للصراع لا عنصراً عاملاً فيه. بهذا المعنى، فإن الثقافة الوطنية تساوي سيرورة تشكلها المفتوحة في ثقافة تتكون وليست متكونة)) . (٥)
لأن الثقافة الوطنية بشكل عام، والشعبية بشكل خاص، يجب أن تتعامل مع الموضوعية في المعرفة والتاريخ، ويجب أن تميز بين اختلاف الثقافات وصراع الثقافات،؛ لأن الاختلاف سمة انسانية بينما الصراع سمة عدوانية.

وبما أن فلسطين أرضاً وشعباً وثقافة وتاريخاً تقبع تحت نير العدوان المتواصل منذ أكثر من مئة عام، نجد الثقافة الشعبية فيها عرضة للتغريب والتهويد والطمس والاضمحلال، لأن الثقافة بشكل عام مؤسس لطمسها ومحاربة نظمها، وبالذات بعد قيام، أو الإعلان عن قيام دولة الاحتلال والاستيطان الصهيونيين، لذا بدأت عملية التغريب تسير على وتيرة مدروسة، ومنهجية واضحة لمن يستتبعها أو لا يستتبعها، فليست الأمور والثقافات النابعة من روحية المجتمع وقيمه حتى تسود إحداهما على الأخرى،؛ لأن القيم والثقافات المصنعة، مدعومة من أصحاب رأس المال المتنفذ والمسيطر على تقاليد الحياة ومنطلقاتها، حتى تسهل السيطرة على ما يتوارثه الشعب من ثقافات، وما تحمله من دلالات، من أجل تسهيل عملية السيطرة على مقدرات الشعب المغلوب على أمره، والمضيع في مقدراته.

وهذا يؤكد أن الثقافة بشكل عام والشعبية بشكل خاص، لا تولد من فراغ، وإنما نجدها مترابطة بالأنساق الاجتماعية، والنظم والعلاقات المتداولة في المجتمع، فهي في حالة مستمرة في خلق العلاقات والاحتكاك مع المحيط الضيق والأرحب فيما بعد، فنجد الصلات القوية أحياناً والعادية أحياناً أخرى مع محيطها الثقافي والمعرفي، فهي أي؛ الثقافة تتعرض «في الوقت الراهن والثقافات المختلفة لعوامل التأثير والتغيير والتبديل ونسخ الملامح الأساسية الناجمة عن ازدياد الاتصال والتبادل الذي أحدثته الثورة الالكترونية الحديثة، وما ترتب عليها من تدفق المعلومات، واختفاء التواصل بين الشعوب والمجتمعات والثقافات. وبالتالي هيمنة الثقافات التي تملك من وسائل الانتشار التي تساعدها على السيطرة على الثقافات التي لا تمتلك القدرة على التصدي لهذه المؤثرات الخارجية، فضلاً عن مناوءاتها، وإبطال فاعليتها والاحتفاظ بالتالي بهذه الملامح والمقومات الأصلية التي تميزها عن غيرها من الثقافات» فهي أي الثقافة ((تتعرض في الوقت الراهن والثقافات المختلفة لعوامل التأثير والتأثر والتغير والتبديل ومسخ الملامح الاساسية الناجمة عن ازدياد الاتصال والتبادل الذي أحدثته الثورة الالكترونية الحديثة، وما ترتب عليها من تدفق المعلومات، واختفاء التواصل بين الشعوب والمجتمعات والثقافات، وبالتالي هيمنة الثقافات التي تملك من وسائل الانتشار التي تساعد على الثقافات التي لا تمتلك القدرة

على التصدي لهذه المؤثرات الخارجية،، فضلا عن مناوءاتها وابطال فاعليتها والاحتفاظ بالتالي بهذه الملامح والمقومات الاصيلة التي تميزها عن غيرها من الثقافات))[٦] فهي (اي الثقافة) تشكل رؤية تنصهر فيها عمليات الحياة المختلفة،؛ ما يجعل نموها وتطورها ينعكس على الحياة ايجاباً، وألاّ تكون السلبية هي الفاعل.

فما تفرزه الحياة من نظم صالحة، يرينا أنّ العلاقة مستمرة بين الانسان ومحيطه، وبين ما يأتي إلى محيطه الضيق من أشياء تصله من المحيط الكوني الأرحب، فهذا يعني أن البحث هنا يتم عن خلق عملية التواصل بين شريكين، هما الانسان والمحيط الكوني الذي يتعامل معه، فما ينتج من أشياء نتيجة لتلك العلاقة من علوم ومعرفة ومنجزات ثقافية، ما هو إلا تماثل للعلاقة القائمة بين الانسان ومحيطه، ما يجعل تلك المنجزات من الارث الانساني (العالمي)؛ لأنها توضع في أطر محددة يَسهُلُ التعامل معها من قبل الأفراد والجماعات، ما يعني تنمية الفكر الانساني بما يصنعه الانسان نفسه، فتكون تلك النتاجات قد غدت في خدمة الناس إلاّ إذا حرفت عن مسارها القيمي والاخلاقي، وبدأ الإنسان يعاملها معاملة الحكر من أجل السيطرة والتضييق على الانسان الآخر، فإن لم يجيرها الانسان لخدمة أفكاره الهدامة أو التسلطية، تبقى النتاجات الإنسانية شاخصة في حياة الشعوب،؛ لأنها من صنع الانسان السوي ونتاجه، يسخرها لخدمة الناس جميعاً دون تمييز وتمايز، خدمة للفكرة الأسمى في الحياة (الانسانية) ،؛لأن الانسانية تشكل الرابط الأسمى بين أبناء البشر، فكما يقول الإمام علي كرم الله وجهه: «الناس إما إخوانكم في الدين أو شركاؤكم في الانسانية».

فما ينتجه المرء من عادات وتقاليد وقيم ومنجزات يرينا حالات التجلي في الفكر الانساني؛ لأنها تشكل أرقى درجات التفاعل حتى تتجلى في فكرتها الانسانية، أو توجهها الانساني المبحوث عنه، كل ذلك يسمى التراث الانساني «الذي يرسم خصوصية الشعوب. وتقاس به أصالة وعراقة الأمم، بمدى إبرازه لأوجه التمايز بينها». [٧]

فالانسان بفطرته ميال إلى خلق حالة من العلاقة المتوازنة بينه وبين بيئته والطبيعة الكونية بشكل عام، لذا نجد الإنسان وقد بدأ يظهر حالات الجمال التي يستنبطها من بيئته ومحيطه، فالانسان العربي بفطرته ميال إلى خلق الخصوصية مع محيطه لتجسيد حالات الجمال المخفي، أو الذي لا يستطيع أحد أن يتلمسه إلاّ من بعد أن يتمحصه الانسان المبدع أو المظهر له، وهذا يسهل حالات التواصل بين الناس؛ فعندما ينظر الانسان إلى محطيه نظرة متأنية مستنبطة يستطيع أن يحول كثيراً من الأشياء إلى ظاهرة جمالية تساعده على التلذذ في الحياة وتجسيد لذتها.

فمن يتتبع الفنون القولية الشعبية في المجتمع العربي الفلسطيني، يجدها زاخرة كماً ونوعاً وقد أظهرت الحياة بألوانها المختلفة، حيث نستطيع من خلالها إدراك الخصوصية لكل بقعة جغرافية في جغرافية فلسطين التاريخية لا السياسية؟!

فالموروث القولي الشعبي لدى المجتمع العربي الفلسطيني يرينا القواسم المشتركة بين أبناء المجتمع الواحد، والبيئات المتعددة في بيئة واحدة، حيث ترسم تلك الفنون الطبيعية الخاصة أو التمايز في العلاقات الاجتماعية المستنبطة من خلال النصوص القولية أو التي تكشف عنها النصوص القولية التي تعبر عن مزاج الجماعة وميولها وعبقريتها في التواصل مع الحياة من خلال نظم بسيطة مستنبطة عن هموم الفرد، وإن كانت تلك الفنون من صنع الأفراد، فهي التي «تنتقل من شخص لآخر عن طريق الذاكرة أو الممارسة، أكثر من حفظها عن طريق السجل المدون». (٨)

فالفنون الغنائية الشعبية في المجتمع العربي الفلسطيني تشكل أحد مقومات الهوية الوطنية الممتدة في الهوية القومية للفلسطينيين،؛ ما يرينا تراثاً متراكماً في النوع والكم، يظهر حالات التقارب المعرفي والهاجس المعيشي للناس، وإن وجدت المتناقضات في حياة الناس، إلاّ أن الهاجس الغنائي الموروث يبقى حاملاً لمعالم الحياة التي عاشها الناس في لحظة ميلاد الفنون الشعبية القولية التي تجسد ملامح التقارب والتلاقي بين الناس في مشاعرهم وهواجسهم وطموحاتهم وقيمهم المهددة من قبل المحتلين على مدار التاريخ المكتوب، وهذا يرينا أنّ ما تداولته الذاكرة الفلسطينية من فنون قولية هو بمثابة «نتاج خبرة، أو تجربة تلك الجماعات» (٩) التي لم تزل تحافظ على إرثها وإن هددته أيدي المنون العبثي المتمثل في الاحتلالات المتعاقبة والاستيطان المتجدد بأنماطه المختلفة؛ لأن كثيراً من أنماط الحياة في المجتمع العربي الفلسطيني بدأت تتبدل أو تتلاشى أو تضمحل، أو بدأت بعض أركانه تتساقط من ذاكرة الأجيال القائمة، لأن ماتناقلته الذاكرة الوطنية الجمعية لم يعد مفعلاً بأنماطه المختلفة في الحياة القائمة.

فما توارثته الأجيال الفلسطينية من غنائيات شعبية يهدف إلى تجسيد تناقضات الحياة الانسانية، حتى ترسو القيم الايجابية الهادفة التي تستخلصها من خلال الفنون القوليّة، وهذا يرينا الأطر الثقافية والحضارية للشعب العربي الفلسطيني في الأمكنة والأزمنة التي جاءت منها وعنها، فلا نجد قولاً إلا ولصاحبه فكرة يهدف إلى توصيلها، والانتصار للحياة الايجابية ونبذ الفوارق أو حالات الاضطهاد والخوف؛ فالغنائيات ترينا صورة مرئية لحياة الشعب في بيئته التي يعيش فيها، وترينا العادات والتقاليد الممارسة في حياة الناس، وترسم لنا أبدية العلاقة بين الانسان ومحيطه وتجسيد هذه العلاقة بكل ما تعنيه من دلالات، وإظهار الحكمة واللوعة وقسمات النظم والمعايير الأخلاقية؛ فهي بالتالي جزء مهم «من ملامح الشعب، وقسماته وأسلوب عيشه، ومعتقده، ومعاييره الاخلاقية». (١٠)

وهذا يعني- إلى حد بعيد- أن الموروث القولي يسهم في صياغة الهوية الوطنية وعمقها القومي للذات العربية الفلسطينية،؛ لأن الموروث يشكل أحد ركائز التحديات التي تواجهها الأمة، والفلسطينيون هم رأس الطعم في جسد هذه الأمة، لذا نجد حالات التواصل لطمس هوية التراث وكينونته من خلال الحرب المستعرة بأوجهها المختلفة، حتى يقال

إن الشعب العربي الفلسطيني لا جذور له، ولا تراث ولا حضارة؛ ما يعني سهولة السيطرة على مقدراته، وطمس هويته الوطنية، وحرمانه من الامتداد القومي الطبيعي،؛ لأن كثيراً من النصوص القولية الغنائية في فلسطين، متقاربة أو متشابهة أو متطابقة إلى حد ما مع النصوص القولية الغنائية مع محيطها العربي، وبالذات لبنان والأردن وسوريا وأطراف مصر والعراق، وهذا يرينا خصوصية الغناء الشعبي في تفاعله مع ما يدور حوله من أحداث محاولاً إرساء بعض القيم والسلوكيات والأفكار التي غدت جزءاً من الثقافة الوطنية الفلسطينية، لأن للفن الشعبي بصمته وخصوصيته وتمايز شخصيته التي ترفده «بحصانة ومناعة ضد الطمس والإلغاء» [11] وهذا يدلل على أن الثقافة القولية الشعبية تعبر عن خبرة الفرد والجماعة في مواجهة المواقف المتعددة والمتنوعة.

فحياة الناس متعددة الأوجه، وهذا يؤدي إلى تعدد الأصوات المعبرة عنها، فكل صوت له خصوصية المدى التي يتجاوب فيه، وبما أن فلسطين تقع في جغرافية متعددة المناخات، نجد هناك مناخات أدبية قولية وغير قولية تتعدد هي الأخرى، فنجد البيئة الصحراوية في الجنوب، والساحل البحري في الغرب، والمنطقة الجبلية في الوسط والشمال والغور الذي يشكل امتداداً للحضارة، والانهدام الاسيوي، ويأتي رأسياً من الشمال إلى الجنوب حيث يقع شرق فلسطين، أي بين الاردن وفلسطين، هذه التنوعات جعلت التنوعات الفنية والابداعية الشعبية متنوعة مثل الأزجال والحداء والعتابا والميجنا والمهاهاة والشوباش والترويدة وغيرها من المسميات التي عرفت عند المجتمع العربي الفلسطيني، حيث إننا نؤكد أن ما تركه الأجداد من فنون قولية شعبية يفوق ما يتصوره كثير من الناس غير المعنيين بالموضوع لأسباب متعددة.

لذا نجد الأغاني تتوزع بمسمياتها حسب مقتضى الحال، فنجد أغاني إعلان الخطوبة وتوابعها من مسميات من حناء، وزفاف وغيرها، إلى فنون تقال عند الولادة، والعلاقة مع الاطفال، وختانهم، ومراحل المراهقة والشباب وحتى الموت، نجد ما يتناسب ووقعه في النفوس من أقوال تحمل في طياتها عذابات النفس وأثر الفراق السرمدي.

بذلك تكون الفنون القولية الشعبية في فلسطين، أحد ملامح التدرج في السلم الحضاري للاستجابة الفعّالة في خلق عملية التحدي الذي يتجسد لإبطال العلم المزعوم والتزوير المفعل في التراث والتاريخ ونسبتهما لليهود والصهيونية، بذا نرى أن الثقافة الشعبية القولية في فلسطين هي أحد مكونات الهوية الوطنية القومية الممتدة في الارث الانساني للشعب العربي الفلسطيني؛ ما يجعل هذه الفنون صاحبة الصدى الايحابي ولو نفسياً للتعويض عما يستلب من أشياء ثمينة لا تقدر بثمن، لذا جاء الفن القولي الشعبي على أنماط متعددة سنوردها في أسطر البحث الآتية.

أغاني الحناء

الانسان مدني بطبعه كما أكد علماء الاجتماع وعلى رأسهم ابن خلدون، أي أنه بحاجة إلى من يؤانسه ويعيش في كنفه، لذا نجد فطرته ميالة إلى تكوين الأسرة، والبحث عن شريك حياة، كل حسب جنسه، بهذا تكون آلية الزواج هي الأنسب في خلق الرابط الاجتماعي. وديمومة الفكرة الإنسانية في عملية التواصل السليم بين أبناءالبشر دون تبعات اجتماعية سلبية، أو هدّامة؛ لأن الإنسان السوي يجنح أبدًا إلى صيرورة الحياة بنظم تكفل ديمومته وبقاءه، وتثري فلسفته الداعمة لقيمه والمؤصلة لثوابته، بهذا عرف الزواج الذي يمثل أرقى آلية ضبطية ابتكرها عقل الإنسان في تأنيس الغريزة الجنسية عند البشر. [١٢] لان النكاح فريضة ربانية استنها لخلقه عبر شرائع ونواميس وقوانين طبقها أنبياء الله على أنفسهم حتى يشكلوا معبرا أميناً لبني البشرمن بعدهم، فتكون تعاليم الله نهجا متبعا لديمومة الحياة التي فطرها الله في خلقه.

ولذلك، فقد منح الإنسان العلاقة الزوجية صفة القدسية عن طريق عقد يخضع لطقوس دينية، ومراسيم مباركة تمارس داخل أماكن العبادة، أو ما يتبعها من أماكن لها خصوصية في الاحترام والثناء من قبل أبناء البشر، من أجل أن يأخذ صفة الإشهار والإعلان أمام الناس، ومن اجل تعزيز علاقة الرجل بالمرأة وتأنيسها، أي أنه أخضع هذه العلاقة إلى ضابطين هما:

ضابط اجتماعي بكل ما يعنيه من معايير ومقاييس مقبولة اجتماعيا وأخلاقيًا وواجب الالتزام بها، و ضابط آخر ديني بكل ما تعنيه الكلمة.؛ لأن الحياة التي نعيشها قائمة «على تقديس لحظة الخلق، ولا بد لاستمرارها عبر الزمان من التجديد والولادة والخصب، ولهذا يتم الاحتفال بطقوس الحياة المختلفة، خاصة المراحل التي تشير إلى انتقال الإنسان إلى مرحلة جديدة في الحياة» [١٣] . بهذا ينمحي الجانب الشكي من نفوس الناس بعد الإشهار ومعرفة الآخرين المتمثل في الاحتفالات والأغاني التي تقام في مراحل الزواج المختلفة من طلبة وخطبة وحنة وزفاف. وكل هذه الأمور تؤدي وظيفة اجتماعية تمليها علينا الظروف الحياتية المعيشة بكل مضامينها؛ إذ إن هذه الأغاني «تظهر لنا أن نظام العائلة عندنا هو الذي يحمل آثار الماضي السحيق، وأنظمة القرابة المقترن بها في المحيط الشعبي» [١٤] وللتراث الشعبي أهمية عظمى في حياة الشعوب، لأنه «يعمق الصلة بين الإنسان ووطنه من جهة، وبينه وبين شعبه من جهة أخرى، تلك الصلة التي نحن الفلسطينيين، أحوج الناس إليها اليوم» [١٥] لما يعترينا من هموم ومتناقضات وصراعات متعددة تزيد من لهب المعاناة، وتكالب القوى الشريرة على بنية المجتمع العربي الفلسطيني في فلسطين وخارجها،؛ لذا نحاول أفرادًا ومؤسسات التشبث والتمسك بفلسفة البقاء عبر نظم وأطر متعددة، ومنها

التمسك بالتراث الشعبي وما يرمز له من خصوصية، وإن كان لكل مجتمع ألوان خصبة وشيقة من الفن الشعبي، بما فيها العادات والتقاليد والأعراف والأساطير والأغاني التي لها حضور مميز في ذاكرة أفراد المجتمع، وواقعهم وحياتهم.

ومن الأغاني التي تستوجب الوقوف عندها والعمل على دراستها، أغاني النساء في ليلة الحناء، لعدة مبررات منها: أنها أحد فروع الأغاني الشعبية التي لها جذور ضاربة في القدم،، ولها دلالات اجتماعية خاصة بها سنتعرف عليها لاحقاً، وثانيا: لأنها تُعدُّ آخر ليلة للفتاة في بيت أهلها، (إذ إنها آخر ليلة قبل ليلة الدخلة) ، وثالثا: لأن طقوس الحناء بدأت بالاندثار شيئا فشيئا؛ لأنه كان في السابق يعطى لها أهمية كبيرة وطقوس مميزة، بينما اليوم فإنها تُدمج مع يوم الخطبة المحتوي على عادات وتقاليد تعمل على طمس عادات الحناء وطقوسه، ورابعاً: فإن غالبية العرائس يرفضن أن يوضع الحناء على أيديهنَّ لأنهنّ يعتبرنه عادة قديمة وبعيدة عن التمدن والرقي، وخامساً: لان حفلة الحناء تدار في حلقة نسويه خاصة لا يشارك الرجال فيها،، لذلك فهي تنضح بعنديات نسائها وأفكارهن ورؤاهن المستقبلية لهذه الفتاة، لان المعاني التي تنتجها التحولات الاجتماعية، والتي هي-في الوقت نفسه- حياة المجتمع، هي –أيضا- وجود مادي في أشكال تعبيره المختلفة والتي فيها سلوك الناس وعلاقاتهم مع بعضهم، ولغتهم المادية المعبرة عن أحاسيسهم وعالمهم اليومي» [١٦] لذلك فإنها تستحق الدراسة،، والوقوف عندها وكشف خفاياها.

فمنذ إعلان النية في إشهار الزواج، تبدأ الاستعدادات لدى أهل العريس من أجل إتمام عملية الزفاف فتكون الليالي السبع من السمر والغناء حتى حضور الليلة السابعة، وهي ليلة الحناء، ففي اليوم السابع من ليلة التعليلة إذ يستعد الموجودون جميعهم في دار العريس للذهاب إلى دار العروس، حاملين معهم الوعاء المليء بالحناء المجبول قبل تلك اللحظات بليلة كاملة، وتحمله امرأة يستبشر بها إما لجمالها أو لأخلاقها أو لمكانتها الاجتماعية، أو يقع الاختيار على امرأة لها حظوة معينة عند أهل العريس، ولها مكانتها عند أهل العروس، إن كانت العروس من البلدة ذاتها أو العشيرة ذاتها؛ أي أن الناس يعرفون بعضهم بعضاً.

ومع وصول الموكب الذي يتزعمه وجهاء القوم إلى منزل العروس، تضع من تحمل وعاء الحناء أمام العروس ما تحمله من حناء مجبول، وتتقدم المرأة المسؤولة عن تجميل العروس بالحناء وتسمى (المنقشة أو المزوقة)، وتبدأ بوضع الحناء على راحتي العروس بطريقة فنية معينة تنم عن ذوق فني خالص، حيث تتباهى العروس بالنقشات المختارة، ثم تنقش قدميها حتى بعض من الساق، ويوضع الحناء على شعر العروس في بعض الحالات، ومن ثم يوزع المسحوق المجبول على من حضر من النساء من الجهتين (أهل العروسين) ويوزع الباقي في صرر على الصديقات ممن لم يحضرن، أو على النساء المتقدمات في السن اللواتي لم يحضرن إلى دار العروس. وبعدها ينسحب الوافدون إلى دار العريس لنحر الذبائح والاستعداد للطبخ في اليوم الذي يليله.

أسباب التسمية:

سميت ليلة الحناء بهذا الاسم نسبة إلى استعمال مسحوق الحناء، وهو عبارة عن مسحوق يؤخذ من وريقات نبتة الحناء، بعد أن تُجفف ثم تُطحن وتُعجن بالماء،، ويُضاف إليها خميرة العجين وبعض المواد التي تعمل على زيادة نسبة احمراره مثل الشاي، أو قشر ثمرة الرمان،، أو الكركم، أو قشور الباذنجان، وهناك الكثير من الوصفات التي تقوم بها النساء من أجل ذلك. ومن ثم تطلى بها راحة الكف وغيرها، ثم يترك لبضع ساعات حتى يصبح لونه أحمر، وتتباهى النساء بنوعية الحناء أو بمصدر نبتتها؛ فحناء الفاو أو الحناء العراقية وتليها الهندية من أجود الأنواع وأكثرها شهرة عند الناس.

ومما تجدر الإشارة إليه «أن الحناء أصبح تقليدا متوارثا لا يعمل اليوم بحيثياته،، مع بقاء وجود ليلة الحناء وممارسة عملية التحنية « [١٧] وهذه الطقوس يُعمل بها قبل ليلة الدخلة، أيضًاهذا الوقت يُختر اعتباطاً، بل له أهمية خاصة، لأن ما تتركه صبغة الحناء من آثار إيجابية يجعل الناس أكثر تفاؤلا، وإن كان ذلك مرده إلى فقر البيئة لمواد التجميل وتلميع البشرة سابقا، لذا أخذت نبتة الحناء مكانتها إلى جانب الطقوس المتعاقبة التي ورثها الناس عن الأجداد.

فهناك من يعتقد أن عادة تحنية العروس تعود إلى جذور وثنية، وهي بمثابة نوع من الطقوس التي كانت تمارس من أجل إبطال مفعول السحر الذي قد يصنع للفتاة لعرقلة حياتها الزوجية مستقبلاً، وتفتيت أواصر المحبة مع زوجها وأهله من بعده.

وهناك من يعتقد أن العروس إذا لم تحنّ، فإنها لن تنجب، وبما أن لونه أحمر فانهم يتفاءلون من هذا اللون الذي يجلب السعادة.ولا ننسى التزين والتجمل الذي تحصل عليه العروس جراء ممارسة هذا الطقس الجميل، وهذا الذي قد يفسر لنا سبب اندثاره. فمهما تعددت الأقوال تجاه موضوع الحناء، إلا أنها لم تدم على وتيرتها عند الناس مهما كانت ظروفهم المعيشية.

وهناك الخطوات التي تتم فيها طقوس الحناء من عجنه،، وحتى نهاية الحفلة في بيت العروس، مع ترديد بعض الأغاني الخاصة بليلة الحناء، لأنها تساعد على عملية التواصل بين الناس، ومن ثم التعرف على المضامين المنشودة من هذه الأغاني.

أولا - جبلة الحناء «عجنه»:

كانت العادات تفضي بعد أن يجلب الحناء من السوق،، أن يجبل في بيت العريس وذلك من اجل إدخال الفرح والسرور إلى قلبه وأهله من بعده، ويعم الفرح، ويبتعد الشر عن البيت، وكان يعجن في ساعات الضحى أو الظهيرة،، وهذا له مبرر؛ إذ إن العادات كانت تقضي قبل الحفلة في بيت العريس وبعد عجن الحناء أن «توزع صرر الحناء على الصديقات والقريبات في البلدة أو الحي بمثابة بطاقة دعوة ليشهدن حفلة الحناء» [١٨] . وحتى يشاركن أهل العريس في فرحهم،، وحتى يتم ذلك كان لا بد من عجن الحناء في وقت مبكر.

ومن الأغاني التي كانت تغنى أثناء جبل الحناء:

دار العريس فرحانة — والفرح عابر فيها
وأم العريس فرحانة — واحنا جينا انهنيها
تستاهلي يا دارنا — حنة واحني ايدي
يا اللي لميت شملنا — والخي مع الخية
تستاهلي يا دارنا — حنة ونقش جديد
يا اللي لميت شملنا — على ليالي العيد
تستاهلي يا دارنا — حني واحني ابوابك
يا اللي لميت شملنا — واجو عليك اصحابك[١٩]

إذا وكما نلاحظ، فإن هذه المقطوعة تركز على أهمية لم الشمل وتجمع العائلة؛ لأن الفرح لا يكتمل إلا بمثل وجود هذه اللمة، وحتى أيامنا هذه ما زلنا نحافظ على هذه القيمة التي تعمل على تقوية مكانة الشخص ومنزلته في المجتمع، وهذا نلحظه عند مقاربتنا للأغنية القادمة؛ إذ تفاخر المغنية بكثرة أفراد العائلة المشاركين في الفرح، وهي بذلك تؤكد الثيمة الاجتماعية التي يركز عليها مجتمعنا حتى يومنا الحالي:

يعلم الله اليوم حنانا — ثلاث ترطال اللي جبلناها
للحبايب اللي عزمناها — للحبايب اللي عزمناها [٢٠]

إذا، فإننا نرى من خلال هذه الأغاني، « نظامًا اجتماعيًا تتمثل فيه بنية الجماعة وتتجلى فيه طبائعها وخصائصها، وتخضع في نشوئها لتقاليد وأعراف ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكها الاجتماعي والأخلاقي[٢١] .

وبعد الانتهاء من جبله في بيت العريس وإقامة الحفلة هناك، أي بعد أن يتم تجمع النساء القريبات والصديقات والمهنئات تذهب تلك النسوة المجتمعات في موكب غنائي إلى منزل العروس.

موكب الحناء:

«تحمل النساء الحناء في طبق مزخرف، وتذهب به في زفة إلى بيت العروس، يتقدمهن رجال الحمولة»(٢٢) .

و في الطريق تقوم النساء بترديد بعض الأغاني التي تنضح بالمدح،؛ إذ تؤكد طيب أصل أهل العروس والافتخار بنسبهم ومصاهرتهم. وهذا المدح لا يأتي من فراغ؛لأنهم بذلك يؤكدون تحقيق الرغبات العليا في المجتمع، التي يحاول الجميع الوصول إليها،، للمكانة الاجتماعية وأهميتها.؛ إذ تغني النساء في هذاالموقف:

واحنا مشينا من الصبح للعصر	واحنا لقينا طيبات الاصل
واحنا مشينا من حارة لحارة	واحنا خطبنا من دار الأمارة
واحنا مشينا من بلد لبلد	واحنا خطبنا بنت شيخ البلد
واحنا مشينا من وادي لوادي	واحنا خطبنا تنكيد الأعادي
واحنا مشينا من ساحل لساحل	واحنا خطبنا تنزيد المحاسن
وإحنا مشينا من بلد لبلد	واحنا لقينا غاليات الطلب
واحنا طلبنا فاطمة من بيها	يا بيها يسوى مدينة مصر
وإحنا طلبنا فاطمة من بيها	يا بيها يسوى مدينة حلب

المتمعن في النص يرى أنها تركز على أن بنت الأصل هي مطلبهم وإنهم فازوا بهذا الأمر،، الذي سوف يكون مثالا يحتذى عند غيرهم، ويؤكد المثل على هذه القيمة (خذ الأصيلة ولو على الحصيرة)(٢٣) وليس هذا غريبا ؛ لأن الأغاني والأمثال انعكاس لفكر وثقافة المجتمع، وهذا يساعدنا في تفسير تقدم الرجال موكب الحناء في مسيرتهم لبيت العروس في السراء والضراء، وهذا فيه دلالة دينية واجتماعية، وهو عدم خروج المرأة بدون محرم من بيتها،، حتى في هذه الأوقات السعيدة. إذ ترى العادات والتقاليد أن المرأة بحاجة إلى من يحميها ويحرسها في كل الأوقات. بل يدلل على الاشهار، ومدى التفاعل الاجتماعي بين الناس والقيمة الحقة لهذه الطقوس، لذا نجد كبير القوم من يمشي أمام النساء لابساً أفخر ثيابه وأجملها على الإطلاق.

الوصول إلى منزل العروس:

وعند وصول النساء إلى منزل والد العروس يستقبلهن أهل العروس بالزغاريد والترحيب،، وأيضا هذه الزغاريد تنضح بعنديات أصحابها:

مرحبا مين طل	زي الهلال لوهل
خلوا اعداهم وراهم	زي الورق على التل
مرحبا بكم ثمانمية من الترحيب	عز النسايب ما يعلى عليكم نسيب

وانتو الثريا وتالي النجم كله يغيب

وتبادلهن النساء القادمات التحايا، ويظهرن مدى المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها أهل العروس، وكيفية الرقي بها حتى يعلمها القاصي والداني فيبدأن بالغناء مباشرة:

لمين ها الدار الكبيرة	ألي حايطها كرم اللوز
هاذي دارك بو ساري	والعطشان يشرب كازوز
لمين ها الدار الكبيرة	الي حايطها كرم التين
هاذي دارك بو تيسير	والمحتاج عليك ايميل
لمين ها الدار الكبيرة	الي حايطها التفاح
هاذي دارك يا شميم	والتعبان عندك يرتاح
لمين ها الدار الكبيرة	الي حايطها الرمان
هاذي دارك يا ساري	والغريب يفرش وينام
لمين ها الدار الكبيرة	الي حايطها كرم الجوز
هاذي دارك يا هاشم	والعطشان منك اينوش
لمين ها الدار الكبيرة	الي حايطها روح الغار
هاذي دارك يا شميم	والغريب يفرش وينام
لمين ها الدار الكبيرة	الي ايظللها الياسمين
هاذي دارك يا شميم	والغريب عندك يقيم

إذن هناك مديح متبادل بين أهل العريس وأهل العروس من اجل تقوية العلاقات بينهم، سواء أكانت علاقة قرابة أم مصاهرة ولا مفاضلة بينهم؛ فكلاهما أعز النسيب، وكلاهما وقع اختياره على الشخص الصحيح والمقبول اجتماعيا:

وانتو تعزو النسب ولا تهينونه	وإحنا نعز النسيب والسيف من دونه
يا شمس لا تطلعي من روس الجبال	وإحنا النسب عندنا زي الذهب غالي.
ظليت داير على آلاجواد تناسبهم	لما رماني الهوى على مصاطبهم

وبعد الدخول إلى منزل والد العروس تقوم النساء بالرقص أمام العروس والتغزل بها، وبجمالها وبأخلاقها، ومدح أهلها وعائلتها من أجل تخفيف الحزن عنها بسبب معرفتها بأنها آخر ليلة تنام في بيتٍ أهلها، فتكون مليئة بالأشجان المختلفة ما بين الفرح والحزن. لذلك ،فهي بحاجة إلى أغانٍ تخفف ألم الفراق عليها:

يا منقشة بالحنا	لفي الحنة ابدياتك
والليلة نامي عنا	وبكرة عند حماتك
يا منقشة بالحنا	لفي الحنا بقميصك
والليلة نامي عنا	وبكرة عند عريسك

يـــا مـخـضـبـة بـالحـنـا	صـبـي إبـريـق الـبنُ
واهـلـك ويـا فـاطـمـة	اصـحـاب الـكـرم والـفـن
لـنـفـتـحـوا اخـرى سـاحـة	فـي الـشـرق بـحـكـو عـنـا
مـدي ايـدك لحـنـيـهـا	واحـط الـسـعـد فـيـهـا
والـغـرة ريـشـة نـعـام	والـهـوى يـلـعـب فـيـهـا
حـنـاك شـيـلـة بـهـيـلـة	ونـقـوطـك مـلـى الـكـيـلـة
والـلـي أخـذك مـسـعـد	والـلـي دشـر يـكـشـيـلـه

وتقول النسوة أيضا:

ايش ها الغزال الي راحوا اجيبونة	سبل عيونة ومد ايدة يحنونه
ايش ها الغزال الي عن دارنا مرق	خصره رقيق وبزة العسل عرق
ايش ها الغزال الي عن دارنا عدا	وخصره رقيق وبالكشمير امشدة
ايش ها الغزال الي شعرة على طوله	من جيبته علقوا في لولب احجولة
ايش ها الغزال الي شعره احبال احبال	من جيبته علقوه في لولب الخلخال

ويقول أحدهم على لسان المحروم من حبيبه وقد أعياه الوجد والبعاد:

يا ظريف الطول وجبلوا نقوشك	واعبروك في البيت وما عدنا نشوفك
في طريق العين لذبح خروفك	واعزمك يا زين لو عمري دنا
يا ظريف الطول وجبلوا حناك	واعبروك في البيت وما عدنا نراك
في طريق العين لقعد واستناك	واعزمك يا زين لو عمري دنا
يا ظريف الطول ابد لالك ما في	واعبروك في البيت وما عدنا اناغيك
في طريق العين واقعد ولاقيك	ونيمك يا زين ابموق اعيوننا
يا ظريف الطول اتنهد ويقول	واعبروك في البيت وما عدنا انداريك
في طريق العين وافرش وناديك	ووسدك يا زين رموش عيوننا
يا ظريف الطول نازل عا مصر	يا اخدود البنات يا جبن عصر
في طريق العين لابني الك قصر	ومن دمع عيني لا جبل وطنا
يا ظريف الطول امهود ع العراق	والشعر الاشقر املفلف في الاوراق
الله لا ايجيبك يا شهر الفراق	فرقت مابيني وبين احبابنا
يا ظريف الطول لا تظربني بعود	والدهر ميال لا سبت ايعود
ما بعد من جنى رومانتين ع عود	فرقوا أولاد الحرام مابيننا
يا ظريف الطول يا ابن خالتي	يا عديل الروح غيرت حالتي
جابولي الطبيب يكشف علتي	علتي في القلب ما إلها دوا

يا ظريف الطول وين أهلك غدو
ع سهل حوران شالوا وابعدوا

والله يا معشوق كنهم حيدوا
لا تنسى الاحباب وتنساني أنا

يا ظريف الطول وقاعد عا الناموس
والشعر الاشقر امعقص بالعقوص

مرت عن حبسي يا خويي وانا محبوس
يا ريت حبسي يا وليف في دارنا

يا ظريف الطول عا البيدر درس
حطوا في جمال اهات وجرس

تنده عا الخدم وتقول يا ترس
عجل بالقهوة ضافونا احبابنا

يا ظريف الطول قاعد وزعلان عليي
يا ترى اشو مالو هل الولهان

لروح للصايغ وصغلوا الخلخال
من فضة والماس وارسمو أنا

يا ظريف الطول وطالع سلّمو
من عين كل الناس ياربي سلّمو

يا رايحين ديرة حبيبي وسلّمو
وزيدولي السلام على حبيبنا

ويقول أيضا:

طلعت نص الليل تنده يا فرج
لاني مجنونة ولا عقلي خرج

بدي يا المحبوب أصعدُ ابدرج
وسكرة ومفتاح والبواب انا

طلعت نص الليل الحمص بلتو
أكلت اليابس والأخضر خلتو

ريت المجوز يعدم مرتو
ويصير المجوز والعزابي سوا

على راس العين لزرعلك بصل
يا أم اشعور امهدولة كما الخصل

كتبنا المكتوب يا ربي يصل
يا حسرتي صار الورق مرسالنا

وتنهي كلامها بالمهاهاة:

يا لولو يا فرط الرمان
يا اعيونو يا فتح الفنجان

لو قامت صفطة شباري
لو حطت صفطة شباري

يا نسيمة اضوي العلالي
يا أنور ينعس وينام

وتقول احداهن:

برجم الرقطي وغنى على علالي دار اهلنا
كل البنات اتزوج يا نعمة قاعدة وتستنا
يا بيض يا بيض مانتو خير منا
وحنا شقايق حرير وانتو بطاينا
وانتو اجرار الشنينة وعند العرب مرميات
وحنا اجرار العسل في الدور امخبيات
من فوق قبة موسى ومن فوق قبة موسى

وخـديـدن عـلـى ولـفـي يـا جـبـنـة مكبـوسـا
ولـي مـا ايضـم الخصـر ويـش تـنـفـعـو البـوسـة
والـلـي مـايـورد عـا الـعـين مـاتـرشـو الميـا
غــربـــي دار الامــيـــريـــا مــهـــرة غــرة
ومـشـنـشـلـة بـالـذهـب مـاتـنـطـلـع بـرا
يـا نـبـي عـفـوك يـنـبـي مـا إبـيـضـت احـجـارك
ولــولا الـصـبـايـا الـسـمـر مـا حـدا زارك

وتقول:

واقـعد على العين ونـا لنطر المية
والعرس الك يا الغالي يا ريتو هنية
واقعد على العين ونا لنطر الخيمة
والعرس الك يا هاشم يا ريتو هنية

يـا كـريمـة يـا رفيقتـنـا يـالعزيـزة　　لـو نـدري ودعـنـاك قـبـل الجيـزة
يا كريمة يا رفيقتنا بالعال العال　　لـو نـدري ودعـنـاك وانـتـي بـالـدار

ولأن هذه الحفلة هي الحفلة الرسمية للحناء، فإنها تكون مليئة بالمفاهيم والمضامين الاجتماعية التي تركز على عدة أمور منها، ظفرها بعريسها لحسبه ونسبه وشرف عائلته،وأيضا التغني بها وبأهلها وبجمالهاحتى تتباهى أمام الآخرين. وتعرض مثل هذه الأغاني الكثير من القيم والعادات الاجتماعية التي يحاول أفراد المجتمع إيصالها إلى الناس،، وتردد هذه الأغاني من خلال عدة ألسنة متعددة منها ١- لسان العروسين ٢- لسان أم العروس ٣-لسان صديقات العروس وجاراتها ٤- لسان جموع المهنئات والمشاركات في الحفل ٥- -لسان أهل العريس،، وكل هذه الألسن تصب في النهاية في بوتقة واحدة هي بوتقة المجتمع والصالح العام الذي يسعى كثيرون إلى تجسيده وإظهار محاسنه وقوامه.

الأغاني التي تقال على لسان العروس:

تلك الأغاني تفيض بالحزن على فراق الأهل، وتكون مليئة بالعتاب واللوم للأهل على تزويجهم إياها، وتؤكد مدى تشبثها ببيت أهلها وتحسرها على فراقهم؛ إذ تقول في هذه الليلة الأخيرة التي تقضيها العروس بكرا عند أهلها ما يجعل كثيرا من الناس يظهرون تفاعلا مع الحدث، خاصة عندما تبدأ النسوة بالإنشاد المتناغم مع الإيقاع النغمي.

يــا رب أبـــوي يـحـلـف عــلــي الـلـيـلـة
وأنـــا الــعـــزيـــزة وانـــام وســـط الـعـيـلـة
يــــارب أبــــوي يـحـلـف عــلـــي ثـــانـــي
أنـــا الـــعـــزيـــزة ونـــام وســـط اخـــوانـــي
قـــولـــوا لأبـــوي الـــلـــه يـخـلـي أولاده

استـعـجـل عـلـي واطـلـعـنـي مـن بـلاده
قـولـوا لابـوي الـلـه ايـكـثـر زيـتـه
استـعـجـل عـلـي واطـلـعـنـي مـن بيتـه
قـولـوا لأبـوي الـلـه يـكـثـر مـالـه
استـعـجـل عـلـى واطـلـعـنـي مـن داره [٢٤]

ومـن الأغـانـي التي تـردد على لسان العروس أيضاً الطلب من أمها بأن تحضر لها أغراضها، التي من المعتاد إخراجها معها إلى بيتها الجديد كالفراش والأمتعة الأخرى التي توافق الذوق وامكانية أهلها.

يُمـا ويُمّـا شـدي لـي مـخـداتـي
واطـلـعـت مـن الـبـيـت مـا ودعـت رفـيـقـاتـي
يُمـا ويُمّـا جـيـبـي لـي مـنـاديـلـي
واطلعت مـن البيت مـا ودعـت أنـا جيلـي [٢٥]

وهذا يؤكد عمق الصلة بين الأتراب؛ فكل نص له ما يجعله قريبا إلى نفوس المتلقين، لأن ذكر الأقران والأتراب له مردود نفسي إيجابي في مثل هذه المواقف. نراه تعويضا نفسيا عما يعتري المرء من هموم ومواقف لها وقعها النفسي لدى المجموعين،، وهذا يدلل على أن انتقال العروس إلى بيت الزوجية له معايير خاصة تترك أثرها دون منازع.

لسان أم العروس:

وهناك بعض الأغاني التي تُقال على لسان أم العروس، وكلها ترشح بافتخار ومدح، لابنتها وتركز على الوضع التربوي والأخلاقي لها، وهي بذلك تعمل على تجسيد بعض المواقف المقبولة اجتماعيا التي تنص وتوصي بضرورة الاهتمام بالفتاة وتربيتها أحسن تربية،، لصون شرف العائلة،، وبالتالي عدم الخروج على الدائرة المسموح بها اجتماعياً.

إذ تقول:

لا تـطـلـعـي مـن بـويـتـي يـا معـدلـتـي
يـا مـركـنـة اذيـال بـيـتـي مـع مصطبتـي
لا تـطـلـعـي مـن بـيـوتـي والـهـوا غـربـي
يـا طـلـعـتـك مـن بـيـوتـي حـسـرت قلـبـي

فهذه المقطوعة مليئة بمشاعر الحزن والتحسر على فراق البنت، ولكنها في الوقت نفسه تحتوي على المدح والفخر من قبل الأم لابنتها.؛ إذ قامت الأم باستخدام أسلوب التصغير للدلالة على صغر ابنتها في نظرها، وأنها تستطيع أن تعتمد عليها؛ لأنها ربتها

وأحسنت تربيتها سواء أكانت صغيرة حقاً أم لا.

وتقوم الأم بحثها على تعريف زوجها المستقبلي بأنها كانت معززة مكرمة في بيت والدها،، وتوصيها بأن لا ترضى بأن يتفاخر ويُظهر علو منزلته عليها أو أن يذلها:

قوليلي عليش ربيتي يا عوينات الحية وربيت في بيت ابوي على العز والغية
قوليلي عليش ربيتي يا عوينات الغزال وربيت في بيت ابوي على العز والدلال
قوليلي عليش ربيتي يا عوينات الصقر وربيت في بيت ابوي على الدلال والعقل

ومنها:

ميلي ميلي يا فاطمة على الجنبية
لن خرفك قوليله بنت الدلال والغية
ميلي ميلي يا فاطمة على الطراحة
لن خرفك قوليله بنت الدلال والراحة

ونرى الأم وقد غدت حريصة على إظهار مفاتن ابنتها،، وتجسيد محاسنها وعفتها،، ومدى رقتها ونعومتها،، فنسمعها تنشد أنغامًا تتعالق في النفوس والذاكرة:

ميلي وميلي ياشجرة التفاح ميلي وميلي يا حاملة تفاح
ميلي وميلي عا ام العطر الفواح
ميلي وميلي ياشتلة الريحان ميلي وميلي يا حاملي ريحان
ميلي وميلي ع ام النهد الفتان
ميلي وميلي يا شجرة الرمان ميلي وميلي يا حاملة رمان
ميلي وميلي ع ام القلب الولهان
ميلي وميلي يا شجرة الكينا ميلي وميلي يا حاملة كينا
ميلي وميلي ع عيونها الوسيعة
ميلي وميلي يا شجرة الليمون ميلي وميلي يا حاملة ليمون
ميلي وميلي ع ام العنق المزيون
ميلي وميلي يا شجرة العناب ميلي وميلي يا حاملة عناب
ميلي وميلي ع جسمها الفتان
ميلي وميلي يا شجرة الزعرور ميلي وميلي يا حاملة زعرور
ميلي وميلي عا ام العطر الملفوف
ميلي وميلي يا شجرة الخروب ميلي وميلي يا حاملة خروب
ميلي وميلي عا ساري ها المزيون
ميلي وميلي يا شجرة القنديل ميلي وميلي يا حاملة قنديل
ميلي وميلي عابو العنق الطويل

ميلي وميلي يا شجرة السويد　　ميلي وميلي يا حاملي سويد
ميلي وميلي عا بو الراي السديد
ميلي وميلي يا شجرة البلّوط　　ميلي وميلي يا حاملة بلّوط
ميلي وميلي ع صانع الزعوط
ميلي وميلي يا شجرة الكينا　　ميلي وميلي يا حاملي كينا
ميلي وميلي عالبنت المليحة
ميلي وميلي يا شجرة الصفصاف　　ميلي وميلي يا حاملي الصفصاف
ميلي وميلي عابو القلب الرفراف
ميلي وميلي يا شجرة البطم　　ميلي وميلي يا حاملي بطم
ميلي وميلي عا حبيب العمر

من خلال ذلك نرى الإيقاع النغمي متجانسا إلى حد بعيد،، ونرى المنشدات وقد جعلن الطبيعة شريكا فاعلا في النص، أي أنهن يعمدن إلى عملية الأنسنة المقصودة لمقتنيات البيئة، وما يتشابه مع الموصوف من صفات هادفة.

لسان الصديقة:

ونلاحظ حضور الصديقة في أغاني الحناء، وكيف أنها تساعد صديقتها، وتعمل على إدخال السرور إلى قلبها، ومحاولة طمأنتها، ودفع الخوف عنها مع الدعاء لها ولعريسها بالهناءة والسرور والحياة السعيدة. وهذه الأغاني تؤكد مقولة (الصديق وقت الضيق):

يــا مـــآخــذ رفــيــقــتــي الــلــه يــبــارك لــك
يــطــول عــمــرك وتــظــل رفــيــقــتــي عــنــدك
والــبــارحــة يــا رفــيــقــتــي كــنــت أنــا وأنــت
وايـــش الــعــمــل يــا رفــيــقــتــي تــا تجــوزتــي[٢٦]

إذاً هذه دعابة واضحة تدخل السرور إلى قلب العروس وتفرحها وتجعلها من وراء الدموع الدفينة تضحك،، ويتغزلن بها وبجمالها، ويقمن بالدعاء لها بدوام السعادة عليها وعلى زوجها وبالذرية الصالحة.

لسان العريس:

وهناك بعض الأغاني التي ترددها المغنيات على لسان العريس مثل:

بــوصــيــكــي يــا مــنــقــشــة خــطــيــبــتــي
مــا أخــذتــهــا الا تحــطــيــت ذخــيــرتــي
بــوصــيــكــي يــا مــنــقــشــة يــا أم الحــلــق
مــا أخــذتــهــا الا تَجــهــدنــي الــعــرق

نرى عند مقاربتنا لهذه المقطوعة كيف أن العريس يوصي بالاهتمام بعروسه في أثناء الحناء، ومع أنها عملية بسيطة فإنّه يرى ضرورة الانتباه،، خوفاً على عروسه من الشعور بالانزعاج، وقد ننحو مناحي شتى في تفسير ذلك.

وهناك كثير من الأمور التي لا يسع المقام لذكرها في هذا الباب، لكنها قد ترد في المضامين فيما يأتي.

المضامين الاجتماعية لأغاني الحناء:

من المؤكد أن الأغاني تنضح بعنديات أصحابها؛ إذ هناك كثير من المضامين الاجتماعية التي تؤديها الأغاني. وهي تظهر كافّة الألسنة. وسوف نركز على بعضها لأهميتها وكثرة دورانها وانتشارها في غالبية الأماكن،، ومنها:

١. التغني بجمال العروس والعريس ومنها:

سبل عيونه ومد ايده يحنونه
ايش هالغزال اللي راحوا يجيبونه
سبل عيونه ومد ايده يحنونه
ايش هالغزال اللي عن دارنا عدا
خصره رقيق وبالكشمير مشتدا

× × × ×

يم شعر أشقر يا بنية	يم شعر اشقر يا هيه
قلب وأتفكر يا الولد	قلب واتفكر يا هيه [٢٧]

وعند مقاربتنا لهذه الأغنية تاريخياً نجدها تحتوي على مقاييس حديثة للجمال عند الفتاة؛ إذ هي فتاة رقيقة الخصر، وشعرها أشقر، وشبيهة الغزال في الرقة والنعومة والرشاقة، وهذه المقاييس تعتبر مقاييس لها وقعها الخاص عند مريديها وهي من علامات الجمال والأنوثة،. إذا كان من عادة العرب قديما أنهم يحبذون الفتاة السمينة الممتلئة، وهناك الكثير من البلدان والقرى التي ما زالت على هذه الشاكلة وان تختلف المعايير من بيئة إلى اخرى أو من زمن إلى اخر.

إذاً هذا التغير يؤكد أن الأغاني الشعبية تحاكي التطور الزمني- وهذا ما نلاحظه من خلال مشاهدتنا للدعايات والإعلانات في مناحي الحياة المختلفة لأي منتج تسويقي. المهم في نهاية هذا الأمر أصبحت هذه الفتاة نموذجا يحتذى لبنات جنسها،، وقدوة يقتدى بها.

ومن الأمور الحسنة التي توصف بها العروس أن تكون صغيرة السن؛ إذ إنها لصغر سنها تؤدي دورا وظيفيا في الحياة إذ تُعدُّ المرأة « رمز الخصب والعطاء، وكانت آلهة الخصب منذ أجدادنا الكنعانيين العرب، فهي التي تهب الخصب للطبيعة عن طريق عنايتها ورعايتها» وعادة الحناء وجدت أصلاً من أجل التفاؤل بإنجاب المرأة؛ لأن اللون الأحمر يعزز مثل هذا

الاعتقاد[٢٨].

اتمختري يا حلوة يا زينة	يا وردة من جوا جنينة
يا عود قرنفل يا عروسة	والورد ظلَّلَ علينا
خطرت علينا ببدلتها	والورد الأحمر حرس وجنتها
ما أحلى ليلة حنتها	صغيرة وكاملة المعنى

لذلك تُعدُّ هذه الميزة من حسن حظ العريس؛ لأنها سوف تقوم بدورها المنشود على أكمل وجه، وتنجب الأولاد بكثرة بسبب طول فترة الخصوبة عندها؛ ما يؤكد الثيمة السابقة لزيادة عدد أفراد العائلة والتباهي بهم، لأن العادات والتقاليد سابقا كانت تسمح بزواج الفتاة المبكر، وان لم يزل بعضهم يصر على ذلك، لأن الزواج المبكر له محاسنه ومساوئه على السواء، وان كان الناس لا ينظرون إلى المساوئ إلا وهم خارج نطاق الدائرة، لذا نجد الفنون القولية تمجد هذه المسالة تمجيدا مفعلا ومجسدا كي يصل إلى اكبر شريحة ممكنة من الناس، وقد يكون ذلك للمباهاه او غير ذلك، الا اننا نجده مشخصا في الفنون كلها.

الأخلاق الحميدة:

إن غالبية الأغاني تركز على حسن تربية العروس «الأخلاق الحميدة» لأن قضية الشرف العائلي هي من أهم القضايا التي يحرص عليها أفراد المجتمع، حتى يبقوا مرفوعي الرأس بين الناس، لذلك فهي تُعدُّ فوزا للعريس دون غيره، والآخرون خسروا مثل هذه الفتاة وهذه التربية:

حناك هيلة بهيلة	ونقوشك كله كيلة
ما أخذك الا محمد	واللي فاتك يا ذلة
حناك هيلة بهيلة	ونقوشك ملا الفنجان
ما أخذك الا محمد	واللي فاتك راح زعلان

ومن هذه الأغاني:

واحنا بنات العلا والعلالي	واحنا اللي رافعين رؤوس الاهالي
واحنا بنات العلا والعلية	واحنا اللي رفعنا رؤوس الاهلية

ميلي وميلي كريمة عا جنب الدار	وان حدثك قوليلو شوف المختار
ميلي وميلي كريمة يارمش العين	وان حدثك قوليلو روح سد الدين
ميلي وميلي كريمة يا همس الروح	وان حدثك قوليلو قلبي مجروح
ميلي وميلي كريمة يا ام الدلال	وان حدثك قوليلو ارحل في الحال
ميلي وميلي كريمة يا ام الشال	وان حدثك قوليلو شاورلي الخال

ميلي وميلي كريمة ام الزنار   وان حدثك قوليلو رحلك مشوار

وتقول احداهن مركزة على العلاقة الاجتماعية من خلال المهر:

دلو وقع في البير كلو سمقة
حطينا مهر اسمهان ورقة عا ورقة
دلو وقع في البير وامتلا بالكاز
ومهرك هيه يا رندا من مال الحجاز
دلو وقع في البير وامتلا حرير
حبك هيه يا رندا ها اسمو نبيل

وتقول احداهن:

واحنا العقربة في البير والنا اهدير
واحنا يا بو ساري قاهرين اكثير
وحنا العقربة في الواد والنا اولاد
وحنا يا بوساري قاهرين ابلاد

وتقول أيضاً:

وسعوا المرجة والمرجة لينا
وعرسك امبارك يا نظام علينا
وسعوا المرجة والمرجة تفاح
عرسك امبارك يا هشام يا مرتاح
وسعوا المرجة والمرجة زيتون
عرسك امبارك يا هاشم يا مزيون
وسعوا المرجة والمرجة رمان
عرسك هيه يا هاشم قلي ليش زعلان
وسعوا المرجة ترى المرجة انجاص
عرسك امبارك يا نظام يا رقاص
وسعوا المرجة ترى المرجة حنة
عرسك امبارك عروسك من عنا
وسعوا المرجة والمرجة لولو
عرسك امبارك يا امين قلولوا

وتقول احداهن مظهرة نوعا من المباهاة، واظهار الكرم:

وحنا ذبحنا عا الطريق اذبيحة
وحنا وصلنا للدار المليحة
وحنا ذبحنا عا الطريق الحايل

وحنا نسبنا من خاص الحمايل
وحنا ذبحنا عا الطريق كبشين
وحنا وصلنا دار ابوك يا زينة

وتقول أيضاً:

هزت دبكتنا من هينة لحارس
والليلة سهرة في دار العرايس
هزت دبكتنا من هينا لرنتيس
والليلة سهرة عند ام العريس
وهزت دبكتنا من هينة لعمان
والليلة السهرة عند امات الذهبان
هزت دبكتنا من هينا لريحا
والليلة السهرة في دارك يا امليحة
هزت دبكتنا من هينا للقدس
والليلة السهرة عند بنات القدس
هزت الدبكة من هينا لعابود
والليلة السهرة عند ام اعيون السود

وتقول اخرى:

وان كان يا هشام عازم على اولاد عمو
خلي العزايم تلفي ولا المال اهمو
وان كان يا ساري عازم على اولاد خالو
خلي العزايم تلفي على دارو
وان كان يا هاشم عازم على القرايب
خلي العزايم تلفي عا العزايم
وان كان يا هاشم عازم عا القرابة
خلي العزايم تمشي عا الرواقة
وان يا هاشم عازم عا الموسيقا
خلي العزايم تلفي عا الدقيقة

وتقول أيضاً مغيرة النغم:

شفت بوساري امهود طريق العين عصرية
خصرو رهيف وفي ايدو خاتم الغية
وقولي يا ندوة وانا اتعنيت عشية
فرشلي على الارض ريحة عطاطرية
يا بي ساري يا ثوب الجلاجيلي
يلي كلامك امصابي عا المصاريني

وإن طـالـك ظـيـم يـا خـيـتـي تـعـاليـلي
وانـــا خـيــك كـيـــاد الـرجـاجـيـلـي

وتقول اخرى:

قاسي يارمان قاسي بو ساري رافع لي راسي
لـوا هـا الـرمـان لـوا وبـو سـاري سـنـد لامـو
تحتو يـارمـان تحتـو ويـا هـاشـم سـنـد لاختـو
هـاتـوا يـارمـان هـاتـوا ويـا هـاشـم سـنـد خـواتـو
يا اخضيرة يا املوخية لوعت قلبي الغربية
يا اخضير يا ورق الحنة لوعت قلبي وانا استنا

ما تقدم من نصوص يركز على صون الفتاة لشرفها وشرف عائلتها، وتجسيد عفتها، فهي مثال للشرف عند أهلها وغيرهم على حد سواء.

فهذه الأغنية تقرر قيمة اجتماعية ودينية، وتحث على التمسك بالعادات والتقاليد، وتعتبر الخروج عنها أو الإخلال بها مفسدة في المجتمع، وتؤدي إلى إلحاق العار بأهلها وبنفسها. ولذلك ذهب عقل الإنسان إلى « صقل وضبط الطرف الأول لصالح الطرف الثاني، لكي ينظم تجمعاته ويؤسس لها ارتباطات منمطة حسب العلاقات القرابية، الدموية، ويعطي لها صفة تميزها عن التجمعات الحيوانية» [٢٩] وهذا يكون نابعا من الدين والعرف الاجتماعي الذي يغذيه ويقويه،، وبالضرورة يجب التمسك به والحفاظ عليه.

وصية متبادلة...

وهناك توصيات توجه لأهل العروس و لأهل العريس، على ألسنة المغنيات كافة. لأهل العريس أن يهتموا بهذه العروس ولا يهينوها ويعتبرونها أمانة في أعناقهم، ويجب أن يحافظوا عليها ويحوطوها بالرعاية والاهتمام مثل ابنتهم.

أما أهل العروس، فالتوصية تكون بأن يزوروها بشكل دوريّ ولا ينسونها. وهذا فيه تأكيد لصلة الرحم التي حثت عليها الأديان والعادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة كلها.

خيـتـي يـا الـعـروس ولـي دمـعـة ولـك دمـعـة
بــيــك حــنــين يـــــزورك لـيـلـة الجـمـعـة
خيـتـي يـا الـعـروس ولـي دمـعـة ولـك ثـنـتـين
بــيــك حــنــين يـــــزورك لـيـلـة الاثـنــين

يا أهل الغريبة طلوا على غريبتكم   وان قصرت خيلكم شدوا مروتكم
يا أهل الغريبة طلوا في السنة مرة   وان قصرت خيلكم يعينكم الله

هنا تحاول النسوة التخفيف عنها ألم فراق أهلها،، وإنهم سوف يقومون بزيارتها بشكل دوري دون انقطاع كلما سنحت لهم الفرصة. وبعد ذلك تطلب النساء من العروس الرقص

وتجمع النساء على ذلك. وبعد إصرار الحضور «قديما» تمشي العروس متبخترة بين جمع المغنيات من أجل الرقص،، ويرددن لها:

اتمخطري يا حلوة يا زينة	يا وردة من جوا اجنينة
يا عود قرنفل يا عروسة	والورد خيم علينا
خطرت علينا ببدلتها	والورد الاحمر حرس وجنتها
ما أحلى ليلة حنتها	صغيرة وكاملة المعنى

وبعد ذلك تقوم النساء، بتحنيتها وحثها على هذا العمل؛ إذ يقلن لها:

قومي تحني قومي تحني لحالك
واحنا حطينا شروط ابوك وخالك
قومي تحني قومي تحني يا زينة
واحنا حطينا شروط ابوك الفين
قومي تحني قومي تحني ما ايهمك
واحنا حطينا شروط ابوك وعمك
قومي تحني يا فاطمة لعمر المال
يكفيك يا تيسير يا غالي شمعة الدار
قومي تحني يا فاطمة لا عمر الزيت
يكفيك يا نادي يا غالي شمعة البيت

وهذه المقطوعة تركز على دور العم والخال في زواج ابنتهم، وأنه يحق لهم ذلك مع وجود الوالد دلالة على قوة الترابط العائلي وأهميته.

ومن الأغاني –أيضا– التي تغنى بإيقاع جميل وهادئ هذه الأغنية:

الليلة حنا العرايس يا سلام سلم
واستوى عنب الجناين يا محمد قلم
الليلة حنة العرايس يا لطيف ألطف
واستوى عنب الجناين يا محمد اقطف

وفي نهاية السهرة تردد النساء بعض التراويد لوداع العروس، وهذه التراويد تفيض بالحزن على فراق العروس وعلى مدى حبهن وفقدانهن لها.:

يا رويدتنا يا رولا، يا رويدتنا يا هي
مثل خيتنا نحبك، مثل خيتنا يا هي
من حارتنا رحلت، من حارتنا يا هي
لحارتهم نزلت، لحارتهم نزلت يا هي
خيتي يا كريمة، شعرك عل المية حبال حبال

لاانـــا بـطـولـو، ولا المـيـة تجـيـبـو جـاي

××××××××××

يا بريق حليب يا سارة يا بريق حليب يا هي
أخـذك غريب يا خسارة أخـذك غريب يا هي
يا بريق الزيت يا ناهدة يا بريق الزيت يا هي
تطلعي من البيت يا خسارة تطلعي من البيت يا هي
يا بريق الشرب يا ناعسة يا بريق الشرب يا هي
أخذوك الغرب يا خسارة أخذوك الغرب يا هي
يا بـريـق المـاي يا ماجـدة يـا بـريـق المـاي يـا هي
تطلعي من الداريا خسارة تطلعي من الداريا هي

وهكذا تنتهي ليلة الحناء بطقوسها وعاداتها وتقاليدها وأنماطها ومضامينها،، بدموع فرحها وحزنها بانهائها لمرحلة جميلة من مراحل الحياة،، ألا وهي مرحلة العزوبية،، وابتداء مرحلة جديدة في الحياة وهي مرحلة الزواج وتبعاته وفرحه وحزنه.

وبعد خروج العروس من منزلها الأول،، نسمع المجتمعات ينشدن نغما تحفيزيا لها حتى تستطيع أن تتمالك نفسياً.

قـومي اطلعي قـومي اطلعي لحالك — وحــنـــا وزنـــا بـــالـــذهـــب دلالـــك
قـومي اطلعي قـومي اطلعي يا لا لا — وحــنـــا وزنـــا بـــالـــذهـــب حـلالـك
قومي اطلعي قومي اطلعي مين قدك — وحــنــا جـبـنـالـك الـذهـب لحـدك
قومي اطلعي قومي اطلعي تنشوفك — كـلـك دلال مــن راســك لـعـيـونـك

وتقول احداهن:

وهـيـه يـــاريم الـفـلا وقــف تـشـوف — اشوها الذنب الي اعملتو بعد المعروف
وقـــف لـبـنـت عـمـك مـانـي يمك — لاخذ غيرك واهمك والعين اتشوف
وقـف لبـنـت خـالـك مـانـي ابحـالـك — لاخذ غيرك بدالك والعين اتشوف
وقـف فـي نـص الحــارة بـنـت الجـارة — لاخذ غيرك جكارة والعين اتشوف
وقـــف لـلـشـلـبـيـة عـــا الـعـلـيـة — لاخـذ بـدالـك مية والـعـين اتـشـوف
وقـف لبـنـت سـيـدك مـانـي بـريـدك — واخـذ غيرك واكيد والعين اتشوف
وقـف فـي نـص الحــارة والـنـصـارى — خليهم يشهدوا حالك والعين اتشوف

وعندما تصل العروس إلى بيت الزوجية نرى المهتمين من الجاهات يستقبلونها،، ويظهرون تعاطفهم معها، وتنشد النسوة متفاعلات مع الحدث أناشيد تنم عن حرصهن على إظهار المحبة للجميع والتفاعل الجماعي.

ياريتك امبيركة علينا علينا علينا علينا

واتبشري بالصبي يلعب حولينا
يلعب حولينا يلعب حولينا
ياريتك امبيركة عا هاشم لحالو عا هاشم لحالو
واتبشري بالصبي يلعب مع اقرانو يلعب مع اقرانو
ياريتك امبيركة مازيونة ياحلوة مازيونة ياحلوة
واتبشري بالصبي يلعب على صدره يلعب على صدره

ومن أجل الثراء المقصود للموضوع حاولنا جمع ما استطعنا جمعه من نصوص غنائية شعبية تتغنى بها النسوة في مناسبة الحناء، والتي لم تدرج في الصفحات السابقة، وهي لم تزل تعيش في ذاكرة بعض النساء اللواتي لهن تفاعل مع المناسبات الشعبية (وهذه تاتي حسب التسلسل الزمني لعملية التتابع في طقوس ليلة الحناء) .:

من وين جبت الحنا ساري يا عريس
من كل عطار شوية والعطر من باريس
من وين جبت الحنا هاشم يا فهمان
الحنا من عنا والعطر من عمان
من وين جبت الحنا شميم يا بطل
الحنا من عنا والعطر من قطر

××××××××××××

شفته بيجبل الحنا بالهيل يا يما
عسى الحنا يحنيني بالهيل يا يما
يا منكشة نكشيها باليد لا توجعيها
يا ريت الوجع للاعادي والحب يا ريته سليمة

××××××××

جايب الحنا على التكسي
خضبن البيض بالنقشة
جايب الحنا على تكسياته
خضبن البيض على دياته
جايب الحنا اشوار اشوار
خضبن البيض على الذرعان
جايب الحنا في السيارة
خضبن البيض الأمارة

×××××××

حنانا يا محمد حنانا
يا عريس بيع أمك وكمل على حنانا

قومي تحني ياعروس لاعمر المال
يكفيك ياحبيبي شمعة الدار
قومي تحني ياعروس لاعمر الزيت
يكفيك يا نديمي شمعة البيت
××××××××××
حناك هيلة بهيلة ونقوشك هذا كله
ما أخذك الا محمد والي فاتك يا ذله
حناك هيلة بهيلة ونقوشك ملا الفنجان
ما أخذك الا محمد واللي فاتك راح زعلان
حناك هيلة بهيلة ونقوشك ملا الكاسة
ما أخذك إلا محمد على عنين كل الناس
××××××××××
حنا يا حنا يا ورق الليمون
والحنا لايق على ايدين المزيون
حنا يا حنا يا ورق التفاح
والحنا لايق على ايدين الملاح
حنا يا حنا يا ورق السريس
والحنا لايق على ايدين العريس
حنا يا حنا يا ورق الخروب
والحنا لايق على ايدين المحبوب
حنا يا حنا يا ورق البصل
والحنا لايق على ايدين البطل
حنا يا حنا يا ورق الرمان
والحنا لايق على ايدين العرسان
حنا يا حنا يا ورق العناب
والحنا لايق على ايدين الشباب
×××××××
حنيها واركنيها على خزانتها
قال ابوها مباركة على عمتها
حنيها واركنيها على المالية
قال ابوها مباركة هالغالية
×××××××
مشطك وقع في التطلي يا أم الحلق
بيك رضي ولا نزيده ورق

مشطك وقع في التطلي يا فلاحة
بيك رضي ولا نزيده راحة
مشطك وقع في التطلي يا نشمية
بيك رضي والا نزيده مية
مشطك وقع في التطلي يا مزيونة
بيك رضي والا نزيده شلونه
×××××××
قولي لابوي الله يخلي أولاده
واستعجل عليّ وطلعني من بلاده
قولي لأبوي الله يخلي ولده
استعجل عليّ وطلعني من بلده
قولي لأبوي الله يكثر زيته
استعجل عليّ واطلعني من بيته
قولي لأبوي الله يكثر ماله
استعجل عليّ واطلعني من داره
×××××××××
يمّي يا يمّي حشّيلي مخداتي
واطلعت من البيت ما ودعت أنا خواتي
يا الام يا الام لميلي مناديلي
واطلعت من البيت ما ودعت أنا جيلي
يا الام يا الام شكي لي خرز فضة
الله يعطيك الصبر على طلعتنا بره
يا الام يا الام شكيلي لولو ومرجان
الله يعطيك الصبر على طلعتنا من الدار
××××××××××
يا شوفتها يا خواتي تمشي في ظل عراق
يا خصرها يا جماعة حير المراق
يا شوفتها يا خواتي تمشي في ظل التين
يا خصرها يا جماعة حير المسكين
××××××××××××
ايش هالغزال اللي مشيته على مهلة
من غيته عقدوا شعره على ظهره
ايش هالغزال اللي دمعه على شفافه
من غيته عقدوا شعره على أكتافه

ايش هالغزال اللي عن دارنا مارق
كفه محنا وبوزه في العسل غارق
ايش هالغزال اللي عن دارنا عدّا
خصره رقيق وبالكشمير مشتدا
ايش هالغزال اللي في الوكرة وكّر
خصره رقيق ومعلق بالسكر

××××××××××

يا طالعين الجبل يا موقدين القوس
واحنا شوينا على ناركم جاموس
ما بدنا منكم لا قطعة ولا فلوس
الا الغزال اللي عندكم محبوس
يا طالعين الجبل يا موقدين النار
لا بدنا منكم لا قطعة ولا دينار
الا الغزال اللي عندكم جوا الدار

××××××××××

شوفتها يا اخواتي وابن اختها معها
واربع خواتم ذهب في رووس أصابعها
ما قلت لك يا قليل العقل طاوعها
والعروس مليحة ومفتاح السعد معها

×××××××××××

الليلة حنا العرايس يا سلام سلم
واستوى عنب الجناين يا محمد قلم
الليلة حنا العرايس يا لطيف ألطف
واستوى عنب الجناين يا محمد اقطف

×××××××××

يا حسيرتي من طمعهم فرطوا فيي
من قلة المال باعوا واشتروا فيي
يا حسيرتي من طمعهم راحوا باعوني
من قلة المال للأغراب أعطوني
يا بريق حليب يا فاطمة يا بريق حليب يا هي
أخذك غريب يا خسارة أخذك غريب يا هي
يا بريق الزيت يا فاطمة يا بريق الزيت يا هي
تطلعي من البيت يا خسارة تطلعي من البيت يا هي
يا بريق الشرب يا فاطمة يا بريق الشرب يا هي

أخذوك الغرب يا خسارة أخذوك الغرب يا هي
يا بريق المال يا فاطمة يا بريق المال يا هي
تطلعي من الدار يا خسارة تطلعي من الدار يا هي
×××××××××
لا تطلعي من بيتي يا معدلتي
يا مركني اذيال بيتي مع مصطبتي
لا تطلعي من بيتي والهوا غربي
يا طلعتك من بيتي حسرت قلبي
لا تطلعي من بيتي والهوا شرقي
يا طلعتك من بيتي ضيقت خلقي
×××××××××××
يا رويدتنا يا فاطمة يا رويدتنا يا هي
مثل خيتنا نحبك مثل خيتنا يا هي
من حارتنا رحلت من حارتنا يا هي
لحارتهم نزلت لحارتهم يا هي
خيتي يا فاطمة شعرك على المية حبال حبال
لانا بطوله ولا المية تجيبه جاي
قعدنا تنودعها خيتي يا فاطمة قعدنا تنودعها
واحنا نودع وهي تسبل مدامعها
وامبارحة يا رويدة كنت أنا وانت
وشو السبب يا رويدة تا تجوزت ياهي
وامبارحة يا رويدة كنت عند امك
وشوالسبب يا رويدة أخذت ابن عمك
يا رفيقتنا يا فاطمة يا رفيقتنا يا هي
مثل خيتنا نحبك مثل خيتنا يا هي
بنت قد ومد يا فاطمة بنت قد ومد ياهي
يا كبير الجد يا بيك يا كبير الجد يا هي

أغاني الزفاف

بعد إتمام ليلة الحناء، والمراسيم المتبعة في ذلك، نجد أهل العروسين يستعدون لإتمام الزواج متمثلاً في مراسيم الزفاف، فيكون هناك أغانٍ خاصة للرجال، وأغانٍ خاصة بالنساء، ومن عادات الناس أن يُدعى العريس للاستحمام في منزل أحد الأقرباء أو الأصحاب المقربين، وتبدأ المسيرة،؛ حيث يخرج المحتفلون من مكان تجمع الرجال يغنون ويهزجون وصولاً إلى مكان استحمام العريس، ويحتفلون أمام المنزل أو في باحته إن كان كبيراً أو في الشارع حيثما تكون الظروف مواتية، والأهازيج والمهاهاة تتلاقى وهي تمجد العريس وأهله والأصهار، ومن يحضر من الأهل والمعازيم والضيوف، وتكون النساء خلف جموع الرجال في جموع حاشدة، كل يغني بما يليق بمقامه، وقد تتداخل جموع الرجال بجموع النساء قليلاً، بعد أن يعتلي العريس صهوة فرسه المعدّة للركوب أصلاً، ويتحلقون حول العريس رجالاً ونساءً ويغنون غناءً شفافاً مؤثراً، وتكون الأولوية لأغاني الرجال ولا بد من أحد القوالين يقود مجموع الرجال:

طلع الزين من الحمّام
الله واسم الله عليه
طلع الزين من الحمّام
ريحتو ورد وعناب
طلع الزين من الحمّام
وشكل ورد وريحان
اه يا زهر الرمان
حامل عا امو غير أوان

طلع الزين من الحمّام   الله واسم الله عليه
طلع الزين من الحمام   الله واسم الله عليه

عريسنا زين الشباب
زين الشباب عريسنا
عريسنا عنتر عبس
عنتر عبس عريسنا
عريسنا امبارك حمامك
عسكر والضابط امامك
محمد زين وذكره زين
أبو سرور كحيل العين

محمد زين وذكره زين
عريسنا يوخذ ثنتين

وبعد أن يشاهد المحتفلون عريسهم وقد اعتلى صهوة فرسه، تبدأ الأهازيج بحماس ومحبة:

امبارك حمام العريس
ابها الساعة الرحمانية
امبارك حمام العريس
امبارح فصّلنا القميص
يا عريس لا تهتم
وحنا شرايين الدم
انت الملك واحنا الشعب
ضيوف مع امحلية
امبارك عرسك يا عريس
ابها الساعة الرحمانية
يا ها العرس المبارك ما فيه ولا خسارة
الله والحامي اللـه الله والحامي الله
نيخ يا جملنا نيخ
جملنا امحمل بطيخ
عن درب الحلوة مابنزيح
نيخ يا جملنا نيخ
جملنا امحمل شمام
في حضن الحلوة تنام
نيخ يا جملنا نيخ
جملنا امحمل تفاح
اخذت قلبي والمفتاح

وعندما تتداخل جموع الرجال مع النساء، ويتحلقون حول العريس يهزجون ويرقصون، تسمع الحادي يقول:

يا بيضة يلي في الشبّاك
طلي وشوفي افعالنا
وانتن غواكن شعركن
وحنا غوانا سيوفنا
يا بيضة يلي في الشباك

طلي وشوفي افعالنا

وعندها ترى العريس يقف فاصلاً بين جموع الرجال والنساء، أي يتوسط جموع الفريقين بفرسه، تبدأ عملية الحث على المسير من قبل الرجال:

سيروا كما سار الجمال
صيت العريس يرفع الراس
يا عين كوني صبارة
ع اللي اخذوه يا خسارة
بيني وبينك صار الحرب
يا ابتنفيني يا بنفيك
بيني وبينك صار الحرب
عشان قصاصة الشليش

وبعد المسير قليلاً تسمع أحدهم يقول:

الله يمسيكم بالخير
ضيوف ومع محلية
وأنا برجوكم يا قوم
تشدوا لي الكف اشوي [٢٧]

لذا يستجيب الحاضرون، وهم يتمايلون على أنغام الأكف والهاجس المسيري في عملية التواصل مع الفرح والشدو الغنائي الصادح من حناجر الناس الموجودين حتى تتداخل عملية التواصل العام والخاص، فتسمع ألحاناً متعددة، منها الوطني ومنها غير ذلك، أي أن هموم الوطن تتجسد في تلك اللحظة، وتسمع أقوالاً حماسية فاعلة:

بارودنا موزر عتيق
واللي يصيبه ما بفيق
صهيوني زول من الطريق
هذه البلاد بلادنا
حطوا البيارق ع الجبال
وتبشري يا بلادنا
شبابك شيالة الحمال
يوم الشدة بتشوفينا
يا بنت يا اللي ع السطوح
طلّي وشوفي حالنا
انتن غواكن شعركن

واحـــنــا غـــوانـــا سـلاحـنــا
لا بـــد مـــن يـــومـــن صـحـيـح
نـفـدي الـوطـن بـارواحـنــا [٢٨]

وبعد سماع هذه الألحان الوطنية ترى الشباب يتفاعلون ويهدسون الأرض بأرجلهم، وتتمايل أجسادهم والعرق يتصبب منها، ويرددون:

ديـــر المـيّــة ع الـكـيـنـا	ويــلــك يـلـي اتـعـاديـنـا
ديـر المّـيـة عـلى الليمون	ولـــي ايـعـاديـنـا مجنـون
ديـر الميّـة على الصفصاف	من الي ايعادينا ما انخاف
ديـــر المـيّـة كـف ابـكـف	ولـــي ايـعـاديـنـا يـنـشـف
هـر السـمسـم ع الصـنـدوق	بـالـلـه إشـويـي تـا انـذوق
اطـلــع بـــرّى يـلـي فـوق	سـوق اجمـالك خـيـي سـوق
وديـــر المـيّـة عـلى الكينا	ويــلــك يـلـي اتـعـاديـنـا
وديـــر المـيـة واسـقـي الغـار	وديـــر بـالـك مـن الـكـفـار
وديـــر المـيـة عـا الـطـيـون	ولـــي ايـعـاديـنـا ممحـون
وديـــر المـيـة عـا الـعـنـاب	ومن الي ايعادينا ما انهاب
وديـــر المـيـة عـاالخـروب	ولـــي ايـعـاديـنـا مـضـروب

وعندما يحاول أحدهم تهدئة الخواطر كي يعيد النغم إلى الغناء العاطفي تسمع أحدهم متحمساً ينشد:

ونـــا يـا قـاطـع الـسـدرة	عـصـاتـي لا اتـعـريـهـا
فـيـهـا الخــوخ والـرمـان	امـعـلـق فـي دوالـيـهـا
فـيـهـا ايـات الـعـبـد الـلـه	يـــا قـــاري كـــلام الـلـه
ونـــا يـا قـاطـع الـسـدرة	عـصـاتـي لا اتـعـريـهـا
وفـيـهـا الخـوخ والـرمـان	امـعـلـق فـي دوالـيـه

عندها تسمع الصيحات المتجاوبة وهي تنشد فرحاً وحماساً تعبيراً عن رفض الخنوع السائد في المجتمع.، واستبشارا بالقادم من خلال الأمل الذي يجلي النفوس عبر الأهازيج، والمواويل العطرة التي ينشدها الجميع.
أما ما يخص النساء في حفلة الزفاف، فهو كثير قد يكون أكثر مما يقوله الرجال، فما أن يخرج العريس من الحمام يعتلي صهوة الفرس، تبدأ النساء بالمهاهاة والأغاني ذات المضامين المتعددة، والإيقاعات المختلفة:

طالع من الحمام عرقو ناشف

هاشم يا يمة نور هل الكاشف
عريسنا يا ناس مين قال عنو اسمر
أبيض من الجبنة وأحلى من السكر
جيبولنا هاالعريس تنشوف حلاتو تنشوف حلاتو
ميتين ليرة ذهب انقوط لمراتو انقوط لمراتو
جيبولنا هل العريس ابكامل صفات ابكامل صفات
ميتين ليرة ذهب هندام خواتو هندام خواتو
جيبولنا هل العريس تنرقص امامو تنرقص امامو
ميتين ليرة ذهب لعمتو وخالاتو لعمتو وخالاتو
جيبولنا هل العريس حتى انزف للدار حتى انزف للدار
ميتين ليرة ذهب فرشها للثوار فرشها للثوار

ويردفن ايضا:

قلي وين ازفك يا بو اعيون اوساع
على بير زمزم والعطر فواح
قلي وين ازفك يا بو عيون السود
في الصخرة الشريفة والنبي داوود
قلي وين ازفك هيه يا اسمر يا زين
عا بلاط الصخرة وبين الحرمين

وتقول:

ديـري ارجـالـك قـدامـك يـاام الـدبـوس
وانـا ارجـالـي قـدامـي ابـعـز ونـامـوس
ديـري ارجـالـك قـدامـك يـاام الذهبـان
وانـا ارجـالـي قـدامـي ابـعـز وامـان
ديـري ارجـالـك قـدامـك يـا ام اسـوارة
ونـا ارجـالـي قـدامـي عـا المـنـارة
ديـري ارجـالـك قـدامـك يـا ام قـلادة
وانـا ارجـالـي قـدامـي مـلا الـوادي

وتقول اخرى:

ومـدايـدك عـا خـراخـش حـلـقـهـا
وهـات المحـرمـة ومـسـح عـرقـهـا
ومـد ايـدك عـا خـراخـش ذنـيـهـا
هـات المحـرمـة ومـسـح عـنـيـهـا

عندها تسمع احداهن وهي تهلهل كي تخرج المحتفلات من النغمة الحالية إلى نغمة

ايقاعية خاصة:

هي ائي يا وجهك قمر وشعرك مثل الليل
والوسط من رقتو بيهد القوي والحيل
يا صايمين الضحى ومفطرين الليل
ردوا لي غزالي لا اتصيبو العين

وتقول:

هي ائي يا حوطك بالله وحدي
هي ائي والثانية ثنتين
هي ائي يا والثالثة خرزة زرقا
هي ائي والرابعة اترد عنو العين

وتقول ايضا:

وارقصي ابثوب الملاس يا عطاف
عريسي على الكرسي يا جهاد
ورقصي تغنيلك يارندة وارقصي تغنيلك يا لالا
يسلموا قناديلك يارندة يسلموا قناديلك يا لالا
وان غاب القمر ايظويلك بو ساري
وان غاب القمر اظويلك يا لالا
وارقصي نتفي نتفي كريمة وارقصي نتفي نتفي يا لالا
وارقصي نتفي نتفي يا لالا
والعبي يا لعيبي واعتلي يا قمر
زفي حبك كريمة تحت الشجر
والعبي يا لعيبة واعتلي يا نجوم
زفي حبك كريمة تحت الليمون

وتقول:

على رام الله شدوا الرحال اليوم على رام الله
على رام الله
حلوة وماشاء الله عروستك يا بو اهشوم
حيلوة وما شاء الله حيلوة وما شاء الله
على المستشفى حطوا الرحال اليوم
على المستشفى على المستشفى
ريتو ما يشفى عدوك يا ساري
ريتو ما يشفى ريتو ما يشفى

وتقول المرودة:

أعطونا عروستنا وخلونا انسير

بلدنا بعيدة انخاف الخنزير
بلدنا بعيدة انخاف الخنزير
أعطونا عروستنا وخلونا انروح
وبلدنا بعيدة انخاف الوحوش
وبلدنا بعيدة انخاف الوحوش

وبعد خروج العروس من المنزل تغني النسوة:

وادعس وادعس يا شوفير عا العقبة
يا ذهب عا الرقبة يا نادي يا ذهب عا الرقبة يا لالا
وادعس ولا ايهمك يا نادي وادعس ولا ايهمك يا لالا
الله اخليك لامك يا هاشم الله اخليك لامك يا لالا
دوس وانت دايس يا شوفير دوس وانت دايس يا لالا
واحمولك عرايس يا شوفير واحمولك عرايس يا لالا
دوس على الراحة يا شوفير دوس على الراحة يا لالا
واحمولك نصارى يا شوفير واحمولك نصارى يا لالا
دوس على المحرمة يا شوفير دوس على المحرمة يا لالا
يا قظامة اموشمة يا ختام يا اقظامة اموشمي يا لالا
دوس عا البلاطة يا شوفير دوس عا البلاطة يا لالا
والعروس خياطة يا شوفير والعروس خياطة يا لالا
دوس على الدعسة يا شوفير دوس على الدعسة يا لالا
عروستنا امنعسي يا شوفير عروستنا امنعسي يا لالا
دوس عا الرماني يا شوفير دوس عا الرماني يا لالا
والعروس زعلاني يا شوفير والعروس زعلاني يا لالا
دوس على الريحا يا شوفير دوس على الريحا يا لالا
والعروس مليحة يا شوفير والعروس مليحة يا لالا

وتقول ايضا:

شوفير الباص هيه يا بو محرمة هيه يا بو محرمة
لاحد المحكمة لاحد المحكمة بلاه اتوصلنا لاحد المحكمة لاحد المحكمة
شوفير الباص هيه يا بو شاشي هيه يا بو شاشي
ذهب رشادي لبسها يا نادي ذهب رشادي ذهب رشادي
شوفير الباص هيه يا بو اسورة هيه يا بو اسورة
لاحد المندرة لاحد المندرة بلاهي
اتوصلنا لاحد المندرة لاحد المندرة

يوم عرسك يا ساري ميت تكسي الي ادور، ميت تكسي الي ادور
عازم عا اولادة عمو والمزيكا للحضور والمزيكا للحضور
يوم عرسك يا ساري ميت تكسي الي تمشي ميت تكسي الي تمشي
عازم على اولاد عمو والشباب تلعب دبكة والشباب تلعب دبكة
يوم عرسك يا هاشم ميت تكسي باب الدار ميت تكسي باب الدار
يوم تمشي بالزفة اترش العطر عا العقال اترش العطر عا العقال
يوم عرسك يا شميم ميت تكسي عا الحشيش ميت تكسي عا الحشيش
يوم نطلع نزفو نرش العطر عا الشليش نرش العطر عا الشليش

وتقول احداهن تخاطب شفير التكسي:

يا راعي التكسي السودة يا راعي التكسي السودة
دربك وعرة وسنوده وعلا دربك وعره وسنوده وعلا
اسحب من دمي بنزين اسحب من دمي بنزين
وبراغيها من ازنودة وبراغيها من ازنودة وعلا وعلا
يا بو التكسي المزوق يا بو التكسي المزوق
سوق بينا لا تتعوق سوق بينا لا تتعوق
علا يا عيني علا علا يا عيني علا
نبه على حارسنا نبه على حارسنا
قبل البلد تطوق علا قبل البلد تطوق علا
علا يا عيني علا علا يا عيني علا
قبل البلد تطوق علا
روح تكسي بلدنا روح تكسي بلدنا
على ظهرو خاشوقة على ظهرو خاشوقة وعلا
حبيبي بطل عني حبيبي بطل عني مع ستعشر كوشوكة وعلا
روح تكسي بلدنا روح تكسي بلدنا
على ظهرو دماية على ظهرو دماية علا
ابن عمي بطل عني ابن عمي بطل عني
مع ستعشر صرماية مع ستعشر صرماية علا

وتقول احداهن:

غلبناكم غلبناكم ابعزم الله غلبناكم
لو حطت بالسهل دولة لو قامت بالسهل دولة
اجمال امحملة هولة ابعزم الله غلبناكم
غلبناكم غلبناكم بعزم الله غلبناكم

لو حطت بالسهل عسكر لو قامت بالسهل عسكر
اجمال امحملة سكر ابعزم الله غلبناكم ابعزم الله غلبناكم
غلبناكم غلبناكم ابعزم الله غلبناكم
لو حطت بالسهل عربان لو قامت بالسهل عربان
اجمال امحملة ذهبان ابعزم الله غلبناكم ابعزم الله غلبناكم

وتقول احداهن بايقاع مختلف:

عن فوق رمش العين الغرة ميالة
صلوا على النبي العروس غزالة
عن فوق رمش العين الغرة مكوية
صلوا على النبي العروس شلبية
عن فوق رمش العين الغرة محلاها
صلوا على النبي العروس يا مبهاها
عن فوق رمش العين الغرة مقصوصة
صلوا على النبي العروس محروسة

وتقول احداهن:

ميعاد المسا الله ايمسيكم
نويتوا على الفرح جينا انهنيكم
ميعاد الصباح الله يصبحكم
نويتوا على الفرح جينا انفرحكم

وتقول:

يا اخيار امقشر يا ازنود اديها يا ازنود أديها
طلعت كريمة سموا عليها سموا عليها
مع الصباح طلعت كريمة مع الصباح مع الصباح
والعطر فاح والهوى نسم والعطر فاح والعطر فاح
وين ملاقيكن يا بنات عا دار ابو ساري يا لالا
وشوا فرشولكم يا بنات بساط الحرير يا لالا
وين ملافيكن يا بنات عا دار ابو ساري يا لالا
وشو فرشولكن يا بنات بساط الاكارم يا لالا
يا عود الكينا طولك كريمة يا عود الكينا يا عود الكينا
صبي واسقينا من نبع خدك صبي واسقينا صبي واسقينا
يا عود التينة طولك كريمة يا عود التينة يا عود التينة
جيبي واعطينا من لون اخدودك جيبي واعطينا جيبي واعطينا
يا عود الرمان طولك كريمة يا عود الرمان يا عود الرمان

من خاص الذهبان طولي واعطينا من خاص الذهبان من خاص الذهبان
يا عود الليمون طولك كريمة يا عود الليمون يا عود الليمون
من لون العيون جيبي واعطينا من لون العيون من لون العيون
من حالو ساق السيارة من حال باركول بالعروس يا اولاد خالو
من يمو ساق السيارة من يمو باركول في العروس يا اولاد عمو

وتسمع احداهن تغير اللحن فتقول:

واحنا البنات وغيتنا جلالينا	**يصفر لونك ولا تقدر تحاكينا**
يا ابن العم يا سل الكنايس	**بنات عمك خطبوهن فوارس**
يابنت العم لا تدعي علينا	**حكينا فيك ما طلع بدينا**
يا ابن العم يا ضمة حرير	**لحطك بين جنحان واطير**

يا قرع يا قرع يا امدحدل على السكة
ابيض من الجبنة واحلو من السكر
ولي امفارق وليف كيف يقدر يحكي
يا قرع يا قرع يا امدحدل على الحيطان
ولي امفارق وليف كيف يقدر ينام

وتدخل بعض المرودات عنصر التحدي والمفاخرة تجاه الفتاة التي اصبحت في عداد الاسرة بعد زواجها من ولدهم فتقول مخاطبة الحاضرين والحاضرات بنوع من الثبات وتجسيد محاسن العروس:

وشو اتقولوا في بنتنا يا امراء العرب
وانكان فيها حوفة علينا اللوم والعتب
وان كانت طويلة رمح خيالنا
وان كانت قصيرة بارود ارجالها
وان كانت طويلة يا رمح خيالها
وان كانت سمرا عسل في اجرارنا
وان كانت بخيلة بتربي اصغارها
وان كانت مستورة بتحافظ على اسرارها
وان كانت امعززة تبقى سياج دارها
وان كانت بيضة قمر بضوي دارها
وان كانت بخيلة بتحافظ على مالها
وان كانت كريمة بجيب الصيت لرجالها
وان كانت تحب العلم تسترنا من نارها

وتهلهل احداهن وتقول:

والطول طول الرمح والشعر كنو ليل
وعنقها عنق الغزال هياتو يتمايل ميل
والخصر من رقتو هد القوى والحيل
يا نايمين الضحى واتنبهوا في الحال
هيو شميم صاد الغزال الي في البال

وتقول:

هي ائي يا ورفعي راسك يامرفوعة الراس
هي ائي وما فيك حوفة ولا ما قالت الناس
هي ائي وروحي لابوك ابوسط السوق وقوليلو
هي ائي يا وحنا خواتم ذهب والناس لباسي

وتقول:

هي ائي وحنا بنات الشمس والشمس امنا
هي ائي والبدر ابونا والهلال ابن عمنا
هي ائي روحي لبوك ابوسط الناس وقوليلو
لا حدا داسنا ولا ما قالت الناس
هي ائي قومي يابنت الاجواد قومي
هي ائي يازعفران فارسي يا زهر ليموني
هي ائي يا زي الامارة تلبس بنت الدلال كوني
هي ائي يا ياسمين امفتح في تشارين وكانون
هي ائي يا تفاح عسيلي والندى عليه بادي
هذي بنتك يا ساري وما يعلا عليك عالي
هي ائي يابي ساري ياعصبة على راسي
هي ائي يا مركبك من دون المراكب راسي
واتمنيت مركبك يقلب من الذهب صافي
واظل في قلوب الاعادي على مدار الزمن راسي
هي ائي يا اهل الفرح ريت فرحكم دايم
صوت الغناني نبهني وانا نايم
هي ائي يا اهل الفرح ريت فرحكم يدوم
صوت الفوارد صحاني من عز النوم
هي ائي يامرحبا بالامارة ولي ظافونا
هي ائي واخضرت الجبال وكنهم نسيونا
هي ائي وان شاء الله نيجيكم في افراحكم
هي ائي وانضيفكم يا اكارم مثل ما ضفتونا

وتردفها الاخرى فتقول:

هي ائي يا مرحبا ابمين اجانا
هي ائي ابوسط النهار العالي

هي ائي والضيف في دار نزل
هي ائي يا ساري انت الغالي

اشو اتقول ابنتنا يا امير الحج حسين
توقف على الفارعة تهتز راس العين

والكحل في المكحلة والورد عا الخدين
ولي ايشوف العرايس يزور نبينا الزين

لمين تصلح جوخة ام اكمام
تصلح لساري وعمن جيد الخال

عرفني بخالك ولا يا جيد الخالي
خالي بو تيسير والله والنعم خالي

يا بي عبدالله يا الله والغربة ذلتنا
كلمة عويلي قامتنا وحطتنا

نذر علي يا خيي ون روحتوا عا ديرتنا
لنذبح ذبايح ونقول اليوم فرحتنا

يا بي ساري اتمنيتلك في السما بستان
لا تطول دولة ولا تدانيه الحكام

اتمنيتلك محرمة امشنشلة باغلى مرجان
مسح جبينك وطالع من باب النبي عرقان

يا بي ساري يا شعري على ظهري
يا دارنا الواسعة يا برجنا الغربي

يا ما قلتلك يا خالتي وردن على النهر
ملي قلوب الاعادي بارود مع قهر

وتقول احداهن تخاطب من تراه عشما لها:

لاطلع ع الطيارة فوق وافكك براغيها
يا حبيبي يا شميم انت الشباب امحليها

لاطلع على الطيارة وفك اعيون الماطور
يا هاشم يا بو حطة دير بالك من الي فوق

لاطلع على الطيارة وغني اشكال والوان
وازفك هيه يا ساري على الحلوة ام الذهبان

لاطلع على الطيارة ورش العطر من فوق
ونيمك عا صدري استر استر يلي فوق

لاروح ابوسط الاسواق وانقي الخاص الخاص
واتباها فيك يا نادي انت الذهب على الراس

لاروح ابوسط الاسواق وانقي الحبة الحبة
واتباها فيك يا ساري انت الذهب المنقة

لاروح ابوسط الاسواق وانقي الحلال الزين
واتباها فيك يا شميم انت يا كحلي في العين

لاروح ابوسط الاسواق وانقي اجمل اللثياب
يوم عرسك يا ساري لتحنا وحني الابواب

وتقول احداهن قاصدة تغيير الايقاع النغمي، وخلق الدافعية من اجل التفاعل مع الحدث:

رشولي عا اكزاز الدار رشولي احلى ريحة
يازفتك يا ساري في العصر والله امليحة

رشولي عا اكزاز الدار رشولي عليه مية
يا زفتك يا هاشم بعد العصر الها هية

رشولي في اذيال الدار رشولي امعطر جو
يا زفتك يا شميم بعد العصر اضوي ضو

رشولي في الجناين رشولي احلا العطور
يا زفتك يا نادي بعد العصر كلها نور

وتقوا ايضا:

يا شوفة شفتها عا حيطان ابوها
تلبس قلايد ذهب والفعل لخوها

يا شوفة شفتها اتعبي القطن في الخيش ولي جوزها نذل ترخي السوالف ليش
يا شوفة شفتها بتنقش وتلمي اربع جدايل شقر عا اصديرها ضمة
يا شوفة شفتها من بيتها للبيت والحماسة في ايدها ومتحجة في الزيت
يا شوفة شفتها بين اكروم رام الله غابت عليها الشمس يا امهيرتي يلا
يا شوفة شفتها بين كروم التين غابت عليّ الشمس يا مهرتي طيري
يا شوفة شفتيها بين كروم اللد غابت عليّ الشمس يا امهيرتي شدي
يا شوفة شفتها بين اكروم التفاح غابت علينا الشمس يلا بدنا نرتاح
يا شوفة شفتها بين كروم الليمون غابت علينا الشمس حظي صرت مجنون
يا شوفة شفتيها بدندن على العود من شدة حزني انا ذبلن ها الخدود
يا شوفة شفتيها تحصد ابعالي النهار ومن لامس اصديرها تلسع احرور النار
يا شوفة شفتيها بتغمر في الغمور وابتكتب على كفها دير بالك يا محرور
يا شوفة شفتيها بتعدد قطر الدموع لبعث سلامي انا الك هيه يا مزيون

وتقول:

يا قدر على النار وبيدي رديتو
وافرح يا قلبي هذا الي تمنيتو
ياقدر على النار ويا لحم ضاني
وافرح يا قلبي جوزنا هل الغالي
يا قدر على النار ويا رز وحليب
وافرح يا قلب جوزنا هل الحبيب

وتقول:

ونا قاعد على الدرج ودموعنا مثل البرد
والحمد لله ياربي مابعد الضيق الا الفرج
ليلة سعيدة والقمر على داري
كلو على شانك ياساري يا غالي

عندها تتدخل احداهن وتغير مجرى الايقاع النغمي، بكلمات لها دلالات خاصة، وتحمل رمزية شفافة، حيث تتفوه النسوة بمفردات ويراد بها امور اخرى، غير المصرح بها:

محلى حمام الدار محلى زغاليلو محلى شميم العريس وامو اتغنيلو
محلى حمام الدار ومحلى برمات محلى شميم العريس تفرحلو خياتو
محلى حمام الدارلما ايبرجم ويقول محلىشميمالاميراسمرظريفالطول

وتقول ايضا:

جيت اغني لساري امو ماني شايفها	ياريت عرسك امبارك انا جاي افرحها
جيت اغني لهاشم اختو ماني ميريها	ياريت فرح امبارك ونا جاي اهنيها
وحنا جينا عزومة مش حيّاالله	على صيتك بو ساري يا ما شاء الله
وحنا جينا عزومة من ام العروس	على صيتك يا هاشم تلمع سيوف
وحنا جينا عزومة من ارض الشام	على صيتك بو ساري نلبس ذهبان
وحنا جينا عزومة يا اجاويد	على صيتك يا هاشم نلبس جديد
وحنا جينا عزومة يا اهل الدار	على صيتك بو ساري نشتل الغار
وحنا جينا عزومة يااهل الاصول	على صيتك يا شميم نسكن قصور

وتقول احداهن مظهرةً حالة الخلاف التي قد تقع بين ام العريس والعروس، وكيفة حالات التمني التي نسمعها على لسان العروس، ومثل ذلك يأخذ منحى خاصا في رسم العلاقة بين الجميع:

امو يا أمّو اخليلو امو سبع كناين تعبر عا امو
جايبلي شمام ما باكل شمام حتى عا الحمام لحقتني امو
جايبلي بطيخ ما باكل بطيخ حتى عا المريخ لحقتني امو
جايبلي ثومي ما بوكل ثومي عا غرفة نومي تلحقني امو
جايبلي فقوس ما بوكل فقوس حية ابسبع روس تقرصلي امو
امو يا ومو يحرق شيب امو
من ثقب الحمام اتراقبني امو
حية ابسبع روس اتزغزغلي امو
حية ابسبع روس اجننلي امو
حية ابسبع روس تصرد راس امو
لي ولاامك تحرق شيب أمك
دولة علي بيك بطارد في أمك
أمي في الحارة وأمك في الحارة
دولة نصارى اطربق ورا أمك
أمي في فقوس وأمك في فقوس
حية باربع روس تقرصلي أمك
يا اصحون امطبق بالسمن امغرق
لني بطلق ما بطعم أمك
يا سمك بوري بين القبور
يا حية طولي تقرصلي أمك
أمي صدر البيت وأمك قاع البيت

دولة علي بيك اطربق ورا أمك
وقف تقلك وقف تقلك
اللحمة الي والعظمة لامك

وتردف احداهن بنغم مغاير:

غنين تا تتعبن عدد صرار الوادي
كل يوم يدخل عريس وتظل ها العادة
غنين تا تتعبن في عرس هاشم يا بنات
كل يوم ندخل عريس ودوم ها العادات
وين ام العريس تا نيجي وانهنيها
نرقص وانغني في جو علاليها
وين ام العريس تا نيجي وانفرحها
تا نيجي نرقص وانغني في مطارحها
وين ام العريس تترقص وتقول
ساري ياالمزيون يسلملي عمرك
وين ام العريس جيبوها قوام
تا ترقص واتغني ابعز ودلال

وتقول احدى صديقات العروس بعد الحناء:

حنيتها واركيتها عاالمالية
قال ابوها مبروكة ها الغالية
حنيتها واركيتها عا خزانتها
قال ابوها مبروكة عا عيلتها
حنيتها واركيتها عا البلوطة
قال ابوها مبروكة ها المسخوطة

وتقول احداهن على لسان العريس:

سوسحتني يا لمى في لبسك وملبوسك
الله اخلي امحبينك واظلي في ناموسك

وتتداخل ملامح العريس مع صفات العروس:

حنة يا حنة يا ورق السريس
والحنة لايق على ايدين العريس
حنة يا حنة ياورق الزيتون

والحـنــة امــلايم عــا ايــديــن الـغــنـدور
حــنــة يــا حــنــة يــا ورق الــزعــرور
والحـنـة امــلايم عـلـى ايـديــن المـزيــون
حــنــة يــا حــنــة يــا ورق الـتـفــاح
والحـنــة امــلايم عــلــى ايــديــن المــلاح
يــا راشــات الــعــطــر يــا غــاويــات
يـــاراشـــات الــعــطــر كــفــراويــات
يـــاراشـــات الــعــطــر عــلــى الجــيــبــة
طــايــحــات عــلــى الــســاحــة ابــعــزة وهــيــبــة

وتقول احداهن وتريد مكايدة أم العريس:

يا اجرين الصوصة يا أم العريس يا اجرين الصوصة ياهيه
طول عمرك مغصوصة يا أم العريس طول عمرك مغصوصة ياهيه
يا اجرين الجاجة يا أم العريس يا اجرين الجاجة يا هيه
من يومك غناجة يم العريس من يومك غناجة يا هيه
يا اجرين القرقعة يا أم العريس يا اجرين القرقعة يا هيه
من يومك امقرقعة يا أم العريس من يومك امقرقعة يا هيه

وتقول احداهن من أجل مناكفة من يتزوج غريبة:

لزعق زعاق الطير عا حيطان أمي أقدم سبع اسنين واخذ ابن عمي
لزعق ازعاق الطيرعا ظهر العريش لقدم سبع اسنين واخذ أبو الشليش

وتقول لإظهار حالة الصراع بين البيضة والسمرة:

ارحم يا ربي ارحم البيضة والسمرة ما ابتنحب لنها سنيورة
أنا السمرة السمورة بغرد مثل العصفورة
يا بيضة يا مصفورة مثل الليمونة مهرية

وتقول احداهن قاصدة تغيير مسار اللحن:

الـلـه ايمـسـيـكـم الـلـه ايمسيكم	عـنـدكـم فــرح جـيـنـا انـهـنـيـكـم
الـلـه ايمـسـيـكـم ومـسـي الـغـالـي	عـنـدكـم فــرح اهــل الــدلال
الـلـه ايمـسـيـكـم ويمـسـي الـبـلاد	عـنـدكـم فــرح يــا اهــل الجـهـاد
الـلـه ايمـسـيـكـم ويمـسـي الحـارات	عـنـدكـم فــرح اهــل المــنــارات
الـلـه ايمـسـيـكـم كـل واحـد باسمو	مريتوا عا الفرح تتشوفوا حسنو

وتتدخل احداهن بقول يثير خاصية معينة مقصودة، عند النساء والرجال على حد سواء:

ثلاثة واربعة سبعة واثنين تسعة   يا حمام البر بيض وفقس تسعة
وقلي كيف الارملة بتنام بلا   لسعة وكيف بطيق الغطا

عندها تسمع القهقهات والهمسات المقصودة، وترى الغمزات التي تنم عن استغراب خاص، الا ان من تفوهت بالذي اثار الفضول لا تأبه لذلك، وتتواصل مع الجموع النسوية، مستجيبة للحدث، وتسمع ايقاع الطبلة بخاصية معينة:

عددوا المهرة عددوها قوام   تييجي شميم ابو احسن قوام
عدّدوا المهرة وشدّوا عليها   تيجي شميم ويركب عليها
عدّدوا المهرة وقولوا يا ستار   تيجي ساري أبو الخد العطار
عدّدوا المهرة وقولوا يا لطيف   تيجي هاشم أبو الحسن اللطيف
عدّدوا المهرة وشدوّا ها اللجام   تا يجي شميم ويركبلي قوام
عددوا المهرة واسرجوها بامان   تاييجي نادي ابو الحسن الفتان
عددوا المهرة شمموها الورود تا   ييجي ساري ابو العيون السود
عددوا المهرة ومشوها للامام   تاييجي العريس ابو الحسن الفهمان

وبعد هذا الحماس والتفاعل من مجموع النساء، وما تردده من همسات صادحة تسمع احداهن تقول وهي تعد لزغرودة بعد الهلاهل:

هي يا راكب مهيرة الغرّة
هي ما محملها ذهب صرّة
هي يا ساري ان ذكرت الله
هي يا عروستك كاملة وحرّة (٢٩)

وتقول احداهن:

احلق يا حلاق وامسح بالشفرة   واحلق يا حلاق وقصلو غرة
وامسح جبينة ابمحرمة خضرا   ورشلي عليه جورية وعطرة

وتعود النسوة إلى مخاطبة العريس من جديد، بعد أن تهلهل مستجيبات مع الحدث:

قلّي وين ازفك يا بو عيون السود
على بير زمزم اتوضى الرسول
قلّي وين ازفك يا بو عيون اوساع
قلي وين أزفك يا بو هدم انظيف
أزفك في الساحة والشعر طويل
قلي وين أزفك يا أسمر يا زين

ع الصخرة الشريفة وعا النبي روبين
قلي وين أزفك لبسني الخلخال
في الشارع المشجر وفي أرض الخلال
في الصخرة الشريفة وأبوابها الوساع

وتبدأ النسوة إلى تجسيد أوصاف العريس الخارجية، وتعداد ملامحه التي ترى فيها كل من الهاتفات والمنشدات الشيء الايجابي الذي لا بد من تخليده او اثارة مفاتنه حتى يكون قريبا من النفوس المتلقية لما تشدو به حناجرهن، لذا تحاول كل منهن ان تجسد ما تراه من ملامح قد تكون حقيقية وقد تكون تخيلية.

عـريـسـنـا يـا بـو سـاعـة لمّـاعـة
مــرق ظـعـنـا مــن بــين الجـمـاعـة
هـيـه يـا ذيـب الخـلايـا بـو قـمـيص
فـي بـلـدنـا عـجـيـبـة زفّـة عـريـس
هـيـه يـاريم الخـلا يـا بـو قـمصان
فـي بـلـدنـا عـجـيـبـة زفـة عـرسـان
ريـت الـعـريـس يـعـدم بـنـات اعـمامو
طـاح الـزفـة مـا رقـصـن قـدامـو
ريـت الـعـريـس يـعـدم بـنـات العيلة
طـاح الـزفـة مـا هـلـلـن هـلـيـلـة
يـا رايـحـة لام الـعـريـس قـولـي لها
عـريـسـنـا طـاح الـزفـة جـعـان
كـزبـت لـه مـيـتـين جـاجـة محـمـرة
يـوكـل ويـطـعـم جملـة الـعـرسـان (٣٠)

وتقول اخرى:

مــرق يـا سـاري مــن الحـارة مـرق
والـعـنـق شـبـريـن وهـيـك الـلـه خلق
مــرق يـا سـاري مـن الحـارة عـريـس
والـعـنـق شـبـريـن ومــن فـوق القـمـيص
مــرق يـا سـاري مـن الحـارة وسـيـم
والـعـنـق شـبـريـن وهـيـك الـتـقـاسـيم
مــرق يـا هـاشـم مـن الحـارة ابـدلال
والـعـنـق شـبـريـن واخـذتـو بـالحلال
مــرق يـا هـاشـم مـن الحـارة عـرقـان
والـعـنـق شـبـريـن وفـي حـب غـرقـان
مــرق يـا هـاشـم مـن الحـارة ابـريـحـة

والعنق شبرين واخذ المـاليحة

ومع وصول موكب العريس إلى المحطة الأخيرة من مسيرة الزفاف، تنسحب النساء ويبقى العريس معتلياً فرسه في ساحة الرجال، وتبدأ عملية مناكفة العريس بمفردات تنم عن رمزية شفافة، بعدها يجلس في مجلسه المخصص، أو يشترك في مسابقة الخيل، أو أية ألعاب أخرى يعتاد عليها الناس، لذا نسمع أحدهم يقول:

هينا واحبس لا تمشيش
ع شان امات الشليش
هينا واحبس في الشارع
بيضة والسدر دالع
يا ساري يا بو حطّة
من وين صايد هل البطة
يا هاشم يا بو عقال
من وين صايد هل الغزال
يا ام ثوب امطرزتية
بالله من وين طرزتيه
طرزتو في بيرزيت
كل غرزة برطل زيت
الموت ولا الذلية
انا إبن الرفتية
شامم ريحة حندقوق
دير بالك من إلى فوق
من غمزات عيونك مجروح
يا روحي ويا عينيي

وعندما يحتدم الصراع بين الصفين من السحيجة، تسمع أحدهم يهتف بعلو صوته، يتحدى اقرانه فيقول:-

خلوا الزعامة للزعيم والناس تلزم حدها
ولي احاربنا انحاربه وبالسيف نقطع شاربه
ويا شيخ علمك ما وصلنا من قبل ما ايهب الفزيع
والله لو كنا علمنا أرواحنا عندك نبيع

وبعد ذلك الاحتدام ينبري أحدهم حتى يغير الايقاع المتدفق، الحامل في طياته الدافعية نحو تأصيل الحدث، بايقاعات خاصة فيقول:-

سيـروا على ماقـدر الله ولكاتبة ربـك ايصير
ويـارب أستـر مـا نوينا يـا امهون الأمـر العسير

كل ذلك يرينا مدى استجابة المحتفلين،؛ ما يدفع بأحدهم أن يبادر إلى جمع (النقوط) للعريس، لذا يبدأ المحبون،، وأهل الرأي بتقديم المال للعريس وأحدهم يسجل أسماء المتبرعين كي يبقى ديناً في ذمة العريس وأهله حتى يساعدوا غيرهم في المستقبل، ومع حلول الظلام يأخذ كبير القوم بيد العريس، ويسيرون بعد تناول العشاء إلى بيت الزوجية، ويتبرع أحدهم بإظهار المشورة للعريس، ونسمع الهتاف الجماعي:

شطبـنـا اسـم الـعـريـس مـن دفـتـر العـزوبـيـة
شطبـنـا اسـم الـعـريـس مـن دفـتـر العـزوبـيـة
عـبـلـة عـا الـلـوج ابـتـسـتـنـاك يـا عـنـتـر
عـبـلـة عـا الـلـوج ابـتـسـتـنـاك يـا عـنـتـر
مـن حـالـو سـاق الـسـيـارة مـن حـالـو
بـاركـولـوا فـي الـعـروس يـا اولاد خـالـو
مـن يمـو سـاق الـسـيـارة مـن يمـو
بـاركـولـوا فـي الـعـروس يـا اولاد عـمـو

وتهزج احدى النساء السائرات مع الركب، بعد ان تغير اللحن بوساطة الطبلة التي تتفنن بايقاعاتها بعض النساء فتقول:

يا شوفير ادعس بنزين عا المية وتسعة وتسعين
يا شوفير دوس دوس الله يبعثلك عروس
ياشوفير لا تهتم بكرا عرسك يا ابن العم
يا شوفير غض الطرف خاف لا يجيك الضرب
يا شوفير يابو سيجارة حرص من اهل الحارة
يا شوفير اطلع ها الطلعة الله ايكبرلك ها الصلعة
يا شوفير يا فهمان تغمزلك ام الذهبان
تغمزلك ام الذهبان تغمزلك ام الذهبان

وتقول ايضا تصف السيارة وصاحبها:

وعجاله زبيب تمبيلك يا هاشم وعجالة زبيب
تا ركب الحبيب سايق عليك الله تا ركب الحبيب
واعجالة تفاح تمبيلك يا محمود وعجاله تفاح
تا ركب الملاح سايق عليك الله تا ركب الملاح
واعجالة خروب تمبيلك يا محمود وعجاله خروب

تا ركب المحبوب سايق عليك الله تا ركب المحبوب
وعجالة رمان تمبيلك يا أحمد وعجاله رمان
بعطيك الذهبان تتركب المحبوب بعطيك الذهبان
وعجاله دراق تمبيلك يا محمود وعجاله دراق
تا ركب الملاح سايق عليك ألله تا ركب الملاح

وتقول أخرى:

سوق وانت سايق يا شوفير … سوق وانت سايق يا لالا
واحمولك عرايس يا شوفير … واحمولك عرايس ياالالا
سوق عا رام الله يا شوفير … سوق عا رام الله يا لالا
واحمولك ما شا الله يا شوفير … واحمولك ما شاء الله يا لا لا
سوق على ريحا يا شوفير … سوق على ريحا يا لالا
والعروس مليحة يا شوفير … والعروس مليحة يا لالا
سوق وانت ماشي يا شوفير … سوق وانت ماشي ياالالا
لا اتحمل بلاشي يا شوفير … لا اتحمل بلاشي يا لالا
سوق وانت الاول يا شوفير … سوق وانت الاول يا لالا
والعريس امهجول يا شوفير … والعريس امهجول يا لالا
سوق على عمان يا شوفير … سوق على عمان يا لالا
حمل ام الذهبان يا شوفير … حمل ام الذهبان يا لالا
سوق على اربد يا شوفير … سوق على اربد يا لالا
والعروس ابتحرز يا شوفير … والعروس ابتحرز يا لالا
سوق بلا محرمة يا شوفير … سوق بلا محرمة يا لالا
والعروس اموجبة يا شوفير … والعروس اموجبة يا لالا
سوق وانت شايف يا شوفير … سوق وانت شايف يا لالا

وتقول احداهن:

يا شوفير اضرب زامور وكهربا … ساري لافي على أمو يا مرحبا
يا شوفير أضرب زاموروكهربتين … شميم لافي على أمو يا مرحبتين

ومع وصول المركب إلى دار العروس، تبدأ النسوة بالترويد لها، ومخاطبتها بلغة ايقاعية استقطابية خاصة:

بدك تكسي ولا فرس تركبي … بدي تكسي وأهلي معي تنتخي
بدك تكسي ولا فرس مكحولة … بدي تكسي واتباري الحمولة

بدك تكسي ولا فرس يا نشمية بـدي تكسي واتبـاري الكلية

وبعد ركوب العروس في سيارة الفاردة، تخاطبها النساء بلهجة خاصة:

ادعس يا شوفير ادعس ولا ايهمك جبنا لك عروس اتزول همك
يا هلا بيه يا هلابه يا هلا بالتكسي الي جابه
ان كان جايب أبو ساري في الحنة لحني بابه

ويقلن ايضا:

ركبنا التكسي وامشينا وما شاورنا أهالينا
تسلم عينة ها الشوفير ما زيت الماكينة
اركبنا التكسي الحمرا ومشينا عا ضوالقمره
قلتله قديش اتريد قلي بوسة يا سمرة
واركبنا التكسي البيضة ووصلنا لصريدة
قلتل قديش اتريد قلي بوسة يا سعيدة
واركبنا التكسي الخضرا واسهرنا سهرة قمرة
قلتله قديش اتريد قلي بوسة يا حسرة
قلتلو قديش اتريد قلي بوسة يا حسرة
قلي بوسة يا حسرة وقلي بوسة يا حسرة

وتقول احداهن:

ديـروا الميـة الصافيـة عـا البـاذنجـان
امبـارك مـا سويتـوا يـا أهـل العـرسـان
ديـروا الميـة الصافيـة علـى الحـارة
امبـارك مـا سويتـي يـا هـاالجـارة
ديـروا الميـة الصافيـة عـا البنـدورة
امبـارك مـا سويتـي يـا سنيـورة

وتقول أيضا:

أول مانبدي عا النبي انصلي ونعلق ذنيها ذهب عسملي
جوز المليحة يعبر ويصلي وجوز الشنيعة عا الطوابينا
أول مانبدي عا النبي الهادي نعلق ذنيها حلق رشادي
جوز المليحة يعبر وينادي وجوز الشنيعة عاالطوابينا
أول ما نبدي عاالنبي الرسول نعلق ذنيها حلق العصفور

جوز المليحة يعبر بالدستور وجوز الشنيعة عاالطوابينا

إلى أن يصل موكب الرجال إلى بيت العريس، ويدلف العريس بصحبة والديه والمقربين، ويجلس إلى جانب عروسه بعد ان يلسعه أحدهم لسعة تنم عن خبث خاص، لان تلك اللسعة لها دلالات معينة عند الشباب، اويقدم أحدهم ويضربه باحدى يديه، وتكون النساء قد وصلت إلى منزل العريس قبل وصول الرجال، ما يجعل عملية المباهاة والتشكرات متبادلة بين الطرفين:

يخلف على بو محمود	يخلف عليه مرتين
طلبنا النسب منو	واعطانا بناتو الثنتين
يخلف على بو محمد	يخلف عليه للاول
طلبنا النسب منه	وعطانا غزال مصور

وتخرج النساء في موكب جلل، وتبدأ الحادية تردد كلمات لها معنى خاص، وبالذات عندما يسير الموكب ماراً في شوارع القرية، لأن القرى تتمتع بخصال اجتماعية خاصة، حيث الأسرية والحمائلية والعشائرية والقبلية وتوابعها، هي السائدة والمسيطرة على قيم المجتمع القروي وثقافة أبنائه، لذا نجد النصوص القولية الشعبية حافلة بهذه المعطيات، اذ تعمد بعض النساء إلى تفعيلها والتوكيد عليها حتى تستعذب ما تهدف اليه من أمور محسوسة، تعلمها كما يعلمهاغيرها من الناس:

لورا يا خيل اعادانا لورا	واردين ع العين والحرس مرة
لجنب يا خيل اعدانا لجنب	واردين ع العين والحرس كلب
لقدام يا خيل اهلنا لقدام	واردين ع العين وحنافي امان
جوري يا خليلية	جوري واقطعي المية
هات يا خط القلم بالتلفون	واللي بدو الحليوة يجي لهون
هات يا خط القلم بالورق هات	واللي بدو الحليوة يجي ويبات(٣١)
إتلوّ يا شعر الحيّة على الديّة	والشيخة الك ساري الها هيّة
اتلو يا شعر الحيّة على الديات	والشيخة لابو ساري الها هيّات
اتلو يا شعر الحيّة على البنات	والشيخة الك هاشم لها الهيات
اتلو يا شعر الحيّة على الجرّة	والشيخة الك شميم الها نظرة
اتلو يا شعر الحيّة على الابريق	والشيخة لابو نادي والله بتليق
اتلو يا شعر الحيّة على الذهبان	والشيخة معك نادي عز وأمان
اتلو يا شعر الحيّة على الصلبان	والشيخة إلك ساري هيه يا فهمان
اتلو يا شعر الحيّة على النهود	والشيخه الك ساري عن الجدود
اتلو ياشعر الحيّة على الانهار	والشيخة الك ساري عز وفخار

اتلو ياشعر الحيّة على المحيط والشيخة الك هاشم تحيي الغريق
اتلو ياشعر الحيّة على الجبال والشيخة الك شميم عز الرجال
والشيخة الك هاشم هية يا فهمان والشيخة الك ساري هي من زمان
كيّف كيّف يا ساري مالك زعلان على حدّك خديجة طلق الريحان
كيّف كيّف يا هاشم ولا تهتم على حدّك يا مريم خفيفة دم
عقبال يا شميم عقبالو وارقص وغنّي قدّام
عقبال يا شميم للاول نخطبل غزال امصّور

ومع خروج العروس من بيتها الأول تسمع اقوالا ملحنة مؤثرة:

عا المودعي عا المودعي تعي يا عروس تا نتودعي
عا المودعي عا المودعي من جوا الشباك طلي وارجعي
طلت من الشباك وقالت هيه يا بيي انا الغريبة وديرو بالكو عليي
لبسنك الابيض طية على طية طية عربية وطية افرنجية
وهيه ياريم الفلا وقف تشوف وشوها الذنب الي عملتو بعد المعروف
وقف لبنت عمك ماني يمك لاخذ غيرك واهمك والعين اتشوف
وقف لبنت خالك ماني مالك لاخذ غيرك بدالك والعين اتشوف
وقف في نص الحارة لبنت الجارة لاخذ غيرك حقارة والعين اتشوف
وقف للشلبية عا العلية لاخذ بدالك مية والعين اتشوف
وقف لبنت سيد اما باريدك واخذ غيرك واكيدك والعين اتشوف

وتقول احداهن تحث العروس على النهوض للخروج من بيت اهلها:

قومي اطلعي قومي اطلعي مش همّك
وحنا دفعنا حقوق ابوك وعمك
قومي اطلعي قومي اطلعي لحالك
وحنا دفعنا حقوق اهلك وخوالك
قومي اطلعي قومي اطلعي يا زينك
وحنا دفعنا راس والمال والدين

وتسمع احداهن ترود بلحن عتيق يشترك في ترديده اهل الشام كلهم:

عا الصالحية عا الصالحة يا وردة جورية وامفرفحة
جابلي وجابلي عقد اللو ريتو يلبق لي
حاكيتو شي ؟ لا والله، نغنشتو شي ؟ لا والله
ونا لعندو رايحا عا الصالحية عا الصالحا

وتغني أخرى:

عـا الــروزنــا عــا الــروزنــا كـل الـهـنـا فـيـهـا
شــو عـمـلـت الـــروزنـــا الـلــه ايـجـازيـهـا
يــا رايــحــين عــا حـلـب حـبـي مـعـاكـو راح
يــا امـحـمـلـين الـعـنـب تحـت الـعـنـب تـفـاح
كـل مـين حـبـيـبـو عـنـدو وانــا حـبـيـبـي راح
يــاربـــي نـسـمـة هـــوا اتـــرد الــولــف لـيـا

وبعدها يسمع المرء إحداهن وهي تردد:

يخلف على ابو ساري يخلف عليه مرتين
طلبنا النسب منه واعطانا بناتو الثنتين
يخلف على ابو محمد يخلف عليه للاول
طلبنا النسب منه وعطانا غزال مصور
طلعت المزيونة زينة هل بنات
امنقشة بالحنة وتلبس السوارات
طلعت المزيونة تتجمل الدار
يا خدودها الحلوة اضوي المدارات
أعطونا عروستنا يا اهل الدار
أعطونا عروستنا ضو النهار
أعطونا عروستنا يا أهل الخير
أعطونا عروستنا تلبس حرير

عندها تسمع احداهن وقد غيرت اللحن وبدات بالمهاهاة التي تجسد تفاعلها مع الحدث:

يـــابـــي ســـاري يـــاثـــوب الجـــنــازيـــري
يـلـي كـلامـك بـصـابـي عـاالمـصـاريـنـي
وان طـالـك الـظـيـم يـا اخـتـي تـعـاليلي
وانــا طــول عـمـري كـيـاد الـرجـاجـيـلـي

وتقول:

هـــوا يـــا هـــوا لا اطـيــر مـنـديـلـو
وانـــت يـا هـاشـم عـزيـز عـلـى جـيـلـو
هـــوا يـــا هـــوا لا اطـيــر عـبـاتـو
وانـــت يـا نـــادي عـزيـز عـا حـلـواتـو
رنـــت الـصـيـنـيـة عـلـى عـمـان
والحـلـــوة زعــلانــة بــدهــا ذهـبــان

بـــــالاف رظـيــهـا واعــطـيــهـا
يـا شـمـيـم يـا غـالـي هـيـه يـا فـهـمـان
الـــــوادي الـــــوادي مـشـيـهـا يـاسـاري
الـــــوادي الـــــوادي الـلـه مـعـو الـلـه
ذهـــب رشــــادي لـبـسـهـا يــا هـاشـم
ذهـــب رشــــادي الـلـــه مـعـو الـلـه
الـــــوادي الـــــوادي مـشـيـهـا يـا سـاري
الـــــوادي الـــــوادي الـلـه مـعـو الـلـه
خـــاتـم واقــــلادة لـبـسـهـا يـا شـمـيـم
خـــاتـم وقــــلادة الـلـــه مـعـو الـلـه
الـهـيـشـي الـهـيـشـي مـشـيـهـا يـا سـاري
الـهـيـشـي الـهـيـشـي الـلـه مـعـو الـلـه
قـــص الـشـلـيـشـي عـلـمـهـا يـا شـمـيـم
قـــص الـشـلـيـشـي الـلـه مـعـو الـلـه
بـــين الــــدوالـــي مـشـيـهـا يـا سـاري
بـــين الــــدوالـــي الـلـــه مـعـو الـلـه
ذهـــب عـسـمـلـي لـبـسـهـا يـا هـاشـم
ذهـــب عـسـمـلـي الـلـــه مـعـو الـلـه

ولما تصل العروس مع موكبها وتدخل إلى بيتها الثاني (الزوجية) يبدأ الحاضرون بالإنشاد:

ميـلـي يـا ريـحـانـة والـعـروس زعـلانـة
حـلـفـت مـا بـتـحـنـا تـايـجـي الـعـرانـي
حـلـفـت سـاجـدة مـا بـركـب عـا الـفـرس
الا فـــي زفّـــــة وحـــوالـيــهـا حـــرس
حـلـفـت يـا مـريـم مـا تمـشـي عـلـى الارض
الا فـــي زفّـــــة وحـــوالـيــهـا مـيّـة
حلفت يا نهاد ما تمشي في الساحات
الا فـــي زفـــة وحـــوالـيــهـا جـاهـات
حلفت خديجة ما تلبس على الموظات
إلا لــســـاري إلـبـسـهـا إســــوارات

وبعد جلوس العروس إلى جانب عريسها، تسمع الترحيب والاهتمام من الجميع، ومن ثم يطلبون منها مشاركتهم بالرقص ان كانت بمفردها، او مع زوجها، عندها تسمع الغناء

التحفيزي لها كي تتشجع وتبدا عملية الرقص، لذا تقول النسوة:

طيحي ارقصي يا كريمة بالمحارم
بيك هلي انتخالك ريتو يجعلو دايم
طيحي ارقصي يا هالة ببريق الزيت
الله ايخليلك ساري قنديل البيت
طيحي ارقصي خديجة بالمناديل
ربي ايخليلك ساري عمرو طويل
طيحي ارقصي خديجة في اذيال الدار
الله ايخليك ساري شهم ومغوار
طيحي ارقصي خديجة في قاع البيت
الله يحميلك ساري شمعة البيت
طيحي ارقصي خديجة بنت الدلال
الله يحمي عريسك ابن الحلال
طيحي ارقصي خديجة وما حد قدك
يا ساري ياحبيبك قدو ابقدك
طيحي ارقصي خديجة ام الذهبان
على حدك يا ساري طلق الريحان
طيحي ارقصي خديجة بالجدايل
حتى ايشوفك حبيبك والحمايل
طيحي ارقصي ساجدة ابوسط الدار
تيجي حبيبك يا طلق الغار

ومع انتهاء السهرة في بيت العريس، وقد اجتمع شمل العريسين تحت سقف واحد، تجتمع مجموعة من النسوة يعرفن بحبهن للمرح ويدعون إلى لعبة الشيلة او الطيارة اوالدبكة النسائية، ويتحلقن وتبدأ احداهنّ بالأنشاد ويرددن من ورائها وهن يهدسن الارض بارجلهن، ويتمايلن استجابة للحدث، عندها يتدخل أحد الصبية بايعاز من إحداهن، ويبدا بايصال اطراف اغطية رؤوس المتحلقات مع بعضها، ومع الحركة الاولى وديمومتها، تتساقط اغطية رؤوسهن وتظهر شعورهن، ما يثير الحرج او السخط عند بعضهن فتحدث الجلبة فيما بينهن، وتتهم احداهن الاخرى فيما حدث، عندها تسمع القهقهات والهمس المتبادل، وبعدها نسمع الإيقاع المتجدد:

شالت شالت شالت — وحق النبي شالت
شالت شيلوها — وعلى جمال ابوها
ويوم خطبوها — ادموع عيني شالت

شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت عا بلدنا وحطت عا بلدنا
وسوسحت ولدنا وها العشرة ما طالت
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت عا رام الله وحطت عا رام الله
حليوة ما شاالله ردّي العصبة مالت
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت على ريحا وحطت على ريحا
يابنت يا امليحة وردي العصبة مالت
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت عا المدينة وحطت عا المدينه
والبنت المليحة شلحت مناديلها
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت على العين وحطت على العين
والسمرة المليحة ذبلتلها عيني
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت على الخواص حطت على الخواص
والبنت المليحة عانقتني في الباص
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت عا العلالي وحطت عا العلالي
يا ساري يا غالي تهنى بالدلالي
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت على بيروت وحطت على بيروت
يا حلوة يا ام كبوت ردي الكحلة سالت
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت عا الفوارة وحطت عا الفوارة
حبيبي يالغالي موعدنا في المغارة
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت على جنين وحطت على جنين
يا حلو يا نادي احضن ها الزغاليل
شالت شالت شالت وحق النبي شالت
شالت على ريحا وحطت على ريحا
هالةها المليحة بتبرجملك عا الدوم

شـــالـــت شـــالـــت شـــالـــت وحـــــق الــنـــبـــي شـــالـــت

شـــالـــت عـــلـــى الاغـــــــوار وحـــطـــت عـــلـــى الاغـــــــوار

ابـــــــو وجـــــــه امــــــــدور بـــغـــنـــيـــلـــك دلـــعـــونـــا

ابـــــــو وجـــــــه امــــــــدور بـــغـــنـــيـــلـــك دلـــعـــونـــا

وتقول النساء مظهرة اخلاق وكرم اهل العروس:

يـخـلـف عـلـى بـوسـاري يـخـلـف عـلـيـه لـلاول

طلبـنـا الـنـسـب مـنـو واعـطـانـا غـزال امصور

يخلف على بو تيسير يخلف عليه بالثاني

طلبـنـا الـنـسـب مـنـو واعـطـانـا جـوز الـغـزلان

يـخـلـف عـلـى بـو سـاري يـخـلـف عـلـيـه خلفين

طلبـنـا الـنـسـب مـنـو واعـطـانـا بـنـات الـثـنـتـين

واذا كانت احدى النساء ليست راضية على العروس شكلا او سلوكا، تحفز الاخرين على رفضها والمشاركة بتانيبها نفسيا وتعنيفها اذا اقتضى الامر ذلك، او تسمعهن ينشدن المواويل لتبيان قبحها، والتشهير بقبحها ان امكن ذلك، كما فعلت احداهن عندما قالت تعير العروس بقبحها، فهي ليست وسيمة كما ترتئي:

يا رايح على الدير ملي عبّك اخيار لا صالحة امليحة ولا ابتحرز المشوار

يارايح على الدير ملي عبّك فقوس لا صالحة امليحة ولا ابتحرز الفلوس

يا رايح على الدير ملي عبّك ملفوف لا صالحة امليحة ولا ابتحرز الدفوف

يا رايح على الدير ملي عبّك بطيخ لا صالحة امليحة ولا ابتحرز الطِبيخ

يا رايح ع الدير ملّي عبّك شمام لا صالحة إمليحة ولا ابتحرز (الشِّمال)

يا رايح عا الدير ملّي عبّك حنون لا صالحة إمليحة ولا ابتحرز المنون

يا رايح عا الدير ملّي عبّك زعرور لا صالحة إمليحة ولا ابتحرز الشحرور

يا رايح عا الدير ملّي عبّك ليمون لا صالحة إمليحة وإلي اجوزها مجنون

وتعيرها النساء بملامحها الخارجية فتقول:

يـــا شـــرمـــة ردي الـمـقـلا

حـلـف جــــوزك مــا بـقـرا

حـلـفـتـوا عــا الـطـشـطـيـة

اجـــت عـــيـــنـــو مـفـقـيـة

وتقول:

انـزلـت عـا الـبـحـر عـطـشـان

اشـربـت وارجـعـت عـطـشـان

يــحـــرم عـــلـــيّ الـــنـــســـوان
ان مـــا اخـــــذت لـطـفـيـة

وتقول:

يـا ربـي تـطـلـع يـا ربـي تطلع
والخشـة ازغـيـرة والـبـاب امخلع

وتقول:

يــا صــالحــة قــومــي افــرشــي
حــاجــي ابـكـفـاك تـتـهـرشـي
مــن اول يـــوم لا اتـعـشـري
بــنــتــك مــثــلــك امــبـــوزا
بــنــتــك مــثــلــك امــبـــوزا

وتفيد بعض المنشدات من الأغاني المذاعة عبر الأثير وإيقاعاتها حيث تدخل عليها بعض التعديلات أو المفردات تتلاءم مع الموقف في حينه، كما تقول إحداهنّ:

عــا الــنــدّا الــنــدّا الــنــدّا	والـــورد امـفـتـح عــا خــدّه
واذا مــا أعــطـونـي إيــاك	الجـبـال الـعـالـي لـهـدّه
والـــنـــدّا نـزلـت ع الـسـوق	لـيـقـيـهـا أحـمـد بـــرّوق
وأعــطـاهــا سـلّـة بـرقـوق	وأخـــذ بـوسـة مــن خـــدّا
عــا الــنــدّا الــنــدّا الــنــدّا	والـــورد امـفـتـح عــا خــدّه
واذا مــا أعــطـونـي إيــاك	الجـبـال الـعـالـي لـهـدّه
والـــنـــدّا نـزلـت عـمّـان	لـقـيـهـا أحـمـد شـدهـان
وأعــطــاهــا سـلّـة رمــان	وأخـــذ بـوسـة مــن خـــدّا
عــا الــنــدّا الــنــدّا الــنــدّا	والـــورد امـفـتـح عــا خــدّه
واذا مــا أعــطـونـي إيــاك	الجـبـال الـعـالـي لـهـدّه
والـــنـــدّا نـزلـت بـغـداد	لـقـيـهـا أحـمـد مـقـداد
وأعـطـاهـا أرض الـقـبـقـاب	وأخـــذ بـوسـة مــن خـــدّا
عــا الــنــدّا الــنــدّا الــنــدّا	والـــورد امـفـتـح عــا خــدّه
والـــنـــدّا نـزلـت أسـيـوط	لـقـيـهـا أحـمـد عـطـعـوط
وأعــطــاهــا حـبّـة بـلـوط	وأخـــذ بـوسـة مــن خـــدّا
عــا الــنــدّا الــنــدّا الــنــدّا	والـــورد امـفـتـح عــا خــدّه
والـــنـــدّا نـزلـت ريـحـا	لـقـيـهـا أحـمـد شـيـحـة
وأعــطــاهــا سـلّـة ريـحـة	وأخـــذ بـوسـة مــن خـــدّا
عــا الــنــدّا الــنــدّا الــنــدّا	والـــورد امـفـتـح عــا خــدّه

والــنـــدّا نــزلــت بــيــروت   لـقــيـهـا شـحــتــة الـسـتــوت
وأعــطــاهــا شـــال المــدقــوق   وأخـــــذ بــوســة مـــن خـــدّا

نرى ان هذه الأقوال الغنائية الشعبية هي بمثابة سلم اجتماعي يستطيع أي إنسان أن يرتقيه، أو يحوره بالكيفية التي تلائم بيئته وهيئته.؛ فالموروث القولي هو بمثابة تثبيت المزايا في هذا البلد، وإن بدا الحال يتغير والصورة تتلاشى، لأننا نستطيع أن نرى المستقبل من خلال هذه الأنماط، كما استطعنا رؤية الماضي والحاضر، وهذه الأقوال قد ترينا سمات المجتمع وتطلعاته، اذا ما استطعنا الغوص في عمقها، والتآلف مع معانيها والقيم التي تستحوذها، أو تفوح من عندياتها ومقوماتها؛ فهي مساندة فاعلة في صيرورة المجتمع وتحولاته، وإن ضعفت عملية التواصل معها.

أغاني الطهور (الختان)

الطفل أفضل من يجعل الاتصال قائماً بالحياة والمحيط معاً؛ فهو يرينا كيف نكشف عن مكنوناتنا، ونظهر ما نحمله من أشياء متعددة، فهو (أي الطفل) يؤثر على أفكار الناس ويتأثر بها، فهو صادق في التعبير عن همومه والآخرين، حيث يرينا كثيراً من المظاهر والوقائع، ما يهيء الفرصة لإظهار الممارسات الشعائرية والفلكلورية التي يُعبّر بها الناس عن علاقتهم بالأطفال وتشعباتها، فمنذ أن يبدأ الإنسان بالتعارف على الحياة، نجده ميالاً كي يستكمل مشوار عمره في أن يصبح أباً يحنو على من حوله، أو أمّاً تفيض عطفاً وإنسانية على من حولها، فيكون الزواج حتى تكتمل كينونة الدافعية تجاه الاستمرارية في الحياة، وبعدها يتجسد البحث عن الديمومة في بعث نفس في الحياة عن طريق الإنجاب، وعندما يتحقق، تبدأ العملية التربوية للنهوض بهذا المولود، فإن كانت أنثى فلها استعدادات خاصة، وأما إن كان المولود ذكراً، فهذا يعني أن الإعدادات تختلف بعض الشيء، لذا نرى ظاهرة (الختان) أو (الطهور) من المظاهر المتجددة عند كثير من الشعوب، وبالذات الشعوب السامية أو القبائل العربية القديمة، أي أن الختن عادة يرى أهلها أنها إيجابية،؛ لانها وجدت قبل الإسلام بقرون عديدة، ولما تحقق الإسلام في النفوس والعقول، نجد الرسول عليه الصلاة والسلام قد أقرّها وغدا الختان سنّة متبعة عند المسلمين جميعهم، وكذلك عند غير المسلمين، فعندما يرزق الإنسان بالمولود الذكر، تبدأ عملية الاستعداد للختان، لذا نجد أكثر الناس في البلدان العربية يستخدمون مفردة (الطهور) أكثر من الختان، فالناس ينظرون إلى ذلك على أنها مسألة دينية لا بد من اتباع تعاليمها. بهذا يفعل المهتمون ظاهرة (الطهور) إذ أصبحت أكبر من معتقد شعبي،؛ حيث اختلط المعتقد الشعبي بالمعتقد الديني، فأخذ الناس ينظرون إليها بالبهجة؛لأن العادات والتقاليد تحدد السلوك المتبع في تحقيقها، وهذه الأمور ((لها ثقافتها الخاصة التي نطلق عليها الثقافة الشعبية))[٣٢] التي يلتزم الناس بها وقد لا يستطيعون الخروج عليها، بل ويصرون على تفعيلها.

فمنذ أن يتأكد أهل المولود من نية الطهور تبدأ حالات الاستعداد، لذا يُعطى الطفل حرية الحركة والمرح والسرور، وهذا له مردود نفسي إيجابي عليه،؛ إذ يتقبل حالة الختن (الطهور) براحة واستبشار وعندما يحضر (المطهر) قد لا يكون الطفل المعني حاضراً، فيبدأ المطهر بإحضار العدة، وتمضية الموس، ويُجلب الطفل ويُجلس على الكرسي وتثنى ساقاه، وتوضع يداه بين الساق والفخذ، ويطلب منه المطهر أن ينظر إلى الحمامة التي في سقف البيت، عندها يقوم بقطع الجزء اللحمي، وتبدأ النساء بالهلاهل والزغاريد ونعف الحلوى والمكسرات (الكرزات) على رؤوس الحاضرين، وتردد النسوة أهازيج البحث عن

المولود الذي غاب عن البيت هرباً من (المطهر) إلاّ أنه عاد إلى الهدف المحقق، لذا نسمع النسوة تردد ما نصّه:

يـا عـافـيـة الـلـه هـي يـا دوّارة
فـرّي ع محـمـد مـن حـارة لحـارة
غسلي لـه وجهـه وكحلي لـه عينه
يـا مـريم اختـه هـي مثـل النـوارة

ويرددن أيضاً:

عبـر الختّـان يـا ميمتي وخبيني
افتحي الصندوق يا ميمتي لبسيني
عبـر الختّـان بعـدّتـه ومـواسـه
حلف الختّان ما يطلع إلاّ بشاشة
عبـر الختّـان بعدتـه الشلبية
حلف الختّان ما يطلع إلاّ بمية
عبـر الختّـان بعدتـه والشمعة
حلف الختّان ما يطلع إلاّ بخلعه
عبرّ الختّـان بعدتـه وبجوخه
حلف الختان ما يطلع إلا بجوخه [٣٣]

من خلال النصوص نتيقن أنها (الأغاني الشعبية) تقف على حقائق هامة عن وظيفتها؛ أي لها دور فعّال في إظهار حقيقة المجتمع، لأنها تجسد المناسبة التي تأخذ حيزاً معينا في حياة الفرد أو الجماعة أو كليهما معاً، لذا نجدها وغيرها مرتبطة برؤية فلسفية واضحة، ألا وهي الإفاضة في خلق العلاقة وتجسيدها بين المرسل والمستقبل على حد سواء، فهي تخلق ((نوعاً من التخفيف النفسي عما يحسونه من متاعب وآلام)) [٣٤] أي الناس الذين يتناقلونها ويرددونها، لأنها نابعة من قناعتهم وبنات أفكارهم، ويعيشون معها في الفكر والذاكرة.

وبعد أن تتم عملية (الطهور) وتبدأ النسوة بالمهاهاة فرادى وجماعات نسمع صوت الأم، أو من يستطيع الإنابة عنها مرددة ما ينم عن السعادة والفرح بأن يصبح لها سندٌ يعرفه الناس، بعد ما ظنت أو ظنّ الآخرون أنها حرمت من الأمومة، أو أن نسلها إناث على سبيل المثال، لأن في مثل تلك الحالات تسمع حالات يريحها أو يسرّ خاطرها فتقول:

هي والحمد لله صبر قبلي وما قصّر
هي وانحل حبل الجفا من بعد ما تعسّر
هي وحياة من له نجوم الليل تتفسَّر

هي وأنا قلبي ع هذا اليوم يتحسّر
هي ائي يا شكحنا بطيخة هي ائي يا طلعت حمرة ومليحة
هي ائي ولي عايرنا بالبنات ما فادوا الا الفظيحة
هي ائي يا بي موسى يا طويل يا امشدد بالخرطبيل
والنسوان منك حبالى والزلام امطحلين
هذا بي ميلاد وشو اتقولوا فيه
ذهب يوسفي دق الغزل ما فيه
يا ريت من راحوا على رافات ووشوا فيه
إرمّل حريمو وكل الناس توشي فيه

مثل ذلك يدلل على التماسك الاجتماعي وبنية الآصرة بين الناس،؛ ما يعني نبذ الخلافات أو تعريتها، لأن مثل هذه الأشعار توضح أن بعض القيم لا بد وأن تتلاشى، فما نراه يغذي الرافد الثقافي الشعبي كي تكتسب عمقاً أكبر في الشمولية والأداة، وهذا يغير أنماط التفكير إلى حد ما، فمهما اختلفت المجتمعات في أنماط تفكيرها، إلاّ أننا نجد بعض الوشائج من خلال البناء الفني القولي الشعبي أو غيره من الفنون القولية.

وبعد إظهار حالة الفرح المتداخل من قبل الأهل والأم حصراً، وتظهر ما تظهره من حالات من التماوج في الهاجس النفسي تجاه ما يحدث، وبعد أن تسمعها المجتمعات، تنهال الهلاهل والزغاريد، وتبدأ حالات التجاوب النغمي من خلال الصوت الجمعي للنساء الحاضرات دون استثناء، إن كان ذلك حبّاً أو مجاملة لأهل المختون:

طهرو يا امطهر عا بيدر عدس
ولبسو يا امطهر اكليل الملس
طهرو يا مطهر عا بيدر شعير
ولبسو يا امطهر اثواب الحرير
طهرو يا مطهر عا بيدر قمح
ولبسو يا امطهر اثواب الفرح
طهرو يا مطهر عا بيدر زبيب
طهرو يا امطهر ابني ها الربيب
ولبسو يا امطهر جفون العيون
طهرو يا امطهر تحت ظل الليمون
لبسا يا امطهر الثوب للحنون
طهرو يا امطهر تحت ظلال الخوخ
لبسو يا امطهر عباية الجوخ
طهرو يا امطهر تحت الدوالي
جيبولي حبيبي شميم الغالي

طهرو يا امطهر تحت سعف النخيل
جيبولي حبيبي حتى اناغيه
طهرو يا امطهر والتين على امو
جيبولي حبيبي من شان اضمو
طهرو يا امطهر تحت زهر الرمان
ولبس يا امطهر احجول الذهبان
طهرو يا امطهر تحت اعراق افريج
باركل يا امطهر صار ضابط في الجيش
ولبسو يا مطهر عمامة الخليل
طهرو يا مطهر وناوله لامه
والبسمه العزيزة بانت عا فمه
طهرو يا مطهر في باب الحرم
ولبسو يا مطهر اثواب الظفر
طهرو يا مطهر في ارض الديار
ولبسو يا مطهر اثواب الاحرام
طهرو يا مطهر وناولو لامه
والدمعة الحزينة تسقط عاكمه
طهرو يا امطهر وناولو لأمو   يا عشا المطهر على دار عمو
طهرو يا امطهر وناولو لأبوه   ويا عشا المطهر على الي ربوه
طهرو يا امطهر وسموا عليه   هاتونا ها الـورد ورشـوا عليه

فعلى الرغم من تداخل نظم الحياة وأنماطها، فإننا نرى العناصر الثقافية تتداخل هي الأخرى،؛ فالشعبي يتداخل مع الوافد وما ينظم بأفكار مدروسة، فالأقوال التقليدية ذات الطابع الشعبي تجسد الإرث الاجتماعي للوعي الجمعي المتنقل من جيل إلى جيل، فالعناصر الثقافية الشعبية لها ما يمايزها عن غيرها من الثقافات؛ لأنها تحاول الدفاع عن ذاتها أو صيرورة المجتمع الذي أوجدها ونشأت في كنفه. وهذا يرينا التاريخ الطويل لها، المتمثل في أنماطها السلوكية وأساليب ترددها، المشتركة أو المتباينة، في مجتمع معين، إن كان منغلقاً أو محافظاً إلى حد ما، أو مفتوحاً يتقبل الوافد ويتعامل معه بالإيجابية، أو حتى عندما يكون المحيط منكسراً تجد ما يمايزها عن غيرها في الخصوصية.

فالثقافة الشعبية أو ما تتناقله الشعوب من أقوال شعبية بسيطة كانت أو معقدة، تدلل على التنوع في بنية المجتمع؛ ما يثري -إلى حد بعيد- العناصر الثقافية المتداخلة والداخلة على المجتمع، ومثلها ما يميز المجتمعات عن غيرها،؛ ما يدفع إلى الممارسة الثقافية الخاصة، التي تجسد الوضع الطبقي للفاعلين، وحملة الفكرة والمواقع التي في دائرة التواصل مع الثقافات الاخرى.

فالنصوص تشي عن طبقة المتحدثين بها أو المتعاونين معها، حيث يستطيع كل إنسان أن يبتكر ما يراه مساعداً له أو مسانداً للوعي والتجديد والمتغيرات المتعددة؛ ما يؤثر -إلى حد بعيد - في البنية العامة، التي تحاول الثقافات العالمية الوافدة تفكيكها، وطمس الخصوصية التي تحدثها روحيتها والقلق المتجدد من ذلك الامر، لذا نجد كثيراً من النصوص الشعبية رافضة للتسلط الفكري والاجتماعي والثقافي والقيمي، لأن مثل هذه الأشياء تضفي على الثقافة ((الشعبية هيبتها الروحية، وتمدّها بالقوة والرسوخ في نفوس الممارسين)) .[٣٥]

فهذه النصوص تشكل صورة صادقة عن الحراك الشعبي، أو المسيرة الشعبية لحياة الناس الذين يتناقلون هذه النصوص التي ترينا عادات تهمس في خواطرنا أو تجولُ في أفكارنا، لترينا الأنماط المعيشية والنظم التفكيرية السائدة آنذاك في المجتمع، لذا نقول: إن من يتعمق في هذه المقولات الموسقة يتأكد أن الثقافة الشعبية أشركت كل شيء بنيتها بدءا من هموم الناس والبيئة والطبيعة إلى متتاليات التفكير التي تجسد قيم الحياة ونظمها المختلفة.

لذا نجد مزيداً من النصوص ترينا أنماط التعايش والتفاعل مع البيئة والمحيط، إذ تفسر كثيراً من الظواهر المبحوث عنها، حيث كلّ إنسان بمسماه وقيمه يذكر في هذه النصوص، فبعد أن نسمع الهلاهل والزغاريد والنشوة التي تعتمر الأم تبدأ الحاضرات بالحالة التفصيلية التي تجسد أن الفرد ليس وحيداً، وانما يجد من يأخذ بيديه ويخفف عنه مهما قست الحياة وتباعدت الفلسفات:

طهروا لي ساري وسمّوا عليه
يا دموعك يا ساري هي نزلت عليه
طهروا يا مطهر وناوله لابوه
يا دموعك يا ساري نزلت كالبدور
طهروا يا مطهر وناوله لاخوه
يا دموعك يا ساري نزلت كالمنثور
طهروا يا مطهر وناوله للخال
يا دموعك يا ساري اتبللني في الحال
طهروا يا مطهر تحت قوس الدار
ولبسوا يا مطهر ثواب الفخار
طهروا يا مطهر تحت فيّ الرمان
ولبسوا يا مطهر اثواب العرسان
طهروا يا مطهر تحت فيّ التين
ولبسوا يا مطهر اثواب الحنين
طهروا يا مطهر تحت فيّ العناب
ولبسوا يا مطهر اثواب الحلال

إن هذه النصوص ترينا مفاهيم يبحث عنها الناس،؛ فالعلاقة بين الأهل لا بد أن تكون قوية وفيها وشائج المحبة والاحترام، وكذلك إظهار المظهر الحسن للمعني بطهوره، لذا نجد المرددات للأهازيج يحملن الإصرار على إظهار الطفل بمظهر حسن يليق به كإنسان ومظهره الخارجي أيضاً، لذا تردد إحداهن:

زينو يا امزين وناوله لسيده

يا دموعك يا محمد نزلت ع ايده

زينو يا امزين وناوله لستة

يا دموعك يا محمد نزلت على بدلته(٣٦)

زينو يا امزين وناوله لاخته

يا دموعك يا محمد نزلت على صدره

زينو يا امزين إزيان الدلال

يا دموعك يا محمد سالت كالشلال

زينوا يا مزين إزيان الامير

يا دموعك يا محمد أغلا من العنين

هذه النصوص ترينا الإحساس الواعي من أن الشخصية المحاورة هنا تشكل معبراً أو هاجساً للحفاظ على الثقافة الجامعة المبحوث عنها، لأنها تمثل أحد المعايير للحفاظ على الهوية الوطنية التي تشكل أحد روافد التغذية العائدة لما يريده الناس من الناس. فالنصوص القولية تظهر العادات الاجتماعية التي يعيشها الناس أو يتماهون بها، فهي تشكل قوة مجتمعية أو ((قوة على مستوى المجتمع كله)) .(٣٧)

لذا نجد النصوص القولية تعبر عن مظاهر السلوك الجمعي المتكرر في إظهار ثقافة الناس وأساليب حياتهم العادية، لأنها تقوم على أساس التفكير الجماعي، وتصبح متداولة فيما بعد كي تعبر عن تقاليد متبّعة وأنماط أفكار ممارسة:

هي يا ناس صلّوا ع محمد

هي لما يلين الحديد

هي وهذا طهور مبارك

هي يا عقبال كل حبيب

بعدها تنطلق الزغاريد وتسمع إحداهن تردّ على صاحبة المهاهاة الأولى:

هي يا ناس صلّوا ع محمد

هي وعلى فاطمة بنته

هي وهذا طهور مبارك

هي واللي طلبته نلته [٣٨]

بعدها تسمع زغاريد جماعية وهلاهل متجددة، وترتفع الأصوات بالغناء:

يوم طهورك يا شميم
لعلق في الدار انجوم
حتى افرح واتهنى
واشكر الحبايب دوم
يوم طهورك يا هاشم
لعلق في الدار اقمار
لازم افرح واتهنا
يا روحي انكمّل المشوار
يوم طهورك يا ساري
لشعل الدار ثريات
واقعد عا عتبة الدار
أقبل كل الجايات

يوم اطهورك ياهاشم اتـزينو كل البنات
لقعد عا عتبة الـدار وودع كل الخارجات

نلاحظ أن هذه المأثورات القولية همٌّ تراثي للاغلبية من الناس الذين لم يفلسفوا أفكارهم ومقولاتهم، وإنما جاءت بطواعيتها وسجيتها المعهودتين، ونرى أسلوباً مشتركاً لتوصيل البساطة إلى الآخرين، وترينا السمات الجماعية للناس في مجتمعات لها خصائصها وميزاتها، وإن لم تغفل الجانب المعنوي المتدفق من خلال ذكر بعض الرموز الدينية التي تتمتع بمكانة مرموقة لا تنمحي من نفوس الناس الموحدين بالله، وهي -على سبيل الحصر والمثال- (محمد عليه السلام) وفاطمة ابنته أم السبطين عليهم السلام.

أغاني الأطفال والشّباب

الغناء ظاهرة إنسانية تنمو مع الحياة وتزدهر بازدهار الحضارة، وتهوي عندما تتفكك أواصر اللقيا مع الحياة أو تضعف، وهي ظاهرة تعبيرية مقصودة تخرج من قيم الناس وأفكارها وأحاسيسها بكلمات موزونة لها مداليل ومعانٍ بناءة،؛ لأن الغناء أحد المعايير الصادقة لإظهار الجانب الحضاري عند الأمم والشعوب،؛ فإذا أردت أن تعرف حضارة أمة أو بيئة أو جماعة، فعليك التمعن في الأدب بشكل عام والغناء بشكل خاص، لأن الغناء يجري على ألسنة الناس؛ فإن كان ذا قيم وتفاعل قيمي ينمي أذواق الناس، ويهذب سلوكاتهم، ويجعل الحياة طيعة سلسة إلى حد بعيد، وإن كانت القيم التي يحملها الغناء سلبية تظهر الإسفاف والميوعة فيؤدي ذلك إلى الميوعة في السلوك، وانحطاط الأخلاق وتحللها، لذا تسعى الشعوب التي تريد الحفاظ على مقوماتها جاهدة أن يكون الأدب والغناء من السمات الإيجابية والفاعلة والمفعلة في الحياة. وتؤكد أهمية المفردة المنتقاة التي هي جوهر الحياة الإنسانية بشكل عام، والأدب والفن والغناء بخاصة، لأن دوافع الغناء متعددة لا تقف عند ركيزة واحدة أو دافعية معينة، فميل الإنسان الفطري للترويح عن الذات، وتجسيد نواحي الحياة المختلفة عبر الكلمات المنغمة، يرينا أن ظاهرة الغناء ظاهرة كونية قديمة تقدم ما يعتري الخلق من أشياء متعددة، فهاجس الترويح عن الذات الإنسانية ينمو بالفطرة ومعها، فأينما حلّ الإنسان نجده يخرج أصواتاً موسقة، أو تحمل إرثًا خاصاً تعبيراً عن همومه ومناجاته للمحيط أو للنفوس التي يعتقد قربها منه أو تماثله في الهموم وصعاب الحياة، حتى يميط الأذى عن نفسه، ويفعّل الخصوصية التي تربطه في الحياة، فتكون الحركة والإيماءات من مكملات الحس الغنائي لدى كثير من الناس، لذا لم يفّرق الإنسان بين الكبير والصغير في الحاجة الماسة للترويح وخطاب الود النفسي والقيمي، إلاّ أن أصحاب النغم المموسق يفرقون في خاصية المتلقي،؛ فالموسيقا الموجهة للكبار قد لا تلائم معطيات الحس والفكر عند الصغار،؛ ما جعل المفردة هي الحكم الفيصل في خلق وشائج التلاقي مع الآخرين،؛لأن النفس البشرية بحاجة إلى الموسيقا منذ اللحظة الأولى عند وضع النطفة في الرحم إلى أن ينمو ويولد طفلاً ثم يمر بالمراحل العمرية المختلفة، وهو بحاجة إلى الموسيقا والعمق الموسيقي التعبيري والترفيهي معاً.؛ لأنها تهذب النفوس وترتقي بالذوق الإنساني السليم.

لذا، نجد الأمم كلها مهتمة بالموسيقا كل حسب ثقافته ووعيه ومقدرته، إلا أننا نجد الغناء المعد للأطفال يتمايز عن غيره من أنواع الغناء الأخرى؛ فما تعده الشعوب لأطفالها ينم عن حصيلة تلك الشعوب من وعي وتمدن وقيم فاعلة، ومن يتتبع يجد أن حصة الأطفال من الغناء الشعبي واسعة إلى حد ما في المجتمع العربي الفلسطيني، فهناك أغان يرددها الكبار من أجل الصغار، وهناك أغان يرددها الصغار أنفسهم بعد أن أخرجها الكبار

للحياة وصارت من مكونات المجتمع الثقافي. فما يردده الأطفال أو يردده الكبار للأطفال نجده متشابهاً إلى حد كبير، وتكون عملية الخلاف في بعض المفردات؛ أي تستخدم مفردة أو تتم عملية التأخير والتقديم لمفردات بعينها، من هنا، نجد ما يردد للأطفال عند النوم يتشابه في المدن الفلسطينية المختلفة والبلدان العربية المجاورة، فكما في سوريا نرى ما تردده الأم يشابه -إلى حد بعيد- ما تردده الأمهات في الأردن وفلسطين:

نام يا ابني نام
لاذبح لك طير الحمام
يا حمام لا تصدق
عم كذب على ابني حتى اينام (٣٩)

أما في الاردن فتكون على هذه الصيغة:

نام يا ابني نام
لاذبحلك طير الحمام
يا حمامي لا تخافي
بضحك على ابني تا ينام (٤٠)

أما في فلسطين تقال على هذه الشاكلة:

يلا اتنام يلا اتنام
واذبحلك جوز الحمام
نام يا حبيبي الاسمر
طول عمرك في القلب اتنام

وهناك من ينشد:

روحي يا صوصة تعالي يا صوصة
تايكبر شميم وناولنا الخوصة
روحي يا بيضة تعالي يا بيضة
تا يكبر شميم ويبني الحويطة
روحي يا جاجة تعالي يا جاجة
تايكبر شميم وناولنا الحاجة
روحي يا طيرة تعالي يا طيرة
تايكبر شميم ويجبلك حصيرة
روحي يا بطة تعالي يا بطة
تايكبر شميم وناولنا الحطة
روحي يا وزة تعالي يا وزة
تايكبر شميم وذوقنا العجّة
روحي زرعيّة تعالي زرعية
تايكبر شميم نبنيله العلية

روحـــي شـــنّـــارة تـعــالـي شـنــارة
تــايـكـبــر شـمـيـم ويــنـــوّر الحــارة
روحـــي عـصـفـورة تـعـالـي عـصـفـورة
تـايـكـبـر شـمـيـم يـرسـمـلـنـا الـصـورة

إن المتتبع لهذه النصوص يرى علاقة المغني وشيجة ومتينة مع الطيور والحيوانات التي تشكل رافداً هاماً من روافد الصداقة الفاعلة مع الطفولة، لذا نجد الحالة الشعورية عميقة تجاه الهدف،؛ ما يجعل العالم الشعري بسيطاً في تناول الجميع، فاستغراق المغني الشعبي في ذكر الطيور بمسمياتها للطفل الذي يداعب الكرى يعتمد- في الأساس- على منحى هادف، وهو تقريب صورة الطيور وتحبيبها إلى نفوس الأطفال، الذين يحاولون غرس محبة الله والإيمان المطلق به في نفوسهم:

عـيـنـك ونــامــت وعـــين الـــرب مـــا نـامـت
وعــمــر شـــدّة عـلـى مـخـلـوق مــا دامــت
عـيـنـك وقـــرّت وعـــين الـــرب مـــا قـــرّت
وعــمــر شـــدّة عـلـى مـخـلـوق مــا ظـلّـت
الـلـه مـعـك يـا مـحـمـد الـلـه مـع اجـيـالـك
الـلــه مــع الـصـبـيـان يــا يـمــة كـرمـالـك
الـلـه مـعـك يـا قـمـر الـلـه مـعـك يـا عـين
الـلـه معك يـا محمد ياكحيل الـعـين [41]

ومنهن من تنشد لولدها بدلال:

ومثلو ما شفت حدا حتى الورد عا الندا
اتمنيتو حتى اجا يا شميم كحيل العين
والله مثلو ما بشوف حتى النعجة والخروف
لما تلعب بالسيوف يا شميم انت الأول
ابنا اجمل الاولاد اشلب منو مرناش
ابنا بنغنيلو القمر والشمس ليل
يا حسنو ويا زينو هو اجمل الاولاد
ويا حسنو ويا زينو هو اجمل الاولاد

وتنشد احداهن:

يا حبيب الحبايب سكر في السمن ذايب
ولي جوزها غايب اجيب الرشد اسليها
يا حبيب الحبتين ريت لأمو ابنيتين
وحدة تعجن وتخبز ووحدة اتملي الجرتين

صانع هذه المفردات الإيقاعية، يرينا أن مجمل ما يريده من مفاهيم هو ربط روحية الطفل ونفسيته بالله الواحد، وهذا يحبب الحياة إلى الأطفال، ويجعلها سهلة، لذا نرى الانطباعية والذائقة الفردية يسيطران على ما يقدم للأطفال من أشياء تحبب لهم النوم والحياة بشكل عام، ويجعلهم يتفاعلون مع محيطهم، ويتعلقون بمن يلقنهم هذه الاصوات الأيقاعية حتى يعيدها لهم مرات ومرات، لأن المتعة تبادلية من الطرفين، المرسل والمستقبل على حد سواء، الاطفال المتلقين والكبار المنشدين.

وهذه الأغاني ترينا العمق الإنساني والإيماني النابعين من وجدانيات الشعب وثقافته الشعبية، وتخلق دافعية لدى الأطفال بأن يتمسكوا في عملية الحفاظ على التواصل مع المحيط والناس بشكل موسّع وأعمق، لأن الطفل كائن لم يزل يتشكل في بناه النفسية والفكرية والجسدية والعقلية والروحية، فالحياة لم تتركه بعد،؛ ما يجعل عملية البناء هادفة وبناءة إلى حد بعيد، ويجعلهم يستثمرون طاقاتهم الإبداعية والخلاقة، وتتم عملية الاستقبال للأشياء وتخزينها وتفعيلها في الذاكرة والممارسة تسير بيسر.

ومع تقدم الأيام أو امتداد عمر المولود، ويغادر المهد ويصبح يسير على قدميه، ويخرج إلى الشارع، ويشكل الصداقات مع الأقران، نجدهم يتفاعلون مع الأقران أفراداً وجماعات، ويبحثون عن الذات كي تكون متمايزة، وتبدأ الفردية بالظهور من خلال الجماعة والانخراط مع الجماعة لتشكيل الفردية والتمايز المؤكد في كلا الأمرين، حتى أن الأطفال يقسمون أنفسهم جماعات وثللا حتى تظهر كل جماعة محاسن الذات وتمايزها عن الآخرين، لذا يبدأ الأطفال بالبحث عن أشياء ترفه عن أنفسهم فتكون الألعاب الجماعية وأهازيجها هي العامل المشترك، ولم يكن الأهالي يفصلون بين الذكور والإناث عندما ينخرطون في أسرابهم ويلعبون بلعبهم المشتركة، قد يصلون إلى سن البلوغ دون أن يوجهوا أو يؤمروا للفصل بين الجنسين، وهناك ألعاب مشتركة بين الجنسين وألعاب خاصة لكلا الجنسين، وهناك أناشيد وأغانٍ شعبية يرددها الأطفال وهم يمارسون اللعب الجماعي، كما هي لعبة القفز مع الحبال، (أي لعبة الحبل) حيث يمسك طفلان كل بطرف، ويحركان الحبل وينزل الآخر أو الآخرون، وتبدأ عملية القفز الموضعي، أو التحرك مع الحبل والآخران يحركان الحبل من الأسفل إلى الأعلى، ومن الأعلى إلى الأسفل وهكذا، والمتقافزان يستمران في القفز حتى تتم عملية التبديل إلى أن ينهك الجميع ويعودوا لمنازلهم فرحين بعد أن ينشدوا نشيدا متداولا لا تفهم المعاني التي تحمله بعض كلماته، الأ اننا نسمعهم ينشدونها دون تردد، ولهذه اللحظة لم أستطع فهمها لغرابة بعض المفردات أو عجمتها (صندلينا) ومنضلينا وغيرهما من المفردات الموغلة في الأبهام والعجمة:-

سلا بلا أخت المنى، علمتها في المدرسة

إئي صندلينا إئي منضلينا أئي توني وايدس

اكرس واسيديدس، نيسيو مضى عقل مفيش

أنا بي بي بو ما قل أدبو أنا بي شيخة

مصاري مفيش رحت عند النش

قلتلو أصرّفلي القرش قلّي مفيش
قلتلو الله يلعنلك هل الوش
الوش الوش الوش

وبعد اللعب المشترك لكلا الجنسين بالحبل وتموجاته، تذهب البنات إلى ممارسة الألعاب الخاصة بهن، فتسمع أصداء الكلمات وهي تخرج من حناجرهن، مستجيبات مع الحدث:

اسكوت اسكوت الماما نايمة بلاهي اتشوفوا الساعة كم
الساعة وحدة الا وحدة يا بنات اسكوت اسكوت
اسكوت اسكوت الماما نايمة بلاهي اتشوفوا الساعة كم
الساعة ثنتين الا ثنتين يا بنات اسكوت اسكوت

وتستمر البنات مع هذه الانشودة حتى تكتمل الدورة لعقارب الساعة، ومن ثم تنتقل البنات إلى انشودة اخرى:

يختي يختي نعم يختي اشو طبختي كوسا محشي
ضويتي الشمعة ائي ضويت، تفضلوا عنا
جيتك جيتك هاها صحن كنافا هاها
جيتك جيتك ها ها صحن كنافة هاها

وتتبادل البنات الأماكن بعد الركض وتستمر اللعبة من جديد، وبعد إتمام لعبة الحبل وتبادل الزيارات، تبدأ عملية اختيار عروس معينة عبر طقوس محددة، ونصوص واضحة يتعامل معها الأطفال فيقول أحدهم ذكرا كان أو أنثى:

هيا هيا يا أولاد انغني ونختار العرسان:
يبدأ أحدهم: مسيكم بالخير يا العمّارة العمّارة
صبحكم بالخير يا العمّارة العمّارة
ويردد الحاضرون: يا العمّارة العمّارة
وينشد الاولاد: بالله اعطونا بنتكم هل الحلوة هل الحلوة هل الحلوة هاالظريفة
ويردد الاخرون: ما ابنعطيكم هي إلاّ بالف ومية وتتملّوا الصنية
يردون: ابننزل على داركم وبنكسر ابوابكم والشمع بوابكم
ونطلع اجراركم يا هذي يا عروستنا
يا هذي عروستنا، يا هذي عروستنا
مسيكم بالخير يا العمّارة العمّارة
صبحكم بالخير يا العمّارة العمّارة

بعد ذلك يبدأ الأطفال بحمل بضعهم بعضاً، أي يجعل كلّ إثنين ظهريهما إلى بعض، ويرفع الانسان الآخر ويقول:

شفت القمر شفتُ
اشو تحتو حمص مقلّي
طيح عني يا عقلي

وينشدون بعدها:

الناس إملبّس عاحصمة   ديـر بـالك مـن الـسـمرة

بعدها يجلس الأطفال جانباً، ويتبادلون الهمسات والضحكات، ويعيدون الكرّة من جديد، أي تكون الألعاب والأدوار تبادلية، وبعد إتمام اللعبة أكثر من مرة وغيرها، ينزوي الأطفال تحت ظلال الأشجار، أو أروقة البيوت، ويبدأ أحدهم ينشد ويردد معه الآخرون بمرح وسرور:

هـي لـلـه يـا بـو شـوشـة	**يـابـو حـلاوة مـنـفـوشـة**
عـبـروا الـفـقـرا عـا الجـامـع	**لـقـيـو حـصـيـرة مـفـروشـة**
قـالـوا انـو إلـى فـارشـهـا	**قـالـوا الـبـنـت المـقـصـوفـة**
قـالـوا بـيـش انـغـطـيـهـا	**قـالـوا ابـورقـة الـلـوفـة**
والـلـوفـة مـع الـراعـي	**والـراعـي بـدّو الـبـيـضـة**
والـبـيـضـة مـع الجـاجـة	**والجـاجـة بـدهـا عـلـفـة**
والـعـلـفـة فـي الـعـلـيـة	**والـعـلـيـة امـسـكـرة**
والمـفـتـاح مـع بـو صـلاح	**راح اجـيـبـلـنـا تـفـاح**
لـهـل الـبـنـات المـلاح	**سـرورات وهـشـومـات وشـمـومـات**

مـع ورودتـهـم كـرومـات

بعدها يقهقهون ويمرحون ويأتي آخر وينشد:

حدرا بدرا قلي سيدي عد للعشرا
من ثلاث لثلاث طوق امطوق في البستان
نط الدم اطلع يا افلان

بعد سماع هذه الأنشودة، من يشار عليه بالبنان يخرج من الحلقة، ويستمر الاخرون باللعب، ويتقدم طفل آخر ويبدأ بعملية انشاد جديد مع نص جديد:

حدرجي بدرجي نصب الدرجة
طلعت أزور عا الزرزور
لقفت الكف طلع يلتف
حيا الله بنات الشام
فيها الخوخ والرمان
فيها زاعقة العصفور
طلع الباشا بلا طنطور

طنطورو حايل مايل
حايل عا بنت الكردي
بنت الكردي اطلع وانزل
حاملة ابريق الفضة
يا فضة يا فضتنا
جيبي ابريق وجرتنا
وفرشي حصيرتنا
ونامي على درجتنا
يا حلوة يا بنت الناس
يا ام الذوق والاحساس
يا ام الذوق والاحساس

وبعد إتمام النشيد يهتف أحدهم ويقول:

عندي لعبة بتغني
وانكسرت غصبن عني
زعلت عليها كثير كثير
مين يعرف بالتجبير
يجي يجبرلي اياها
يوخذ ليرة عسملي

ويقول أحد الاباء في محبة ابنتيه، تجسيدا لفكرته من أن الابنتين يشبهانه، ولا يشبهان امهما:

يا يعرب وعروبة والامثال فيكم مظروبة
ونا بدي احكي اصحيح بدون تزويق الشرميح
والغنم عالخروبة وانتو طالعين للبابا
موش عا الماما الطبطوبة
موش عالماما الطبطوبة

ويقول احدهم حاثا الاطفال على الجلد والقوة، بنوع من الفكاهة الايجابية:

قطة جاعت قالت مو واحنا من دير السودان
يوم الحرب لما انهيج نظرب بالسيف الرنان

عندها يتجاوب الأطفال الحاضرون وينشدون بمرح وسرور، وكأنهم يكتشفون ذواتهم، وينمون أحاسيسهم، ويطورون مهاراتهم الإنشادية من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

ومع اقتراب شهر رمضان المبارك تبدأ الأسر بالاستعداد لاستقبال شهر الصوم والبركات،

وكثير من الأسر تهيء أطفالها للصوم، أو الامتناع عن تناول الطعام في الشوارع والحارات، ومع ظهور هلال شهر رمضان ترى الأسر تتبادل التهاني وتردد العبارات الإيمانية التي يفوح منها البر والإحسان والسلوك القويم،؛ ما يجعل الأطفال يقلدون الكبار، إلاّ أنهم يتمتعون بخصوصية من حيث اللعب في الحارات، واستقبال ساعة الإفطار حتى ينشدوا في الشوارع، معبرين عن فرحهم المتجدد بالمناسبة الايمانية:

افطروا يا صايمين ع الرغفان الناعمين
واتعشوا يا مفطرين ع الرغفان المقرقدين

ومع اقتراب موعد الأذان؛ أي أذان المغرب، تجد الأطفال يذرعون شوارع القرية، وهم يرددون أناشيد تظهر أهمية الصوم ومكانة الصائم، ورفض الإفطار والمفطرين في رمضان:

يا مفطر رمضان يا قليل دينك كلبتنا السمرا اتبحبش مصرينك
يا مفطر رمضان يا قليل دينك بستنا السمرا توكل مصرينك

ومع انتهاء أذان المغرب وإعلان موعد الإفطار، يغيب الأطفال من الشوارع، ويختفي ضجيجهم مهما كانت أعدادهم كثيرة، ويغط الناس في سلوكاتهم المحببة التي تقربهم إلى الله.

وفي اليوم الذي يليه وتمتد أيام رمضان تسمع بعض الذين يتأففون من الصوم وبالذات في أيام الصيف الحارّة، ينشدون بنوع من الدّعابة العكسية، وكأنهم يستحثون المؤذن حتى يعلن ساعة الإفطار قبل موعدها.

أذّن أذّن يا خطيب هيا قبل الشمس اتغيب
اذن اذن يا خطيب هيا قبل الشمس اتغيب

وبعضهم ينشد:

اذن يا بو عطية حشيشة قلبي مطفية
اذن يا بو عطية حشيشة قلبي مطفية
اذن اذن عطية وقعنا الشمس في المية
اذن اذن يا غريب اطعمنا الشمس للذيب
اذن اذن بو امحمد افطرنا من عامنول
اذن اذن بو امحمد افطرنا من عامنول
اذن يا بو صافية للصاحية والنايمة
اذن يا بوصافية حشيشة قلبي طافية
اذن اذن يا فواز اطعمنا الشمس للباز
اذن اذن يا فواز طول عمرك ما ابتنحاز

أذن ياحج ابراهيم طربوشك من جماعين
طربوش احمد للفلم وطربوش ابراهيم للعلم
طربوشك مايل مايل احمد يابو الجدايل
طربوشك كلو لمعات احمد يا ابو صفعات
أذّن يا ابو الامين مين سمعك بيظل إينين
لما ياذن بو الوليد عن الزاد ما بنحيد
اذن عثمان الياسين عنا ضيف يا صايمين

وعندما يرى الاطفال أسراب الطيور تعبر أجواء البلاد مهاجرة في مواسم الهجرة ينشدون بحماس:

يا حودي يا ام الصيصان قتلك عمك حمدان
ابو عصب دق النصب ابو اثقيب امدودي

ويغني الاطفال وبالذات البنات عند العودة من المدارس:

بلبل بلابل عا روس الشجر غمزت ابعيني صفق وطار
يا اهل المدارس اسمعوا الاخبار حبي ودلالي يبقى مهما صار

وينشد الاولا الذكور مع خروجهم من المدارس:

حلينا وملينا ونط الفار علينا واتكرسحوا إجرينا
من المدارس ردينا من المدارس ردينا

مثل هذه الأهازيج لا تجد لها مروجين أو مؤيدين كثر، لأنها تحمل دعابات سلبية، إلاّ أنها تعبّر عن حقيقة يعيشها بعض الناس،. وكان الأطفال يتجمهرون بعد صلاة العشاء في أيام رمضان الأخيرة، وبالذات العشرة الأواخر، ويعمدون إلى طرق الأبواب حتى يعطوا من خيرات رمضان.

يا أهل الخير جيبوا أعطونا صرتكم
يا أهل الدار الله ايديم امحبتكم
يا اهل الخيرجيبو اعطونا صرتكم
يا اهل الخير الله ايديم محبتكم

ويرددون أيضاً:

يا أهل السطوح تعطونا ولا انروح
قاعد على ظهر الحيط يا سرطاوي يا فصيح
وجهنا الرادو امليح تا نسمع الاذاعة

إذا لم تتم عطية الأطفال فيهزجون: كبوّا علينا الماء بيت أهل الفقر ويعودون إلى بيوتهم، وإذا تمت العطية فيقولون: يخلف عليكم كثر الله خيركم. ومرة أخرى يتحلق الأطفال، ويطرقون الأبواب وهم ينشدون:

ماجينا يا ماجينا

حلّوا الكيس وأعطونا

تعطونا لو نعطيكم

بيت مكة اوديكم

ومع تباشير انتهاء شهر الصوم، ويرى الهلال وهو يتناقص، يتهافت الأطفال إلى الشوارع منشدين مرددين بعضهم مع بعض::

لا أوحش الله منك يا رمضانا

يا صاحب الخيرات والاحسانا

وهذا التوحيش يسمع من الكبار والصغار على حد سواء، لأن الصغار أخذوه من أفواه الكبار، الذين يحنون إلى شهر الصوم وبركات الله فيه.فمع إعلان المؤذن عن انتهاء شهر الصوم، وأن اليوم الذي يليه هو أول أيام العيد، تخرج جموع الأطفال زرافات وركباناً يتراكضون في الشوارع، ويهتفون بمرح وسرور وتناغم ما تناقلته لهم الأيام:

بكرة العيد وبنعيد

وابنذبح بقرة اسعيد

واسعيد مالو بقرة

ابنذبح بنتو ها الشقرا

والشقرا ما فيها دم

ابنذبح بنتو وبنت العم

ومنهم من ينشد للمداعبة على لسان احد الشيوخ الذين يقرأون القران على المقابر في المواسم الدينية والاعياد، فقد كان رحمه الله يقرأ الايات وينتقيها حسب المبلغ المدفوع، فاذا دفعت احداهن قرشين تسمعه يقرأ، «خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه «واما اذا كان المبلغ خمسة قروش تسمعه يقرأ «ان الله يغفر الذنوب جميعا « اما اذا دفعت احداهن مبلغ مئة فلس اي عشرة قروش، تسمعه يقرأ «يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي « عندها ترى البشارة وقد ارتسمت على محياهن مستبشرات، بعد ان فزعن من الاية الاولى «خذوه فغلوه « وبعد أن يراجعنه لماذا قرأ ذلك، فيجيب كل شيء بثمن، ويبدأ بالقول المأثور بالنسبة له، اذ يعطي الناس بعضا من عطاياه، لأنه اطلع على خصوصياتهم وبدأ بوضع لكزات تليق بهمومهم:

إنـــا اعــطـيــنـــاك الـكـوثـر   شــخــاطــة وواحــــــد دفــتــر

الله جل جلالو ... خلق الدنيا لحالو
فقيرة يا صديقة ... تعبها راح في ادقيقة
من الوعر والقعدات ... لمت كل الحطبات
والهرش لحمو ابقرش ... وشكلها والله نقش
والحجات في القصيلة ... بولولن على التينة
وجبر قاعد في العقدة ... بدو مصاري نقدي
وسرك يا بو عطاف ... والمسبّح والخواص
وتحت زيتونة الحج عرمان ... جمعتهم ما فيها خواص
بلعبوا السيجة يا ناس ... من الصبح للعصرية
بو زهدي يلعب شدة ... والحج ابراهيم بيهدي
والمنسي في ايدو عدة ... ايعلمها للرايح والجاي
وفواز لما ايأذن ... بقيم الحجة على الناس
وحافظ بخطب في الساحة ... وبحكي اخبار الساعة
لابس ساعة لماعة ... بضوي كل الحارات
حجر جوالق يا ناس ... ارض المعارك والكاس
احمد يا ابو الاحساس ... دير الرادو لهناس
تا يسمعوا نشرة الأخبار ... يسمعوها ابهنية

وينشد أحدهم من باب الدعابة والمرح:

زيكا زيكا زيكا ... واضرب عالمزيكا
بالله يا بو الصادق ... تعطينا شفيقة
زيكا زيكا زيكا ... واضرب عا المزيكا
بالله يا أبو الصادق ... اطفيلنا الحريقة
زيكا زيكا زيكا ... واضرب عا المزيكا
بين الحرب والسلم ... ذبحتنا أمريكا

ومع هذا النشيد المتجدد نجد الأطفال يمرحون، ويستعدون لنهار العيد بالملابس والأحذية الجديدة كل حسب مقدرة أهله وثقافتهم.وعندما يتجوّل الأطفال في شوارع القرية وأزقتها، يرون الزواحف والحشرات والطيور والحيوانات تتدافع وتتقافز، فينبعث الأمل في نفوسهم، وينشدون:

عمرّك حسيت الجمل بصلّي
والجاجّة تذبح والديك إقلّي
نطت البسة وراحت إتملي
والكلب يضرب ع التلفونا

إن التعامل مع الحيوانات ومسمياتها لم يزل يتغلغل في نفوس الأطفال، وكأن ظاهرة السخرية تنبع من النفس البشرية منذ نعومة الأظفار للإنسان، لذا نجد صانع هذه الأناشيد يلتقط أدق التفاصيل في الحياة العامة، والبيئة الشعبية خاصّة، ويدونها بأسلوب بسيط شفاف جذّاب، ويدون بعض مسميات الحيوانات التي لها مساس بحياة الناس، وتكون قريبة من الأطفال، وهي ملموسة ومجسدة كذلك، فعندما يرى الأطفال (الحرذون) وهو من الزواحف التي تشبه التمساح إلى حد بعيد، لكن جسده صغير وشكله لا يريح النفس، يهتفون منشدين:

صلّ صلاتك يا حرذون
وارم عباتك عا الطابون

ويقول آخر:

فسا فسندي،
عقرب افندي،
طاها باها،
من الذين حزقها رخاها طشاها.

ويقول ايضا:

عدي ارجالك عدي،
من القرع للمصدي،
وشي من خلقة ربي،
هيو قاعد عا الدرجة
يهبش البيظة هبشة،
وائيدو تسلقها سلقي،
واطعميها للنعجة،
واتصفقق لما تمشي،
واتقول دبي يانملة،
دبي يا نملي دبي،
وايدي والله بتملي،
جرار الزيت للجدة
واتصفطها في العقدي
والعقدة ملياني ارفوف
لها الولد المزيون

عندها ترى الجرذون يحرك رأسه وكأنه يستجيب لعواطف الأطفال، إلاّ أن الحقيقة غير ذلك، فهو يرتجف خوفاً خشية من هجوم أحدهم عليه، كما يخشاه الأطفال من مظهره الخارجي ولونه الداكن المخيف إلى حد ما، او يثير الاشمئزاز في نفوس الاطفال،

والكبار على حد سواء.

وعندما يرى أحد الأطفال (الحرباه) وهي -أيضاً -من الزواحف وتستطيع أن تغير لونها حسب محيطها، وتخرج لساناً طويلاً جداً يخيف من يراها، ويقززه أيضاً، عندها يهتف منشداً:

يا حرباة يا بنت اختي
وريني حظي بختي
هو أحمر ولا أصفر
ولا امعثر في الميزان

وينشدون أيضاً عندما يعطون شيئا ولا يعلمون ما طعمه أو خصوصيته:

حرباية ولاّ درباية
درباها البين وراحت

وكذلك التكّة (أبو بريص) لها نصيب من أناشيد الأطفال، وقد جاءت على نسق فكاهي، له دافعية خاصة، يتناقلها بعض الاطفال بدافعية يتفاعل معها المنشد والمتلقي على السواء، لأنها تحمل في مضامينها قيما وتفاعلات خاصة:

جماعة نزلوا البرّية
في فصل الشتوية
تكة واتنعشر حرذون
معاهم ست اعصيّة
لاقاهم تكة وصرصور
في ايام القمحنطور
والشخدم لابس طنطور
والبدلة عسكرية
زعلوا كل الحراذين
على لبس الجرابين
والتكّة بدها فساتين
عا النمرة الف وميّة
طنطور ابيع فرافير
عاقرة ازغيرة مكوية
وقتي شلّحها الكلسون
وراحوا عا الفرشية
إج الشخدم محامي
على التكّة مترامي

اج الصرصور محامي
بتنعشر ليرة وهدية

وينشد الأطفال أيضا:

حوحو حوحو يا بردي — قشقوشة حطب ماعندي
عندي ابنية فرفورة — تلعب لي عا الطنبورة
طنبر، طنبر، بالتركي — يا مدروشة ما احسنك
محمد باشا قدامك — جاعل بقجة حمامك
حمامك تحت القلعة — فتحنا باب غلقنا باب
يا علي لا تتعوق — جيب النا اسرير امزوق
شرابي مع سعيدو — وسعيدو مانو بعيدو
وسعيد بباب الهوى — وسعيد بباب الهوى
الله ينصرك يا الشام — فيك نصارى فيك اسلام
فيك ابنية فرفورة — تكرج عا حرف الفنجان

وتنشد بعض الصبايا، اللواتي دخلن في مرحلة المراهقة فيقلن بنوع من المداعبة والمماطلة:

أحيتي يمّة أحيتي — مين يطعمني ويسقيني
وشغل ما ايوريني — وعلى الفرشة يرميني
وبالغزل إغطيني — وبالبسمة يلاقيني
وهموم ما ايوريني — وبهمسات اهنيني
ومن الآهات يحميني — وآحيني يمّة آحيتي

وكذلك الدجاج له نصيب في أناشيد الأطفال الشعبية:

جاجاتنا وجاجتكم برعين سوا
الله يحمي اديارکم يا اهل الهوا
الله ايكون في العون يا اهل الهوى
جاجتنا وجاجتكم برعين سوا

وعندما يتفق الأطفال على لعب الألعاب الشعبية، نجدهم يخرجون صيحات لها دلائلها الخاصة:

اتخبي امليح اجاك الريح يا وطاوط ابحش وغاوط
لزو لزو اوعا اتهزو دير بالك تانحرق جدو

وعندما لا يتفق الأطفال بعضهم مع بعض، وينسحب أحدهم من حلقات اللعب تسمعهم يعيرونه بمفردات مؤلمة تصل إلى حدالبكاء، عند بعض الأطفال، لأن النصوص المعنية تحمل في مضامينها الألم النفسي للمتلقي الذي انفصل عن الجماعة، وكأن الأنفصال عن الجماعةيعد مشبوها ومرفوضا حتى عند الأطفال، لذا نجد هذه العقوبة المشددة تجاه الطفل المنزوي على نفسه، أو المنسحب من الجماعة:

باتت على امو باتت جابت قرين وماتت
باتت على امو باتت جابت قرين وماتت
شفت امو في القصيلة مع ذنبتها الطويلة
بتشعل في الفتيلة حتى اضوي جوا الدار
شفت امو عا المقابر بتحرك في المزابل
ابتوكل قريص وحامض هذي المونة يا اهل الدار

وقد يتحلق الأطفال في حلقات ويتبادلون بالرقص والتمايل، وعندما يريد أحدهم أن يكيد من يقوم بالرقص من الأطفال ينشد مع المجموعة:

طاح الدب تا يرقص
ليقيلو حبة ترمس
دير بالك يا دغبس
الصياد إج لهون
طاح الدب تا يرقص
ليقيلو حبة ترمس

وفي المدرسة يخرج الأطفال إلى ساحة المدرسة إبان الفرصة (التنفس) ويتحلقون ويلعبون لعبة المحرمة، أي يمسك أحدهم بالمنديل ويدور حول الحلقة منشداً، ويضع المنديل خلف أحدهم، فإذا لم ينتبه المعني الذي خلفه المنديل، يعود المنشد ويأخذ المنديل ويضربه به وهكذا:

طاق طاق طاقية
رن رن يا جرس
حول واركب على الفرس
شباكين ابعليّة
طاق طاق طاقية عسكر وحرامية

بعدها يهزج الأطفال ويتبادلون الضحكات والكركرات وينشدون:

يا حج اسكندر يويا
أعطيني احصانك يويا
لركب وسافر يويا

عا ابلاد اسكندر يويا
اسكندر مات يويا
خلّف بنات يويا
بنات بيض يويا
مثل العفريت يويا
بنات سود يويا
مثل القرود يويا
يا حج اسكندر يويا
اعطيني حصانك يويا

وكذلك نسمعهم يهزجون بعد خروجهم من المدارس ويلتقون في الأزقة، وبالذات البنات اذ لهن اناشيد تدلل على توجهاتهن:

عندي ديك اسم مرسي
نط وقعد ع الكرسي
جبت الموس وذبحت
مية سخنة نظفت
جوز ولوز حشيت
فلفل اسمر رشيت
جوّ الفرن شويت
قدام ستي مد يت
قالت لي شكراً شكراً
قلتلها عفواً عفواً

وينشد الأطفال ايضا نصوصاً يعدها الكبار لهم، حيث تظهر الحرص على تأصيل بعض القيم في نفوس المتلقين:

زوزو عندو سيارة ونا عندي حصان
بيقلي تع نتبادل لأنو غيران
هو ابعمل زيق زيق وابيوقف على الطريق
حصاني ابيعمل دي دي وما ابيوقف ابدا في الطريق
لما بركب عا ظهرو مثل الملك عا مهرو
وزوزو ما بقدر اميل مثل قاعد في البرميل

وينشد الأطفال أيضا:

بساط الريح يحملني إلى الأعلى .. إلى الأعلى
ويرحل بي وينقلني لأرض اه ما أحلى

أشم ترابها الغالي أقبل رأسها العالي
بساط الريح يحملني وينقلني إلى غيمة
الى واد إلى قمة
بساط الريح يسمعني أغني دائما فرحان
بقلبي أنت يا وطني بقلبي أنت يا انسان

وينشدون أيضا:

هات الطابة ولا تتأخر
واقفز فوق العشب الأخضر
وارم بعيدا لكن احذر
ان تفلتها او تتعثر
بيدي أقذفها وبرجلي

ويهتف الأولاد:

يا ستي العرجا العرجا يا مفتاح الطبنجا
خبيتو ورا الصندوق اجا خالي سرقة
ولبسني من حلقو وحلقو شقلة بقلة
وحلقو طير عقلي يا بنت الملوكي
جايين يخطبوكي من أمك وابوكي
وخالي في البرية عم بوكل طلمية
قلتلو طعميني قلي عا السكيني
وسكينو حمرا حمرا وابتلمع زي الجمرا

ويهتفون ايضا:

يا شيخ طنطورك مايل مايل عا بنت التركي
بنت التركي ابتتوضا ابريق انحاس ابريق فضة
وما احلى البوسة والعضا ونخطف طواقيهم
مع دبابيس الفضة

ويتبعون ذلك بإيقاع خاص:

إن تعامل المنشدين مع مسميات الطيور والحيوانات يشكّل منحى جديداً وفاعلاً في الحياة، وهذا يدلل على الأثر النفسي تجاه الموضوع المعني، لان الطيور والحيوانات لها وقعها الخاص في نفوس الناس وعند الاطفال خاصة، لان الاطفال يشكلون الصداقات مع الطيور والحيوانات، بمصداقية عالية وعفوية نقية، وهذا يشكل جسرا في التعامل البناء

والتصاق النص الذي يحاكي الحيوانات ويفعل دورها عند الاطفال، و يجد الاستحسان والقبول لديهم، على امتداد شرائحهم العمرية المختلفة.

إن التعامل مع الطبيعة في التراث القولي الشعبي لا يقف عند حد معين،؛لأن الصور تتعدد من خلال المشاهد التي تثير اليقظة في فكر الطفل وتمده بالمرح والطمأنينة إلى حد بعيد، وهذا يؤكد أن الطبيعة بمقتنياتها تشكل محوراً من المحاور الفاعلة التي يستطرقها صانعو الأدب الشعبي، ويتمثل ذلك في العلاقة مع البيئة ومقتنياتها بمسمياتها المختلفة، ويؤكد أهيمتها في حياة الناس، ومدى قربها من الأطفال، وغير الاطفال على حد سواء، فالمسألة الجمالية لا يختلف عليها اثنان، وان كانت الامور نسبية.

وبعد أن يشب الطفل ويصبح صبياً يطرق أبواب الشباب حتى يبدأ في التعامل مع الحياة عبر نصوص مغناة، يعبّر بها عن مشاعره والقيم التي يؤمن بها ويدافع عنها، فما أن تدب ملامح الرجولة في جسده تراه يتتبع نصوصاً إبداعية قولية شعبية توصله إلى مبتغاه، حيث يبدأ في تشكيل علائق مع المحيط ومع أبناء جنسه والجنس الآخر المماثل له، والمكمل له لتحقيق نظم الحياة فنراه يتأمل، ويهوى، ويعبر عن مكنوناته، ويهمس للذات أو لذات الآخرين، أو يقولها صراحة بلا رياء أو ظنون ،، نحن نلملم ذاتنا حتى نصل إلى مبتغانا!؟ فعندما يرى أحدهم صبية أو يرى من يهواه قلبه، أو تتم عملية التذكر وعصر الذاكرة ينشد:

مرّت ما مرّت مرّت ما مّرت
مثل الشنارة يا عالم فرّت
وخبطت عا العشبة والعشبة اخضرت
ومطرح خبطتها نبت حنونا

ويقول أيضاً:

هالة وقفتلي تحت الزعرورة
الله ما خلق مثل ها الصورة
قلتلها روحي الك مصرورة
وائيدي بأيدك نلعب دلعونا

ويردف:

مرّين ثلاثة عا تل أبيب
وقلت يا شمس يا شمس غيب
حتى أدور على حبيبي
حبيبي وين حبيبي وين
حبيبي نايم وامشقشق عينو
لشق البحر وأنام ابحضين
وخلّي الارض تلعب دلعونا
على دلعونا على دلعونا

على دلعونة على دلعونة نسم يا الهوى الغربي الحنونا
على دلعونة على دلعونة فلسطين بلادي وامي الحنونا
على دلعونة على دلعونة راحوالحبايب ما ودعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
على دلعونا يا امدلعانية
وصار يطلبوا في البنت ميّة
ولك يا عزب ومنلك ميّة
دور عا الارمل وارحل من هونا
على دلعونة وعلى دلعونة راحوا الحبايب ما ودعونا

ويردف آخر يسمعه من مكان آخر:

يا طير طاير يا طير طاير
البيضة والسمرة صارن ضراير
قولوا للسمرة اتقص الجدايل
وقولوا للبيضة اتكحل العيونا
على دلعونا وعلى دلعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
يا طير طاير يابو الجنحين سلم عا البيضة وبوس الخدين
سلم عا السمرة يا حاجب عيني وبوسهن سوا يا أسمر اللونا

ثم يردف آخر:

يا قاعد عا الرجم لا تامن من الحية
ومن يهوى قليبو يسلا شربة المية
يا قاعد على الرجم لا تامن من العقرب
ومن يهوى قليبو لا يوكل ولا يشرب

ويقول اخر:

حملن الجرة ونزلن عا العين
واخذن بزر معهن يتسلين
حملت الجرة وكيس الحشيشي
والعرق يزرب تحت الشليشي
ندهت عا المحبوب ولك متيجي
انشكل سوا ونلعب دلعونا

ويقول اخر:

حملت الجرة وجعتها اوجاعي

وحطت في قلبي كل الاوجاع
من يوم حبيتك وانا موش واعي
يا اللي الخلايق فيك لاموني

ويتنهد ويقول:
جولي زيتونك حبة عا حبة
تا يصبح بيدر عا شكل كبة
طلت عالي من العلالي
وام سن الذهب شغلتلي بالي
وفقرو وغناه غيرلي حالي
وخلاني داير زي المجنونا

ويقول:

يا طولك طول عود الحور والميس
ورابي عا هوا الرمان والميس
ومدايدك على الخدين والميس
حرير من العجم دوبو لفا

ويقول:

يا ماخذالبيض خشخش بالذهب خشخش
واصبر على البيض تنو ينور المشمش
ظليت اقاتل على الدار كرمال بوخذ نادي
خوفي عابو حجل وسواريصبح غريب بلادي

وتسمعهم يهزجون بايقاع خاص:

ثلاث بنيات عا البيدر بكربلن
يا هلترا اتزوجن ولا كماهن
يلعن ابو الي ضرب حمده وباكاها
يا احباب يا احباب كيف الحال وكيف إنتو
واحنا على حالنا ما اتغير الا انت
وياك وياك يلي اربيت انا واياك
وان عشنا عشنا سوى وان مت انا واياك
من مصر يا زين مكتوبك لفى عينا
كل ما قرينا كن هالت مدامعنا
يا خاتمي الي وقع في البير الو رنة

ولي سمع رنتو موصولو للجنة

وعندما يجتمع الصبية والشباب على نبع الماء، كل يبدأ بسرد همومه، ويتطلعون إلى نسج علاقة مع سعيدة الحظ، فيبدأ أحدهم بالقول:

طلّت من باب الشرق تلمع بديها
سجارة يا خلق تلمع بديها
عليم الله لو مسّت الميت بديها
لتحييه لو كان ثلثين تراب

أما من يحاوره ويناجيه في المجلس فيقول:

طلت من باب الشرق زرعية
والله ما خلق مثل عزيّة
طلت من باب الشرق شنّارة
والله ما خلق مثلك سمارة

ويتدخل آخر فيهزج:

شقرق ليش منقارك محنا
نصارى ما يسمو غير حنّا
صدق من قال صدر البيض جّنة
واما إصدور السمر نار املهلبا

ويصرخ أحد المحبين المحرومين، الذي تربطني به علاقة خاصة غير علاقة الأبوّة، وقد بدا القلق عليه ونفسه ملتاعة إلى حد بعيد، ويعتصرها الالم اعتصارا لا تشوبه شائبة، فيقول وهو يحوقل في نفسه:

كحيل العين قاعد فاي عرقان
وخدو من لهيب الشوب عرقان
تعجب يا قليبي نهود كيف خلقان
شبه بيض مدحرج عالوطا

ويقول:

نزلت عا البحر تغسل عفاها
مريض البحر من موجو عفاها
ولمن موجتو دخلت عفاها
تفّت في البحر أصبح شراب
من كرم المشمش لكرم اللوز   صدق بحبك احسن من جوزي
من كرم التفاح لكرم الليمون   صدق بحبك واتقلي مجنون
ياحياتي عليه يا مماتي عليه   اوجعتني اجرياتي ونا داير عليه

ويقول متفاعلاً وقلبه يقطر ألماً من شدة الوجد والتعلق بمن يحب، لان الواشين الذين إئتمنهم عقروه وخذلوه:

الاكحل امهود عا العين
تا يلقط باذنجان
شفت يمه ابنص الليل
ضو القمر ناداني
الاكحل امهود عا العين
تا ايلقط حب الرمان
شفت يما ابنص الليل
عيون عيون الغزلان
الأكحل امهود عا العين
تا ايلقط حب الليمون
شفت يما ابنص الليل
عيون كنها فانوس
الاكحل امهود عا العين
تا ايلقط ابو صرة
شفت يما ابنص الليل بملسلي بالغرّة
الاكحل امهود عا العين تا ايلقط تين اغزالي
لما شفت بالطريق اسمعت قلبي ناداني
الاكحل امهود عا العين تا ايلقط رظف الطابون
لما شفت بالطريق سابتني اعيون المزيون
الاكحل امهود عا العين تا ايلقط شومر وغار
لما شفت ابنص الليل شبت من اعيوني النار
الاكحل امهود عا العين تا ايلقط تين اخضاري
لما شفت بالطريق هيجلي كل اعصابي
الأكحل امهود عالعين تيلقط أو صرّة
شفتو يمّه ابنص الليل وجنات كنها جمرة
الأكحل امهود عالعين تا يسقي ارض الميشة
لما شفت إبعيني حرقلي قلبي وليلي
الاكحل هو حبيبي ريتو حظي ونصيبي
ولّي احرموني منو يوقعوا في ألف امصيبة
ولي احرموني منو يوقعوا في ألف امصيبة

ويقول احدهم منفسا عن همومه:

طلعت تتخطم من ورا الموزي
وهاالقد الجفا والله ما ايجوزي
عذبتي قلبي بالوصل جودي
يا ام الجديلة كالحلزونة

ويردف ايضا:

نزلت اتملي من عين المية
ايدها على الجرة وعينها علي
وما احيد عنك يا ها الصبية
ولو اهلك عسكر ما يهمونا

ويردف ايضا:

عا اليوم لو الوطن بنشال على الجمال
لشيل وارحل عندكم يا هاديين البال
عا اليوم لو الوطن بنشال على الراس
لاشيل واجي لكم يا قويين الباس
يا داريلي تجمع شملنا فيك
من دمعي لشيدك حنا لحنيك

وتقول احداهن والدمع مدرار على وجنتيها:

لاصبر صبور الخشب تحت المناشيري
ويش صبرك يا خشب غير التقاديري

وتردف والألم يعتصرها:

ونا داري عاليش سيدي باعني
هو كرهني ولا احتاج المصاري

عندها يقهقه الجميع ويتنهد الصادح، وفي كثير من المرات يتأوه، ويمسح دمعه ويعود إلى عمله، وهو يحمل في ثناياه الألم المتجدد،؛ ألم الحب والحرمان وألم الغدر الأخويّ، لأن شقيقه حرمه ممن يحب، فيكون الألم مضاعفاً، ويتمثل بالقرآن: ألم يقل الله لموسى «سنشد عضدك بأخيك» أما أنا فقد طعنني أخي أكثر من مرة، إلا أن هذه الطعنة النجلاء التي حالت بيني ومن يهوى قلبي، وتسمع أحدهم يناجي من يحب بقوله:

أمّاني أماني أمر الأماني
خذني معاك يا حبيبي بس اناحيراني
وان كان خايف عا الاجرة امر الاماني
بشلحلك يا حبيبي وهديك فستاني

عندها تسمع الصدى من بطون الأودية يتردد:

سكابا يا دموع العين سكابا
تعي وحدك لا اجيبي حدايا
وان جيتي وجبت حدا معاك
تهد الدار واجعلها خرابا

وأما العاشق الآخر فيتمثل صوت حبيبته فيقول:

هزة يا جميزة هزة
تفاح الشام حلو ولولذة
قلتلك يا ود يا مصري
قيم ايدك عن طية خصري
واخوتي العشرة بالقصر
بقتلوك ما ايهنش عليّ
هزةّ يا جميزة هزة
تفاح الشام حلوة وله لذّة
قلتلك يا ود يا سوري
قيم ايدك عن ضي خدودي
واخوتي العشرا ببارودي
بقتلوك ما بهونش عليّ
هزةّ يا جميزة هزة
تفاح الشام حلو ولو لذة
قلتلك يا ود يا شامي
قيم ايدك عن طي حزامي
واخوتي العشرا قدّامي
يقتلوك ما ايهنش عليّ
هزه يا جميزة هزة
تفاح الشام حلو وله لذّة

عندها يقهقه الصبية والصبايا الموجودون على نبع الماء، أو المتحلقون في الأماكن العامة، وينشد أحدهم:

يابو رْدَيِّن يابوردانا
ويش قنالك يادادا زعلانة
ضربني ابخنجر الشامي
وبصوابو دقدق العظاما

يا ويلي من جرحي وآلامي
طال الليل وعيوني سهرانا
يا شفتو في مرابيع
ومحني روس اصابيعو
وحبيبي والله ما بيعوا
لو اعطوني فلوسك يا سليمانا
يابورداين يابوردانا
ويش قنالك يا دادا زعلانة

عندها يتدخل أحدهم حتى يدخل البهجة والفرح إلى نفوس المستمعين فيقول:

وإن كـــان بـــدك غـــاويـــة　　خـــذ مـــن بـــنـــات الـــزاويـــة
تـــســـمـــع هـــمـــس ضـــلـــوعـــهـــا　　مـــثـــل الـــطـــبـــول الحـــامـــيـــة
وان كـــان بـــدك غـــاويـــة　　خـــذ مـــن بـــنـــات الـــزاويـــة
اتـــشـــوف بـــريـــق اعـــيـــونـــهـــا　　مـــثـــل الـــكـــهـــربـــا الـــعـــالـــيـــة

وتردف أخر:

اكل اليخنة دوخني وطلّع من راسي دخنة
بو معروف انت الجنة ما دمت امشاشي عليا

ويردف آخر فيقول:

يا جوز الثنتين يا بو قليطة　قرقين ازغير امعصب بشريطة
هذي غنم زريعة صاحبها خالد قريعة
قال اجبارة يا خيي اثنين هجموا علي
عودة بالدحماسة والجرو بالشبرية
بدخن ويشم ازعوط ابن المشفوط
عا الدكانة لما ايفوت بتنطنط كا الزرافة
عندها يتمايل الجميع فرحاً وضحكاً وهمساً ويقول آخر:
ون كان بدك بنات البدو يهوينك
مثل البدر طلتك يا حسنك يا زينك

ويقول:

الرز واللبن يبرد عا البدن　وإن لم تصدقني اطبخ وذوقني
لحم العجول عا المفتول　كل ولا تعزم حدا
الخيار ما بخلي عا القلب نار　والفقوس بخلي المصارين اتحوس

وعندما تمر إحدى الصبايا من أمام جمع شباب وصبيبة يتنهد أحدهم فينشد:

يا اغزيل شرق شرقا	راكب عا مهرة
يا اغزيل من مت أنا	مين أقلك مرحبا
يا اغزيل على التينة	بوكل ما بطعميني
يا شكال المرتينة	قوصلي ها الأرنبا
يا اغزيل لا تغزلها	والبيضة لا تزعلها
والسمرا ظل اقتلها	من الصبح للمغربا
يا اغزيل طالع طالع	يمشي والصدر دالع
الله ايهد المدارس	نستنا الحبايبا
يا اغزيل يا ابن عمي	يلي همك من همي
خذ امك وابعد عني	طيحتني اجهنما
يااغزيل يا ابن عمي	قميصك من الجنة
دشرت ابوي وامي	وصرت الك صاحبا
يا اغزيل يا ابن خالي	يلي حالك من حالي
خذ امك يا دلالي	نزلتني اجهنما
يا اغزيل يا غزالي	ابحسنك ما بلاقي
يا حبي يا دلالي	غيرك ما ني امصاحبا
يا اغزيل على النهر	يقطف ويعطيني زهر
امتى بهل الشهر	تنسافر يا احبيبا
يا اغزيل قدي قده	صفحة القمر خده
لافرش وانام ابحده	ابو اعيون امذبلا
يا اغزيل على العرقان	قاعد وكل بسمات
يمة مصعب الفرقة	علي موش امجربا
يا اغزيل على النهر	طق ومات من القهر
قوموا تنصلي العصر	قبل ييجي المغربا
يا اغزيل سيد البلد	حبيتك وانت ولد
لكتب عا حالي سند	غيرك ماني امصاحبا
يا اغزيل مشى مشية	من التينة للمشمشة
يا ابنية جيبي الدرجة	تا نتستا ساوية
يا اغزيل شفت شفت	عا البيادر ما شفت
والله الزرع لاقص	ان طال الزمن فيا

ويقول آخر:

يا ميجانا لك ميجانا لك ميجنا
زهر البنفسج يا ربيع بلادنا
الله معاهم وين مراحوا احبابنا
زحلق حبيبي عا البلاط اوقعت انا
ومن يكيده أهل حبيبه وهو يشعر بالغبن يقول:
يما امويل الهوى يما امويلي
ضرب الخناجر ولا حكم النذل ليّ

وعندما تتحقق ساعة الفراق بين المحبين ينشد أحدهم:

ونـــا لـكـتـب سـلامـي بـشـطـر مـكـتـوب
ع الـــي اصـديـرهـا نـيـشـان مـكـتـوب
ونـــا لـــدري نـصـيـبـي ويـــن مـكـتـوب
قـــبـــل ممـــشـيـــت ودعـــــت الحـبـــاب

ويرد آخر:

ونـــا لـكـتـب سـلامـي وبـعـثـلـهـم
حـبـر مـــن دم قـلـبـي لـبـعـثـلـهـم
لـــو انــي طـيـر وافــهـم لـلـغـوهـم
سـريـــع الـطـيـر لـــرد الجـــواب

ومع مرور فتاة لها سمات معينة يقول أحدهم:

يـا ظـريـف الـطـول يـا بـو المـيـجـانـا
يـا بـو الـعـيـون الـسـود شـو ابـحـبـك انـا
وقـعـد عـلـى الحـــدود وعـدّلـــك أنـا
مـهـمـا طـالـت الـغـربـة مـسـتـنـيـاك

ويقول:

مـــرق عـنـي ولا قـلـي الـعـوافـي
ضـحـك بـالـسـن واعـطـانـي الـقـفـا
ونـــا لـــدري ويـــن نـــازل نـزلـكـم
لمـشـي عـلـى الاقـــدام مـسـافـة سـنـة
يـا طـيـر خـذنـي عـا جـنـاحـك علـنـي
واجـعـلـنـي خـيـمـة نـدا فـوق احـبـابـنـا
وعـلـى افـراق الحـبـايـب والـلـه يـا عـالـم

يـا شـعـر راسـي انـا مـن الـهـم شايـب
يايابا على افراق الاحباب احنا عمينا
واغـيـابـهـم يـوم نـبـعـد عـامـيـنـا
يـايـابـا مـالـك صافـنـة يـابـنـت مـالـك
ايـا حـبـك فـي صـمـيـم الـقـلـب مـالـك

ويردف احدهم:

بـعـايـرنـي الـبـخـيـل ابـكـثـر مـالـو
بـخـيـل وراح لـلـظـلام مـالـو
يـا ويـل الـي انـتـخـا ورجـال مـالـو
بـيـمـوت وبـخـاطـر كـيـد الـعـدا
بـنـت الـبـخـيـل لا تـوخـذهـا ابـمـالـك
لـو انـهـا شـبـه الـشـمـس فـي ضـحـاهـا
بـنـت الـبـخـيـل لا تـوخـذهـا ابـمـالـك
بـيـجـي ابـنـهـا صـقـيـع الـذقـن مـخـول
بـنـت الـكـريـم خـذهـا ابـكـل مـالـك
بـيـع الـرزق واظـعـن فـي هـواهـا

وعندما يشعر أحدهم بمن يحب بالمودة والتمني في الارتباط يقول مخاطبا إياها:

يـطـولـك طـول عـود الـزان لـو مـال
وشـعـرك حـيّـر الجـدال لـو مـال
طلبنا النسب من أبوك ما رضي لا بفضه ولا بمال
كـيـف الـراي عـنـدّك والجـواب

ترد عليه واحمرار الخجل في وجنتيها، والأمل ينبعث في نفسيتها:

يـطـولـك طـول عـود الـزيـزوانـي
قـمـح شـامـي خـالـي مـن الـزوانـي
تـعـال حـط اخـتـك لخـويـي بـدالـي
وهـذا الـراي عـنـدي والجـواب

لذا يرد عليه آخر، وقد حرقته نار البعاد:

ونـا لـصـيـح صـوت يـسـمـعـونـي
وبـلـك احـبـاب قـلـبـي يـسـمـعـونـي
سـألـت الـداروين امـي وابـوي
قـلـتـلـي سـافـروا ومـحـدا عـاد

وإذا أراد أحد الناس عتاب من يحب، أو للتخلص من تبعات معينة يقول:

ونـــا الجـــاور الــبــربــين عـــا المـــي   عـمـن دوبــو منـبـوتـو عـلـى المي

صـديـق مـا يـوافـيـنـي ونـاحـي   اشبدي منو عند هيلات التراب

ويقول آخر:

ونا ابناحة وحبيبي ابغير ناحاي   وعلى الفرقة حمام الدار ناحاي

وهلي ما ابينفعني وانا حاي   شو بدي فيه ونا تحت التراب

ويقول آخر معاتباً شقيقه لما بدر منه من جفا معتمداً على الوشايات الكاذبة:

سهولك سهسهولك ضيّعوا عقلك والإيمان

ودعوني أدق اليسرى على الأيمان

أبو عايد ما يعجبك كُثُر كذبهم والأيمان

كذّابين لو حلفوا لَكَ على الكتاب

ومن أجل أن يخرج الناس من هذه الآلام النفسية يغني أحدهم:

ع العشب اليابس رمى جكيت ع العشب اليابس ع العشب اليابس

ما حدا لابس مثلك يا ساري ما حدا لابس ما حدا لابس

على السريس رمى جكيت على السرّيس على السرّيس

قص الشليشي علمها يا هاشم قص الشليش

على السياج رمى جكيت على السياج

حبك سباني خيي باشميم حسنك سباني

حسنك سباني حسنك سباني

بأرض المحطة لقيت حبيبي بأرض المحطة

نورك ما شاء الله نور لي قلبي نورك ما شاء الله

على الجسرين رمى جكيت على الجسرين

جيش الحسين يا ربي تنصر جيش الحسين

في النهر الجاري لقعد واستنى في النهر الجاري

ابحب ودلالي عيشني حبيبي بحب ودلال

على الفوارة شفت يستنى على الفوارة

لبس الامارة لبستك يا شميم لبس الامارة

من المزراب لقطلي العناب من المزراب

ابرمش رماني لما نظرلي ابرمش رماني

ابعين ابو ناظم قلي بستناك بعين ابو ناظم

طولك يحلا لي حبي يا ساري طولك يحلال

ابعين الجديدة اتسبح حبيبي ابعين الجديدة
لبس الجديد علمني يا هاشم لبس الجديد
بأرض الزرقا زرعلي النعناع بأرض الزرقا
ختملي الورقا وقلّي استنيني ختملي الورقا
بين الليمون ضمضمت حبيبي بين الليمون
عيونك سبوني خييّ باشميم عيونك سبوني
تحت الزيتون سبّلي عيون تحت الزيتون
محدا اينوشو جبين حبيبي محدا اينوشو
ابهمس الرمان راسلني حبيبي ابهمس الرمان
ابحسن ودلال عانقني حبيبي بحس ودلال
بين الجفون نيمني حبيبي بين الجفون بين الجفون
مثل الدفوف دقاتك يا قلبي مثل الدفوف

وعندما يريد أحدهم أن يغير النمط الإيقاعي، ويرى راعياً للغنم قادماً فيقول:

وإن كنت راعي غنم شبّب تغنيلك
وإن كنت راعي حمير يا علّة تجيلك
يا نعجة الزين عا الجاعد حلبناها
وان سلمت من الذيب الخاين تعداها
لا تطلعوا عا السلالم والهوى غربي
لكتب سلامي للي اخذ انا قلبي
لا تطلعوا عا السلالم والهوى اجنوبي
لبعث سلامي لابو الحسن والجود
لا تطلعوا عا السلالم والهوى شرقي
لحفظ ودادك ما دمت تسكن قلبي
لا تطلعوا عالسلالم والهوى اشمالي
لحظى ابحبيبي انا وانيمو ابدلال

ونجد الموروث القولي الشعبي يرصد بعض الملامح والعادات والتقاليد والقيم التي يعيشها الناس ويتفاعلون معها، ويرصدها حتى تبقى حيّة مع الناس الذين يتداولونها، كما فعل الشاعر الشعيبي، عندما أصّل للعلاقة بين شخصين من أبناء بلدته (دير غسانة) ، وهي قرية من اعمال رام الله، ابتناها الغساسنة ابان مجدهم، ولم تزل المباني التي شيدت في تلك الحقبة عامرة ببعض من تورثها، واما الشخصان هما (أبو صافي وأبو لطفي) وكلاهما يمثل نمطاً خاصاً في الحياة،؛ فأبو صافي يميل للحياة الصوفية والوداعة والهدوء والطيبة المفرطة، أما أبو لطفي فهو النقيض الحقيقي،؛ حيث عاش الحياة بمقوماتها

المختلفة، وكان جريئاً شجاعاً ميالاً لأخذ الحق بالقوة، فجاء الشعيبي وسجّل ذلك عبر قصيدة شعبية بسيطة، يداعب من خلال مفرداتها محيطه الاجتماعي، ويجسد الملامح العامة لكل من الطرفين باسلوب يجمع بين الفكاهة والتندر الشعبي الذي بقي حيا في نفوس الذين يتناقلونه حتى مشيئة الله، وقد نجح في ذلك نجاحا مفعلا، لأن النص الذي احياه، يمثل ظاهرة تستحق ان يتوقف عندها الأنسان، ويتمعن فيها تمعنا خاصا، لأن بصيرة الشاعر تنفد في العمق نفوذا له خصوصية خاصة .

اسمعوا يا امارة
قصيدة كلها اخبارة
عن بوصافي والحمارة
ابو صافي قد سهر
حتى يصرح ع الظهر
واحمارة ابتقهرقهر
ما اشقى منها حمارة
والصبح شدّ عليهاواتبرم حواليها
معرفش يركب عليها ضاع العمر يا اخسارة
الله يستر الله ايعين قد ضاعن مني الستين
انا من التعب صرت انين ونادي يا اهل الحارة
أبو صافي نزل على الخلّة
ولحقوا يا أبو اقدلة
وأنا عزمي منحلي
خربتني السيجارة
أشقى منها مرناش
ابنها أورش الجحاش
ونزلت عليها ادور
لقيت الربيع امنور
وحمارتي لما اثوّر
ابتسرع سرع الطيارة
والخرج والميات
عن ظهرها واقعات
والخرج مني انغدا
وانحرمت من الغذا
قصدي ما يدري حدا
ولا ابوح باسرار
أبو لطفي لقاهن

قالوا الناس خباهن
لو بدو اخبيهن
لكان في الارض يخفيهن
بوصافي لا تحتارا
بو لطفي جمل هدّارا
بوصافي الله ايخليك
بولطفي احسن صديق
ابينفعك في ايام الضيق
لو خصمك عليك ثارا
اسمعوا يا امارة
قصيدة كلها اخيارا

وهناك من يؤرخ للعادات والتقاليد في قرى معينة، كما فعل الشاعر (أبو الدُّح) العابودي الذي قال قصيدته، يؤرخ للعادات والتقاليد فيما يعرف ببني زيد الغربي، وبعض القرى المجاورة في الارض والحجر، او كما يقال (الجيران في الشجر والحجر) ، ويتناقلها كثير من الناس، كل حسب تطلعاته وقيمه، فمنهم من ينقلها على استحياء، ومنهم من يتناقلها بنوع من الفخار والعزة، حيث يرينا الشاعر مناقب كلّ قرية على حده، وطباع أهل القرى التي ذكرها، دون مجاملة تذكر، وانما التلقائية هي المسيطرة، والعفوية التي تاخذ بيديك وتقول لك هذا فن قولي شعبي عاش لسنوات طوال، ويجب ان يعيش إلى ما شاء الله له في الحياة، لانه صادق النوايا، عزيز المنال، او ما يسمى السهل الممتنع، اي يظنه الناس سهلا، وهو ليس كذلك:

فقيرة يا كفر عين إما قراوة ع سفر
والبخل في دير بلوط وأما الكرم في الكفر
كفر عين اظرت البلاد وقراوة ما ابتنعبر
ودير غسانة بطرابيش في روسهن مثل الإبر
لا تتوهم يا غشيم سافر من قبل العصر
قبل الشمس عليك اتغيب وتقع في ارض الخطر
وصالح العلي اسم كبير ولكن في الكرم فشر
بيت ريما حرامية وسرسرية من صغر
أولهم طه الاسمر وآخرهم الاعمى بندر
النبي صالح كريمين لكن قاتل الله الطفر
والقدحي دايما قاعد والكذب عندو مطر
وأنا أصلي من عبود وبشرب من عين الحجر
وأهل اللبن هل الاسود شطرين بضرب الحجر

لما ربي قسم العقول ما حدا منهم حضر
ورنتيس ها الامارة بشربوا مع البقر
عطارة عطر البلاد والضيف فيها معتبر
فقيرة يا كفر عين أما قراوة ع سفر
والبخل في دير بلوط وأما الكرم في الكفر

وهناك من يدخل مسميات المنتجات الزراعية في صلب أقواله، حتى تشيع بين الناس، وتصبح كالعلامة التجارية، لان الناس يتناقلونها، والاطفال يرددونها على الالسن في الحارات والاسواق والازقة، فتكون ظاهرة اعلامية تسويقية دون تدخل الوسائل الاعلامية العصرية، لانها تصبح من الثقافة القولية لدى الناس يتناقلونها ويحافظون عليها، فاللوزيات بانواعها المختلفة تجد مكانتها في اهازيجهم، فالمشمش على سبيل المثال نوعان، بلدي وحموي، اما البلدي فشكله الخارجي يشبه خد الفتاة الندي، اي ابيض تشوبه الحمرة، حلو المذاق، وبذرته حلوة ايضا، اما الحموي فيختلف في اللون والمذاق، وبذرته مرة المذاق، اما اللوز فمنه البلدي الصلب، والحامي حالو، اي ثمرته تحمل طعم المرار قبل النضوج، وبعد النضوج تتبدل الثمرة إلى حلوة المذاق، وهناك الفرك ونصف الفرك، وكل له مذاقه الخاص، لذا نجد الناس يتغنون بهذه الثماركل حسب قناعاته وذوقه:

من صحن المشمش لا تكبش دور على اللوزية
حموي يا مشمش بلدي يا مشمش

ويقول اخر متغنيا بالموز الذي يزرع في مدينة اريحا، ويمتاز بطعمه الخاص، ولونه الخارجي، وحجمه الصغير او الوسطي احيانا، ويقرنون ذلك بالعنب البلدي الذي تشتهر به مدينة الخليل وضواحيها من المدن والبلدات الاخرى، وهو من الثمار التي تشتهر بها فلسطين على مدار الايام، ولم تزل تقع في دائرة الاعتناء والعناية المستدامة، وهناك أنواع متعددة يغرسها الناس إلى يومنا هذا:

ريحاوي يا موز خليلي يا عنب

ويقول اخر:

الجزر بقوي النظر والقطين بعمي العنين
وسوسك حلو يا سواس ولوب عا قرن الخروب
ولوب عا قرن الخروب يا محروم من المزيون

ويردد آخر:

يا ناس الله اكبر   كل يوم صورة ابنتصور
أصلها مدنية   ورايحة ادور وزعتر

بتلقط ميرمية وريحتها مسك وعنبر
يا ناس الله اكبر ضحك عليهم كيسنجر
كسينجر ضحك عليهم يا ناس الله اكبر
اصلها مدنية ورايحة اتلقط زعتر

وتغني النسوان متهكمات على بعض المظاهر الاجتماعية، كالذي يتزوج من أكثر من امرأة، وكذلك الرجال لهم ما يشغلهم في هذا الموضوع، حيث تصبح المادة قابلة للتندر والتهكم والتسلية والتحريض على حد سواء، لان المرسل يقصد ما يقصده والمتلقي كذلك، فمثل هذا الأمر يلقى رواجا في نفوس الرجال أكثر من النساء، علما انه يحرق اكباد النساء، ويديم الحسرة في نفوسهن، اي يترك نفوس النساء مكلومة ملتاعة حزينة حزناً ظاهرا دفينا، حيث يتضح ذلك من خلال النص الشعري الشعبي:

يا يما وين بدك اتروحي فيي
عندي ثنتين فلاحة ومدنية
امشحر يا جوز الثنتين
امسخم يا جوز الثنتين
مكوي على الصفحتين
من الزقر وقرق النسوان
قال جيت بدي افتح الشباك
قلبي ابيعمل تكتك تاك
يا الاسمر يلي في الشباك
اطلعلي عا البلكونة
يا جوز الثنتين يا بو قليطة قرقين ازغير امعصب بشريطة

بعد هذا الانسجام مع الإيقاعات النغمية، ومن خلق حالة من الهرج والتمايل، تسمع أحدهم ينشد بصوت جهوري استفزازي، يراد منه تنبيه الاخرين إلى مضامين اجتماعية مقصودة من خلال هذا القول، لذا ترى من يسمع القول المعني يتمايل اما خجلا، او نشوة اوغير ذلك:

صاح ديك اشعيب قوموا اطفوا السراج واعملوا الهكشة

النواح وماترردده القلوب في الملمّات

الموت ظاهرة كونية انسانية عرفها الناس منذ معرفته للحياة، لأنها أي ظاهرة الموت تحققت مع وجود أول خلية بشرية عرفت الحياة على الأرض، ولم يستطع أحد من البشر منعها في تلك اللحظة أو في سياقات الأزمنة القادمة، لأنها تعبير لا ارادي تبهر الانسان وتعجزه عن أداء اي عمل يحول دون الموت أو تأخيره إلى أجل مسمى، لأن ذلك من عوالم المجهول والمغيبات لا يعلم الانسان متى تقع، وان وقعت يبقى حائرا تجاهها، إلى ان تمت معرفة الأمور عن طريق السلوك التعليمي، في حين بقيت حالات الفزع والألم تنتاب الناس إلى ان يشاء الله في قدره، ما يعني أن ظاهرة الموت خلفت انطباعا خاصا في نفوس الناس، كل يعبر عن همومه على طريقته الخاصة، الا أن المحصلة واحدة وهي الجزع والحزن ومدى التعبير عنهما، لذا جاءت الفنون القولية التعبيرية حالة مساندة للانسان لاخراجه من محنته أو التلطيف عنه ولو زمانيا أو شكليا، فكان الحداء والمراثي وتعداد المناقب من مكملات العلاقة مع ظاهرة الموت لأسباب متعددة، ففراق الموت هو الفراق السرمدي الذي يلازم الحدث، ولا يستطيع أحد الفكاك منه، ومثل ذلك له خصوصية في الحدث والقول، فتكون نغمات القول عندها لها ما يمايزها عن غيرها من النغمات ان كانت حزينة، أو غير ذلك، وأما إذا ما حدث الفراق لأسباب معينة، للغربة أو الخصومة، فتكون النغمات بوقعها متباينة عما سواها، ولها صداها ووقعها النفسي الخاصّان:

يا عين هرّي ونزي من الدمع ميّة
على الي راح وما شفنوش عنية

ويقول آخر:

الله اهدّك يا شهر الفراق
فرقت ما بيني وبين الحبيبا

وعند وفاة أحد الأبناء يقول الوالد متحسراً:

يـا غــراب الـبـين وش دلّـك عليـنـا
طـفـيـت سـراجـنـا المـضـوي عـلـيـنـا
وأخــذت حـسـين المـخـيـم عـلـيـنـا
وخـلـيـت الـعـدا إدوســوا دارنــا

وعندما تشعر المرأة بالغربة الزمانية أو المكانية أو الاغتراب النفسي تسمعها تردد أقوالا

مؤثرة في النفس والفكر معا، ما يعينها على الأستمرارية في الحياة وتبعاتها، وتحافظ علىكينونتها المضطهدة او المهشمة في كثير من الاحيان، فيكون النص القولي النغمي معينا لها للأنفكاك ولو زمنيا من هاجس الأغتراب النفسي والجسدي علىحد سواء:

يا طيور طايرة
يا وحوش سايرة
سلّموا على أمي وأبوي
وقلهم اجبينة راعية
ترعى غنم ترعى سخول
إتقيل جنب الزاوية

وتقول المرأة نفسها توكيدا للفكرة التي جاءت بها في الأسطر السابقة التي جسدت من خلالها معاناتها المتجددة، وكأن المعاناة جبلت مع روح تلك المرأة، واصبح من المسلمات عندها أن تتعايش مع الألم النفسي والجسدي على حد سواء، ولا تجد من يخفف عنها بعد الله الأ الايقاع النغمي الشجي، وذكر المماثلة في الواقع والمعاناة، لأن المماثلة تخفف عن الأنسان ولو شكليا، او مرحليا، فالإنسان بحاجة ابدا ان يروح عن نفسه وان بالبكاء احيانا، لأن البكاء يصنع ما تصنعه الضحكات او اكثر قليلا، لأن البكاء والضحك عند العرب في ماضيهم وحاضرهم من توابع التطريب، فالطرب ضحك وبكاء على حد سواء:

يا حمام البر البر ماشفتش امي
امك عا البحرين بتلط عا الخدين
على اخوتها السبعة وابنها العزيز الغالي
اه يا ابني يا دلالي
ضو اعيوني انت الغالي
ضعت مني يا حلالي
لاكتب اسمك في العلالي
روحي هايمة في البراري

وعندما يموت أحد المحبوبين عند الناس، تسمع الحداء المؤلم من النساء، ومثل هذا القول قيل في حق الرئيس جمال عبدالناصر، الذي وافته المنية في يوم الثلاثاء الموافق ١٩٧٠/٩/٢٨ م، حيث اعلن الناس الحداد اربعين يوما، وعطلت الحياة، واغلقت المدارس، وعمت المظاهرات الاراضي الفلسطينية المحتلة، كما حدث في معظم الدول العربية، وقد اظهرت قطاعات الشعب كلها مظاهر الحزن والاسى على شخصه، وكنت ترى الناس جميعا يبكونه بحرقة والم الحسرة يغلف قلوبهم، الا نفر قليل لم يكترثوا للحدث الجلل، واخذت النسوة تقيم مواسم العزاء لمدة اربعين يوما، تتحلق في ساحة القرية وتبدا بالعويل، وذكر المناقب بصوت جنائزي، وايقاع شجي يثلم قلوب السامعين، والشباب يسيرون زرافات

وركبانا، يهتفون باعالي اصواتهم عبر مكبرات الصوت: (جمال مات جمال لا يموت، بالروح بالدم نفديك يا جمال) .وترى الاعلام السوداء تعلو اسطح المنازل وكثير من النساء ترتدي الملابس السوداء، او تلبس اثوابها على وجهها الداخلي، (البطانة) وترى بعض الرجال وقد صبغوا كوفياتهم البيضاء باللون الاسود، او اللون الازرق الداكن تعبيرا عن الحزن وعظم المصاب وجلله، وقد افردت النساء بعضا من الماثور القولي خدمة للفكرة وتعبيرا عن الحدث بفاعلية تامة وايقاع جنائزي يثير ثائرة النفوس الملتاعة، ويزيد من حزنها، تفاعلا مع الواقعة العظيمة.

قوموا اسمعوا البومة ويش برجمت في الليل
قالت يا بو خالد ليالي الهنا زلين
قوموا اسمعوا البومة ويش برجمت في الليل
قالت هية يا جمال ليالي الهنا زلين
قوموا اسمعوا البومة ويش برجمت قالت
قالت هية يا جمال ليالي الهنا زالت
قوموا اسمعوا البومة ويش حدثت الغراب
قالت هيه يا جمال بعونا ابرخص التراب
قوموا اسمعوا البومة ويش حدثت في الليل
موتك هيه يا جمال هدلي الدار واعمى العين
قوموا اسمعوا البومة ويش حدثت للناس
قالت هيه يا جمال الحكام بعدك بلا احساس
قوموا اسمعوا البومة ويش قالت لاهل الدار
ابموتك هيه يا جمال ما عاد للناس اكبار

وكانت أنيسة تردف القوّالات، بمعانٍ متعددة، لأنها اكتوت بنيرا أخيها الشهيد، فتمثل عندها الحزنان، شهادة شقيقها ووفاة عبدالناصر، فتردف قائلة:

أربدي يا خيل أهلنا عا الميدان طايحة الميدان ابتصهن لجمال
أربدي يا خيل اهلنا عا الابريق طايحة الميدان ابتصهن للعزيز
أربدن يا خيل أهلنا عا الساحات طايحة الميدان وابتصهن قامات
اشربي يا خيل أهلنا اشربي تا ييجي جمال من أرض النبي
إشربي يا خيل أهلنا إشربي تا ييجي أحمد من أرض النبي

وتقول:

قيموا هاالبلاطة دمها مرجان تا ييجي جمال من بين العرقان
قيموا ها البلاطة ارموشها حنون تا ييجي جمال حبيب الزيتون
قيموا هاالبلاطة صوتها عربيد تا يرجع جمال من حرب اليهود

وتقول احداهن وقد فقدت أخاها شابا لم يتجاوز واحدا وعشرين ربيعا، غريبا في أرض جزيرة العرب، اثر حادث سير مؤلم:

طـــيـــري غـــربـــي الـــبـــلـــد هـــدّ والـــنـــذل عـــن صـــيـــدتـــو عـــدا
طـــيـــري غـــربـــي الـــبـــلـــد راحـــل والـــنـــذل عـــن صـــيـــدتـــو جـــاهـــل
غـــاب الـــقـــمـــر ورجـــالـــنـــا غـــيـــاب بـــدري بـــيـــجـــوا ولا نـــســـد الـــبـــاب
غـــاب الـــقـــمـــر ورجـــالـــنـــا مـجـوشـي بـــدري بـــيـــجـــو ولا انـــســـد الـحـوشـي
بـــرودة حـــجـــر امـــعـــلـــقـــة فـــي الـــتـــين لا يـــا حـــســـرتـــي شـــكـــالـــهـــا قـــتـــيـــل
يـــا شـــاعـــر مـــيـــل عـــنـــدنـــا هـــا الـــلـــيـــلـــة وطـــلـــع كـــيـــد عـــا شـــبـــاب الـــعـــيـــلـــة
يـــا شـــاعـــر مـــيـــل عـــنـــدنـــا وارتـــاحـــي وطـــلـــع كـــيـــد فـــي الـــشـــبـــاب لملاحـــي
هـــرول يـــا رمـــل مـــن روس الـجـبـــال واركـــد يـــا نـــعـــش يـــا زامـم الـــغـــالـــي
هـــيـــه يـــا قـــمـــر الـــســـاحـــة ولـــيـــش تـتـغـيـبـي مـــكـــتـــوب عـــا الـــعـــبـــد ايـــمـــوت غـــريـــبـــي
هـــيـــه يـــا ســـدرة الـــســـاحـــة هـــزي وهـــزي يـــامـــا اطـــلـــعـــوا تحـــتـــك مـــنـــاســـف رزي
هـــيـــه يـــا ســـدرة الـــســـاحـــة يـــارنـــانـــة يـــا مـــا أطـــلـــعـــوا تحـــتـــك لحـــم خـــرفـــانـــي
هـيـه يـا شـبـاب يـلـي ابـتـلـعـبـوا الـسـيـجـة اســتــنــوا لــلــعــبــد تمــنــوا يــســرح ويــيــجــي
هـــيـــه يـــا شـــبـــاب يـــلـــي تـــلـــعـــبـــوا الـــشـــدة اســـتـــنـــوا الـــعـــبـــد طـــيـــروا تـــا ايـــهـــدي
هيه يا ميت غريب وليش أهلك مجوشي بـلـدي ابـعـيـدي وكـون أهـلـي مـيـدروشـي
هيه يا ميت غريب وليش أهلك مجوش هانا بلدي بعيد وبدها ارجال وخيالة
هـيـه يـا دم الـغـريـب فـي الـسـهـل يـجـري لـو خـبـرونـي حـضـرت لـلـقـتـيـل حـجـري
هـيـه يـا دم الـغـريـب فـي الـسـهـل بـيـعـوم عـوم لـو انـي حـاضـر لـلـقـيـتـو مـع الـنـوم
واحـــــنـــــا الحــــــزانــــــى جــــيــــنــــا يـــــا اســـــخـــــامـــــنـــــا فـــــي ايـــــديـــــنـــــا
وخــــــــواتــــــــو بــــــالــــــشــــــاطــــــر يــــــا اســــــخــــــامــــــهــــــن قــــــنــــــاطــــــر
يــــــا احــــــوالــــــنــــــا واحــــــوالــــــهــــــم كــــــلــــــهــــــا والــــــلــــــه تــــــتــــــغــــــيــــــر

هيلوا اصحون البيض وصحون اللبن
هيلوا اصحون البيض قبل ما أصل
تيجوا على العيد ولا اطلق ضحاياكم
هذي صبايا العز تستنى هداياكم
ولك هيه يا عيد وعيد في الزقاق
وحنا الحزانا وقتلنا الفراق
ولك هيه يا عيد وعيد في الزقاق
ومشي ورح واحنا الحزانا ما ندراش

شاب عا المقبرة بنادي يا مين اروحني عا ابلادي
شاب عا المقبرة بينوحي يا مين اروحني تروحي
شاب على روس الجزايروأنده عابو الشليش مايل
جمل برخ بين القبور ولكشت برجلي
وما قام ويكشيل الي جملها ما يمشي
يخويي خذوني اسياج المقبرتكم تلقى المطر والسيل عنكم
خذوني بين القبر وكيل يا مقعدي مقعد ذليل
قولوا لأمو ما اتقولوا الغيرها
والكحل الاسود ما اتحطوا ابعينها
قولوا لأمو ما اتقولوا لحدا والشمندر الأحمر لا اتحطوا بالندا

وتقول الأخت أيضا:

هيه يا شباب يلي تلعبوا الشدة ما شفتوا لي العبد طايح الهدي
هيه يا شباب يلي تلعبوا في الدار ما شفتوا العبد طايح الهدار
هيه ياعبد يلي قطعت المية ما أدري عزب ولا وراك ابنية
هيه يا عبد يلي قطعت الوادي ما أدري عزب ولا وراك أولادي

وقال صاحب الاسطر عندما فجع بأخيه الشاب، اثر حادث سير مؤسف، بين بغداد وعمان، وقد ألحد غريبا، وبكته القلوب مع العيون صراحة:

سلام إلى تيسر بأرض اربد — وشوق من الأعماق يحيي النسائما
يا قوالة الشباب ظلي قولي — قولي على تيسير يا ظريف الطولي
يا قوالة الشباب ظلي قولي — قولي على تيسير هبوب الريح
يا قوالة الشباب لا تنسينا — قولي على تيسير تا يجينا
يا قوالة الشباب ظلي ابمطرحك — قولي على تيسير يجي ابمطرحك
يا قوالة الشباب قولي للزمان — ومن بعد تيسير ما ظل الأمان
يا قوالة الشباب زوريلي بغداد — واتفقدي تيسير قرّب الأوان
يا قوالة الشباب اتمشي في الدروب — وجيبي من تيسير شارات المكتوب
يا قوالة الشباب زوريلي عمان — من بعدك يا تيسير تحرم الذهبان
يا قوالة الشباب زوريلي اربد — وقولي لتيسير البعد بحرق
يا رايحين على بغداد قولوا الها — تيسير ما هجرها اج ازورنا
يا رايحين على أرض الحدودي — تيسير واريتو في اللحودي
يا رايحين أرض العراق وخبروا — تيسير والله ما بفارق جنتو
يا رايحين أرض المقابر في الظلام — من بعد تيسير ما انعيش ابسلام

يا رايحين عا الدواوين في الغروب من بعد قلبي أنا اخسرت الحنون
يا رايحين أرض المفرق وقت الغروب تيسير نايم عندكم حسو مظلوم
يا رايحين أرض المفرق مع الضحى تيسير ما نام الليلة هذي ابمطرحو

ويقال أيضا:

لا يا احسيرتي راحت على اللي راح راحت على تيسير سياج البيض الملاح
اه يا احبابنا طلوا علينا وابصرونا من المقت والله ما تعرفونا
طلوا علينا وابصروا الحال تلاقوا علينا الدهر ميال

وقلن أيضا:

اقعدي خيك يا نجوى من نومة حسن الدلال بيدلّل على اهدومه
اقعدي خيك يا نجوى من فرشه حسن الدلال بيدلل على لبسه

وقلن أيضا:

هيه يا نادية قولي عليه في الحلقة يا شاربو خط القلم عا الورقة
هيه يا نادية قولي عليه واتقولي يا شاربو خط القلم بالمنجلي
هيه يا نادية قولي عليه بالنوح يا شاربو خط القلم عا اللوح

وقالت النسوة متحسرات على عظم المصاب، ووقعه على النفوس، وقد تلقين الخبر عبر المخبرين، ووسائل الأعلام:

مين جاب الخبر يا ناس مين جابو مين جاب الخبر واعلن عن اصحابو
يا خبر أجانا من قفا البحوري يوم اسمعت تيسير قمت مرعوبة
يا خبر أجانا مع صوت الأمطار يومن قالوا تيسير قمت أنا محتارة

وقالت إحداهنّ وقد فقدت ولدها بعد اتمام حياته الجامعيّة:

يا رايح على الشام جبلي من البرّي سلام
لكتب بدمع العين عا نعشو أحلى كلام

وأما إذا كان الميت محارباً أو شهيداً أو ابدى شجاعة معينة تجاه ارضه ووطنه وابناء شعبه وامته، يأتي القول متساويا مع الحدث، او مجسدا للحدث، او مضيئاللحدث حتى يحببه إلى نفوس المتلقين، فيشكل النص جسرا وشائجيا بين المرسل والمستقبل على حد سواء، ومثل ذلك يجعل النص صاحب سيادة فاعلة، او يجعل جمرة النص يصطلي بها كل

من يتقرب منها، او يحاول التعامل معه من قريب أو بعيد، لأن فاعلية النص تتوهج كلما تقترب منه انماط التفكير وان تباينت في التعامل مع النص:

طلّت البارودة والسبع ما طل
يا بوز البارودة من الندى مبتل
طلّت البارودة والسبع ما جاش
يا بوز البارودة من الندى رشراش

وتقول احداهن:

بارودتو تو بيد الدلال اريتها	**يا اقشيل راسي ليش ما شريتها**
بارودتو بايد الدلال شفتها	**يا اقشيل راسي ليش ما شلفتها**
بارودتو اباب الديوان حطوها	**يا اقشيل راسي ليش ما حموها**
بارودتو من بابي مروا ابها	**يا اقشيل راسي ليش ما ضميتها**
بارودتو من بين السلاح اعرفتها	**يا اقشيل راسي ليش ما عانقتها**
بارودتو مع الاعادي شفتها	**يا اقشيل راسي مين راح اردها**
بارودتو على الرجوم مرمية	**يا اقشيل راسي كثروا الحرامية**
بارودتو من الحدود جابوها	**يا اقشيل راسي قتلوا ابوها**
بارودتو على العيون حطوها	**يا اقشيل راسي ارضي ضيعوها**
بارودتو زي الندا على الارض	**يا اقشيل راسي مين راح يحمي العرض**
بارودتو زي الندا في الدار	**يا اقشيل راسي مين راح يحمي ازغاري**
بارودتو زي الندا عا الدفوف	**يا اقشيل راسي وين راحوا اهل المعروف**
بارودتو زي الصدى في الوادي	**يا اقشيل راسي كثرت الاعادي**
بارودتو عند الامير شافوها	**يا قشيل راسي سرقوا الحكورة**
بارودتو عند الاعادي واليهود	**يا اقشيل راسي بهدلونا الجنود**

وعندما تشعر المرأة بالوحدة، وهي تعد الطحين بمفردها، او تقوم بإحدى مهمّات الحياة الأخرى، وقد أثقلها الإعياء والتعب تسمعها تشدو الما، تواسي نفسها بالدموع المدرارة، وتسمعك ما تقوله روحها لروحها عبر مفردات توجهها إلى قناعها الذي تتلبسه او يشكل مدخلا لتوضيح هواجسها والثوابت التي تتعامل من خلالها مع الاخرين، او اية شخصية تضع لها مسمى دون النظر، ان كانت هذه الشخصية حقيقية او ترميزية، الا انها تتفاعل معها وتحفزها على الاستجابة لعواطفها التي لا تبقى على نمطية واحدة، لأن العواطف تتبدل بتبدل الأزمنة والأمكنة كلها:

يا جارنا يا بو علي	**والغول بطحن معي**
والليل معنا طويل	**والحب معنا قليل**
ون خلص الحب بوكلك	**يا جارنا يا بو علي**

يـا جـارنـا يـا بـو علـي يا بـو الشيـخـة والمرجلـي
خـلصنـي مـن هـا المسألـي طـول عـمـري انـا امبهـدلـي
مــن طــاحــونــة لمزبـلــة والــــدســـت يـغــلــي غـلـي
يــا جــارنــا يــابــو عـلـي خلصني من هـا البهـدلي

وتعيدها مرة اخرى لكن مع نوع من التغيير:

يـاجـارنـا يـا بـو علـي والـغـول بـطـحـن معي
وازغــيــر ويـلـوقـنـزعـة رب الــســمـــا يـنـزعـة
جري جري يا بنت ابو مري
والـلـيـل مـعـنـا طـويـل والحــــب مـعـنـا قـلـيـل
وان خلص الحب بوكلك وان خلص الحب بوكلك

تلك المرأة تشدو والدمع يسيل على وجنتها، وتردد مع غيرها حتى تشعر بارتياح تام عندما تتلاشى صور الهم، أو ترى الهمّ وقد تجسد أمام ناظريها، فيخرج صوتها متفاعلا مع صداه فتجهش بالبكاء المتجدد، وتعود إلى مناجاة الذات كي ترثي الذات عبر شخصية الفقيد، ان فقد حقيقة، او فقد نفسيا في نظر زوجته في اقل تقدير، لان بعض الرجال عدم وجودهم اولى من وجودهم، بذلك تكون قد ازاحت الهم عن كاهلها، ورسمت صورة للمخاطب تكون واقعية، او تقديرية:

يا كشيلها اللي اترملّت في اصباها
خلّت عزيز الروح في مرعاها
لروح للزعتر وشمو
وشوف حبيبي وقلّو
كيف تقدر على فرقاي يا وشمو

وقولها:

قــولــوا لـعـين الـشـمـس مـا تحـمـاش
عــمّــن عــديــل الـــروح صـبّـح مـاشـي
قــولــوا لـعـين الـشـمـس مـا تـطـلـعـش
عــمّــن حـبـيـب الـــروح عـلـى الـنـعـش

وعندما مات احد الحدادين وهو من النور الرحل ويدعى ابو ظاهر قالت احداهن مولولة:

الطمن يا خايبات شيخ الحدادين مات
يا فضة حدت عليه والكلب دندل ذنيه

والعدة تلطم عليه مات بو ظاهر ياخسارة
الطمن يا خايبات شيخ الحدادين مات
والكور يبكي عليه والجحش ذبل عنيه
والارض اتولول عليه
مات وراح يا اخسارة
وفضة تلطم عليه،
وزهية تصرخ وتقول ابويي مات يا خسارة
بو ظاهرمات يا اخسارة بو ظاهر مات ياخسارة

وتردف ايضا:

يا خايبة يا عورة جوزك وقع في الدورة
لوماتني لقيتو ان كان خرب بيتو

وتقول:

والرملة يا خياتي والرملة الها هياتي
والرملة قدت ثوبي والثوب جابو الغالي

وتقول:

وصاني المرحوم وقال خذي سلفك عا العيال
خذي سلفك واحظي فيه واستريه وانستري فيه

وتقول:

هيه يا خايبة لا توخذي الي الو كرش
بقلعك في الليل من كثر الهرش

وتقول أيضا:

بديش الشايب بديش أحوشة
لو كان الذهب مالي طربوشة
وتفو عا الشايب وتفو عا فلوسة
وبدي حبيبي الأفقر مايكونا

وتقول:

عا ليش يا بو كنودة تظربنا بالبارودي
وحنا سربة اقرودة ابنشربك شربة مية

وتقول احداهن عندما يكون المقتول مغدورا، تحث على الاخذ بالثأر والخلاص من تبعيات الواقع، لأن الغدر من تبعات النفوس المريضة، ويجد الصدى في المجتمعات البدائية والقبلية، والحياة التي تمجد النزعات الانتقامية لدى الناس، فمثل ذلك لا ينتهي الا اذا عاد الناس إلى رشدهم وقيمهم المستمدة من العقيدة السمحاء، اوعندما يجعلون القوانين سيدة الحياة، وتسود في الحياة، لذا جسد الأدب الشعبي هذه الصورة المستطرقة من

قبل الناس، ألا وهي خاصية الثأر وبواعثه والبحث عنه والأستمرارية فيه، فتأتي الصورة تحفيزية وفيها لغة الهجوم واضحة لا يحتاج من يتعامل معها إلى عناء حتى يجسدها:

ياريت قتّال قتيل دمو في الوديان اسيل
ياريت قتّال مقتول جسم للعقبان والدود

وتقول احداهنّ:

الشارب ند الشارب والحاجب ند الحاجب
البيضة ند البيضة والسالف ند السالف

لذا تدخلت أم أيوب وقالت:

إبكلهم يا خايبات إبكلهم إبكلهم يا خايبات إبكلهم

واما اذا كان القتيل ثائرا او فدائيا، عندها نرى اللحن وقد توشى بلون من الفاعلية الخاصة او التفاعل الجذاب الذي يأتي عبر نغم ايقاعي خاص، لا نتلمسه الا فيه أو في مثيلاته من النصوص، فاستشهاد الثائر يخلق حالة انطباعية خاصة لدى المتلقين للحدث، والمتفاعلين معه، لذا تصبح المفردة اكثر فاعلية في هذا الموقع، وهكذا مناسبة، عندها تسمع من تردد فتقول:

مابيني وبينك سلسلة وادي ظرب الخناجر بحمي البلاد
جازي عليهم يا شعبي جازي المندوب السامي وربع عموما

مثل هذه النصوص نرى أنها تعمل على اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية، أي أنها تذكر الناس بالمواقف وأصحابها، وهذا يدفع كثيراً من الناس أن يرددوا هذه النصوص في مناسبات عديدة، وبالذات المناسبات المشابهة للمناسبة التي قيلت فيها، فكأن هناك تبادلا مشتركًا ومقصودًا بين الناس، حيث تزدهر الظواهر الشعبية، لأن الناس المنشدين قد يدخلون على النصوص بعض التعديلات حتى تلائم المواقف التي يعيشونها، وهذا يؤدي إلى تماسك البناء الاجتماعي؛ لأن الناس تتأكد أن المصائب التي تعيشها ليست فريدة أو غريبة، وإنما نجدها أصابت أناساً كثيرين، لذا نجد وقعها في النفوس أقل أثراً من المصيبة التي لا مثيل لها، فكما يقال (مثلما اصابكم اصابنا، ومثل ما اصابنا اصابكم):

ذبّل عيون ومد ايدو يحنون خصر رهيف كحيل العين يا زين
ايش هل الغزال الي راحوا يجيبونه سبل عيونه ومد ايده يحنونة
ايش هل الغزال الي عن دارنا مرق خصره رقيق وبزه العسل عرق
ايش هل الغزال الي عن دارنا عدا خصرة رقيق وبالكشمير مشتدا
ايش هل الغزال الي شعره على طولو من جيبته علقوا في لولب حجوله

ايش هل الغزال الي شعره احبال احبال　　　من جيبته علقوه في لولب الخلخال

وأظن أن مثل هذه النصوص تشكل حركة إحيائية للمناقب والقيم والعادات والتقاليد والثقافات التي عاشها الناس، وتسير مع بعضهم عبر التوريث، وقد نجد بعض النصوص تحمل جذوراً تاريخية، من خلال الممارسات والأهداف التي نراها تتحقق، من خلال إحياء الفكرة التي تندثر في لحظة من اللحظات، ان لم تجد من يأخذ بيدها وينميها، او يحافظ عليها عبر جمعها وتبويبها في اقل تقدير للأمر.

أغاني المطر وهموم انحباسه

ولما ينحبس المطر، ويحتاج الناس إلى الغوث الرباني، ترى جموع الناس يصلون صلاة الاستسقاء، في حين يخرج الأطفال إلى الشوارع وصدورهم عارية، رافعين الأكف إلى السماء، يدعون الله سبحانه، ويستجدون منه الرحمه والعطاء، لانهم وغيرهم يوقنون ان الملاذ إلى صاحب الملاذ، فكما يقول احدهم، اين المفر منك يارب وانت المحيط بالاكوان، ومثل ذلك يتكرر كثيرا في حياة الناس، لأن انحباس المطر ليس مقترنا بزمان او مكان محددين، لهذا نجد الموروث القولي غنيا فيما يمثل هذا الجانب، ومتعدد المشارب والتوجهات، وكل بيئة جغرافية لها ما يمايزها عن غيرها في الاقوال، ما يجعل النصوص تمثل الشرائح العمرية المختلفة في الحياة البشرية، وتضم كلا الجنسين، لأن ظاهرة انحباس المطر تشكل حالة من الفزع لدى كثير من الناس، وبالذات المعتمدين في حياتهم على الزراعة، والرعي ومعانقة الطبيعة في الأزمنة والأمكنة كلها، لأن الماء يشكل عماد الحياه وهذاما أكده الله في كتابه الكريم، (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ، خاصة ان المدنية والتقنية لم تصلا إلى كثير من الناس، لانها لم تصل إلى مناطقهم الجغرافية، حيث كان الناس ولم يزالوا في بعض المناطق يعتمدون علىمياه الأمطار في الشرب وسقي المحاصيل والمواشي، وهذا ناتج من تجميع مياه الأمطار في الشتاء في احواض وابار، لذا نجد المياه عزيزة المنال خاصة في فصل الصيف، حيث تكون العيون ومنابع الماء الملاذ الحقيقي للناس كافة، فتتشكل الصداقات مع العيون ويكثر ذكرها في الاداب والفنون الأبداعية الأخرى:

يا ربي نقطة نقطة
تانسقي حلق القطة
يا ربي ليش ما ليش
وكلنا عروق الخرفيش
يا ربي ليش هالطّولة
أكلنا طحينة الفولة
يا ربي ليش هالكنة
أكلنا طحينة الكرسنّة
يا الله الغيث ياربي   شتوية ابتحيي صبي
يا الله الغيث ويا دايم تسقي زرعنا النايم
أمطري وزيدي بيتنا حديدي
وعمنا عبدالله كسرنال الجرة
والرزق على الله

ياربي لا تواخذنا من عظمة مشايخنا
ياربي المطر والسيل تتروى ضروع الخيل
ياربي المطر يارب تنسقي الزرع نسقي الارض
ياربي بل الشراميح وحنا تحتك بدنا انعيش
ياساقينا يا دايم ارحم الزرع النايم

وهناك من ينشد بنوع من العتب المؤدب تجاه الله سبحانه وتعالى، لان امل البسطاء في الله عظيم لا تشوبه شائبة:

راحــت ام الـغـيـم تـتـجـيـب الـرعـود
مــا اجــت الا زرعــنــا طــول الـعـود
راحــت ام الـغـيـم تـتـجـيـب الــزلال
مــا اجــت الا الـــزرع طــول الــدلال
راحــت ام الـغـيـم تـسـتـجـدي المـطـر
مــا اجــت الا الـــزرع طــول الـشـجـر

وهناك من يصف حال الحيوانات عبر الاستسقاء، وطلب الرحمة من صاحب الرحمة:

ياربي المطر والسيل لا تهلك حمير الدير
رشوا رشوا باب الدار تانحيي الفدان والبذار

ومع استمرارية انحباس المطر، ترى ثللاً من النساء تخرج، وقد حملت إحداهن ديكاً حتى يخرج أصواتاً حزينة بعد أن يضغط على عنقه، وهكذا، وقد تظهر إحداهن جديلتها وتحركها بعد تعريتها، وكأنها تستجدي بوساطة جديلتها، وذلك يمثل الخروج على المألوف، من ان تعري المراة جديلتها، لأن السفور لم يعتده الناس في حياتهم الاجتماعية، وبالذات في الريف والبادية، لذا ترى تلك المراة التي تحرك جديلتها حركة مقصودة، تتزعم السائرين في الشوارع يجوبون الحارات والأزقة ينشدون من بعد ان تنشد مع الأخريات تلك المرأة صاحبة الجديلة المكشوفة:

ويش بدّو قعاق الليل
بدّو مطر بد سيل
قعّك لربك يا ديك
اطلب من ربّك يسقيك
ديكنا يزعق في الليل
بدو مطر بدو سيل
يا ديك يا بو عرف ازرق
يا ريتك في المية تغرق

وهناك من ينشد ويدخل المعتقدات التي تسيطر على الناس في بيئات جغرافية معينة، كما هي الأناشيد في بعض قرى الجليل الفلسطيني، كما قرية البقيعة التي تشتهر بكرومها، وشعرائها، وطيبة أهلها، وحبهم لأرضهم:

يا سيدي يا سبلان　　　تسقي ها الزرع العطشان
ياسيدي يا نبي شعيب　　　تزقح لنا المزاريب
يا خضر يا بو العباس　　　تسقي ها الزرع اليباس
يا نبي ويا اصحابو　　　انو يزقح مزرابي
ياربي تطلع العين　　　بجاه كل الصالحين
بجاه الأنبيا كلن　　　الي نشفو اتعود اتبلن
ياربي اتشتي الليلة　　　وتخلي الأرض بليلة
ياربي اتشتي ازيادة　　　شتي تا يجري الوادي
دخلك ياسيدي صالح　　　اتخلي وادينا طافح
ياربي اتشتي اتشتي　　　حتى اروح عند ستي
وتعملي فطيرة　　　قد الحصيرة
واكلها وانام　　　واصبح جوعان
شتي يا دنيا وزيدي　　　وبيتنا حديدي
وعمنا عبدالله　　　وكسرولو الجرة
وقتلو سيدو　　　ونيمو برا
يا الله الغيث يارحمن　　　واسقي ها الزرع عطشان
ياربي بل الشرشوح　　　وحنا فقرا وين انروح
ياربي بل المنديل　　　وحنا فقرا وين انشيل
ياربي بل الشنبر　　　حاجي التاجر يتقنبر
ياربي اسقي الفقير　　　تا الغني مابتكبر

ويقول اخر:

يا ربنا يا ربنا وحنا زغار شو ذنبنا
طلبنا خبز من امنا ضربتنا عا فمنا

وللجراد ومضاره نصيب من الغناء الشعبي الفلسطيني، لأن مهاجمة الجراد للأرض تعني انتكاسة الحياة، والقضاء على دورتها، لذا نجده ملعونا في أدبيات الشعوب كلها:

دخلك يارب العباد تبعدو عنا الجراد
عالي يا جراد الريم لا ترعى زرع اليتيم
ويا جراد يا عالي لا ترعى رزق خالي

لـو جعنـا بطعمينـا ولـو نعـرى عـم بكسينا

ويهتف الأطفال ايضا:

يـاربـي المطـر والسيـل تنسقي القـرّه والخيـل
يــاربــي بــل الــشــالــة وحــنــا فــقــرا وعـيـالـة
يـاربي بـل الـشـرشـوح وحـنـا فـقـرا ويـن انـروح
يـا اللـه الغيـث غاثيـنا وخبـز وزيـت طعمينا
وايـام الـشتـاوالصيـف منقضيها كيـف ابكيف
وكل ما ييجي عنا ضيف بحسدنا عا امحبتنا
وكـل تينة فوقها عصفور بيغـرد عـا عنبتنا

ويهتفون ايضا:

طــيــارة حــرامـيــة تحــت الـتــوتــة مـرمـيـة
افـتـح بـاب وسـكـر بـاب وارم العـسكـر للكلاب
ابـو علـي مـين شـافـو حـامـل مـرتـو عـا اكتـافـو
حـامـلـهـا ودايــر فـيـهـا مـن خـوفـو ليعـشـيـهـا
ون جـاعـت تـوكـل دقـنـو ون شبعت تمسح فيها

وعندما يستجيب الله لدعاء الناس، تراهم يستبشرون بنزول المطر، ويظهر ذلك على مفرداتهم وتصرفاتهم، فتبدأ جموع الأطفال تجوب الشوارع، وقد بللها القطر فرحين بما نالهم من ذلك، لذا تسمعهم يهتفون:

شــتــي وزيـــدي عــا قــرعـيـة سـيـدي
سـيـدي فـي المـغـارة يـذبـح قـطـة وفـارة
قــلــتــلً اطـعــمــنــي نــقــنــي صـــرارة

عندها ترى الاطفال مبتهجين، يرددون خلف رجل مسن كفيف البصر، عميق البصيرة، يحفظ القران على ظهر قلب، يحفظ ما يحفظ من مقولات شعبية متعددة، بل ومقتدر على الاتيان بمثيلاتها او افضل منها، من انشائه وارتجاله، فهو لبق محبوب دمث الخلق كريم النفس معطاء مما اكرمه الله، من مقتنيات الارض وتوابعها، لذا تراه جالسا يتحلق حوله الاولاد من احفاده واقرانهم وينشدون من خلفه ما تجود به قريحته في حينه استبشاراً بالمطر وغيث الغياث الذي لا يده حد ابدا:

زيــدهــا يــا رب زيـدهــا وارحـــم عـبـيـدهـا
يــا دنـيــا شــتــي وزيـــدي بـيـتـنـا حـديـدي
شـتـي عـلـى عـبـد الـلـه مـن هـمّـو كـسـر الجـرّة
شتي على بو محمود من فرحتو اشترى العود
شـتـي عــا دار الامـــين مـشـرفـة ولـهـا بـابـين

شتي علينا وزيــدي ملينا أكل العصيدة
شـتـي عـلـى عـــرارة مـوعـدنـا فـي مغـارة
شتي عا ام اعيون السود بلل شعرها المنفول
شـتـي شـتـي يـا دنـيـا حـتـى تجبـل الحنـة
شـتـي عـاكـل الـبـنـات مثلهن مـا فـي حـلـوات
شتي عا حب الليمون وين اشوفك يا مزيون
شتي تتجر الوديان وتسقي الخدود السمان
شـتـي شـتـي يـاربـي تـنـسـقـي زرعـنـا الغـربـي
شتي عا روس العرقان واتعبنا زقر النسوان
شـتـي عـا الـبـحـر والـبـر وعـيـونـهـا تـلـمـع ضو
شـتـي عـلـى سـمـوقـة بـاعـتـنـا ابــزق امقيقة
شـتـي عـلـى الـدرجـات والـغـصـون المعربـشـات
شـتـي علـى القصيلة بـا عـونـا الميـة بالكيلة
شتي شتي عا المشمش دير بالك عمي بهبش
شتي على أرض البد معزوزة انشلت من البرد
شتي على الحرجـة لا تتمشى في الدرجة
شـتـي عـلـى الـدرجـات تـانـسـقـي كـل الـبـنـات
شتي على ادراج الـدار عمو مجرم يا ستار
شتي على المغاير والكلب من جوعو داير
شـتـي عـلـى الـعـشـرة يـاربـي زيـح الـكـشـرة
شـتـي عـا واد اسـعـيـدة مظلش ولا مجيدة
شـتـي عـا خـانـق طـه سـرقـوهـا مـن قـفـاهـا
شـتـي عـا المـهـلـلـة رشـيـدة بـنـت امدللة
شـتـي عـا ام الـبـابـين طـاقـع مـجـوز ثـنـتـين
شتي على صـريـدة   ما احلى اكل المقيقة
شتي عا ارض القعدات اصرفنا كل المجيدات
شتي عا سيدي دواس طرد عيد بالدحماس
شتي عا كرم الضبع   خبينا التبن في القطع
شتي يا دنيا شتي   دير بالك تقعدي حدي
بضربك بالمهدة   وبحكيلك احسن موال
شتي عا غرس قصول وطول عمرك تتحقرص
شتي عا اكروم بوزهية والكحلة حبيبة بيّيي
شتي عا ارض المزراب اشتقنا لطعم العناب
شتي على الجزاير والمقصقص في الخلا داير

شتي على ارجال سوفا والحلو بطلنا انشوفة
شتي عا ارض الميشة وام نجيب في العريشة
شتي عا أرض الميشة الأبرش داير في الهيشي
شتي على المحورة مشينا بلا قندرة
يا ربي شتي شتي على النعجة في الدرجة
والقصيلة والحرجة والمسبح والميدان
شتي على العلالي حتى نطبخ دوالي
شتي عا حبلة جوهر هبش الزيتون امسوجر
شتي عا أرض النفوخ اثريا بتحب الملفوف
والشيخ يوسف لما ايفوت بدق العدة للناس
وجارو الحج مصطفى بغني للمصطفى
وعبدالرازق من اجا بنبهنا بالزامور

وعند اشتداد البرد مع هطول الأمطاروتساقط الثلوج في بعض الأحيان، ترى ثلل الأطفال وهي تجتمع حول المواقد التي يخرج منها اللهب، أويستديرون حول (الوجاق) مع كبار السن، الذين أعياهم الزمن أو جعلهم من القواعد، لذا تسمعهم ينشدون:

أحيني يما أحيني مين يطعمني ويسقيني
وشغل لا ايوريني وفي الدفى اهنيني
أحيني يما بردان تارك الشغل ما بنلام
حتى وان كان زعلان بنيمني ع الحصيرة

ويقول أحدهم بنوع من التهكم المرمز:

قلة الشغل راحة ولو انها خراب اديار
والعكروتة اللماحة ابتقعد لي ع باب الدار

ويقول بعد مضغ ما قدر له من القطين والطحين المبسوس بالزيت باستمتاع:

أكلت حلوا شربت ماء فكأني لا أكلت ولا شربت
ألحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا وأسقانا فأروانا
وفي الشقفان اوانا وفي العجين الخامر هنانا

وعندما يريد أن يفض اجتماع الصغار من حوله كي يحثهم على الدراسة، ولحاجة تخصه تدور في خلده فيقول:

الضرب ينفعهم، والعلم يرفعهم، لولا مخافتهم، لم يقرأوا الكتب

وبعد الشتاء القوي وجريان المياه في الأودية، يصبح الناس مشتاقين للشمس، ولما تبزغ الشمس ترى الناس يسترقون اوقاتهم ويعرضون اجسادهم إلى اشعة الشمس، وكذلك حوائجم وامتعتهم فرحين مستبشرين بموسم حافل بالعطاء، ويغني الأطفال مستبشرين بالقادم من الأيام، لأنهم يعكسون بعفويتهم الصورة الصادقة للحياة وفي الحياة، وترى الأطفال من كلا الجنسين يتمايلون طربا واستبشارا بالاتي، فهم اي الأطفال رمز الأمل والطمأنينة معا:

طلعت الشميسة على قرون عيشة
عيشة في المغارة ذبحت قطة وفارة
قلتلها اطعميني نقتني صرارة
ولحقتني في الحارة
وركبت عا الحمارة
وغمزت السنارة وتزوجت أبو محمود

ولما تبدأ الأعشاب بالنمو، وتتساقط أشعة الشمس على الأغصان، تخرج العائلات التي لديها المواشي، إلى البراري وتسكن معها، ويسمى من يفعل ذلك بالمعزب، (نسبة إلى العزب) ، اي الاراضي المحمية او المخدومة، ويتعاون الناس فيما بينهم حتى تكتمل دورة الحياة، عندها تسمع الرعاة ينشدون ما يريح النفس، ويبعث فيها الامل، استبشارا بالموسم الجديد، الذي يخلق الدافعية للحياة، والتفاعل معها، وكثيرة هي اللحظات التي تسمع فيها اهات النايات تجوب الفيافي وتتماوج في الحقول، مستجيبة لحالات النشوة التي تركتها الامطار في نفوس الناس، ويعانق اليرغول همسات الناي وتتصافى الوشائج بين الجميع:

يا شوفة شفتيها تخبز على الصاج
مرسوم عا اصديرها خرفان وانعاج
لا تزعلن يا سمر والبيض غنّاجة
والبيض شحم القلب والسّمر عنية

ويهتفون مجتمعين أيضا:

مرت ما مرت مرت ما مرت مرود الكحل في العين وجرت
ونزلت عا الوادي والوديان اخضرت وكلو من همسك يا أسمر اللونا

بعدها تسمع أحدهم منفردا ينشد بتحنان خاص، يخاطب من يوجه له الكلام، إن حقيقة أو من رسم الخيال:

ثلاث غزلان مرن يا سلامة   على الفقير ما ردن سلامة
ونا لاروح لابوهن سلامة   وابوس الأرض من تحت الكعاب

ع بــاب الـــدار لـزرعـلـك لمـونـة	وكــل الـنــاس فــي حـبـك لمـونـي
يــا ريـتـنـي أكــون فـي ايـدك لموني	واتمصـيـنـي بشـفـايـفـك هـالعـنـاب

ويقول:

لطلع لسما ربي واشكيله لا اتخافي منه ألله وكيله
وين حبيبي ما يروح لأجيله وجر الكحل جوا العيونا
حملت الجرة وسندت فيها عينيها ع كل الشباب ترخيها
كله من أمك ألله اجازيها ضيعت فكرك وانت ازغنونا
حملت الجرة وحطتها قدام بحلف عليها ما فيها العظام
ألله اجيبك هذيك الأيام يحمر الوجه من غير دهونا
يم التنورة الحرير الصادق يا روس اخدودك تفاح الحادق
ويش ما قلت كلامك صادق امسجل في الورق بيمر حنونا

وبعد سماع هذا الايقاع من الاخرين في الجبال، يتفاعل أحدهم مع الحدث وينشد نشيدا يريح النفس ويخفف عنها عناءات النهار ومشقات الليل، لان النفس البشرية في اساسها وتكوينها تحب الترويح عنها، وهذا مرده إلى الاستبشار بالحياة من جديد، لأن الحياة ضيقة لولا فسحة الأمل:

يا دموع العين هيلي على أم الفساتين
عندي شعرة من شعرها تسوى الديرة وأحلى ديرة
يا دموع العين سيلي على أم المناديل
عندي شعرة من شعرها تسوى اربد والطفيلة
يادموع العين روحي عن حبيبي لا تبوحي
عندي شعرة من شعرها تسوى اهلك يا نصوح

ولذلك تتدخل الدعابة في مثل هكذا موقف، فنسمع احدهم ينشد من اجل الدعابة فيقول:

قـــاق يــابــو قـنـبـرة	عـا لـيـش طـلـقـت المـرة
عـا الـرغـيـف الـي اكلتو	يــاريـتـهـا مــا كـسـرتـو
قـــاق يــابــو تـيـنـة	طــيــح عـــا المـديــنــة
جــيــب رطـــل حـنـة	تـــا انـحـنــي مـرتـك
والــتــالــي لـقـرعـتـك	نـسـتـعـيـذ مـن طـلـعـتـك

ويقول أيضا:

يا حفيظة ع ليش امريظة / عا الرغيف من الرغفان
يا حفيظة ع ليش امريظة / على صوصة من الصيصان

ويردف اخر:

ثلث قيقان عا ثلث حيطان
كل قاق امقابل قاقين احزرهم قديش يافهيم
احزرهم قديش يافهيم احزرهم قديش يا فهيم

يضحك المجتمعون ويردف احدهم للتواصل مع المتعة المشتهاة، للتواصل الحميمي مع ما بدا به الاخرون:

طبقة عا طبقة والطبقتين امعلقة
والسيسبانة دايرة والعبد بيدو مطرقة
والعروس تمشي ابغندرة

ويردف:

حمزة قمز قمزة لحقوا خمسة مسكوه اثنين
لحقوه خمسة مسكوه اثنين
احزرلي اشوهو يا فهيم

وتقول الجموع في حالة التهكم على احد بعينه، وهذا ما تتناقله عن احد بعينه، لديه سرعة البديهة في ايصال الفكرة عبر مفردات لها وقعها الخاص، لانها تحمل في طياتها السخرية المرة، او الكوميديا السوداء، التي تعكس جوانيات النفس البشرية:

عدي ارجالك عدي
من الاقرع للمصدي
واشي من خلقة ربي

ويردف زيادة في التوبيخ:

الله ايهدك من دهر ميالي
خليت رعيان الغنم خيالي
ألله ايهدك من دهر ميالي
خليت رعيان الغنم شمعات لي
ألله ايهدك من دهر ميالي
خليت زعران البلد مدادي

ويقول امعانا في التوبيخ والأمتهان والأذلال:

وعند صيد الغزال راح الكلب يخرى، والبس في المندرة، والذيب يبني قنطرة

وعندما يفتقد الناس عزيزا ويمثل بالنسبة لهم سندا، ولا يجدون من يسد مسده، خاصة اذا حاول بعض الناس التمثل به، أو تقليده دون ان تتكافأ كفتا الميزان، ما يجعلهم يوازنون بين الشخصين، لذا تسمع أحدهم يقول:

ماتت اوحوش البر واتاسع الخلى

اتحفتل فيها يا بو الحصينيات ودور

ويقال ايضا في السياقات نفسها:

جابوا الخيل يحذوها قام الفار مد ايدو

ومن قلة الخيل شدو عا الحمير اسروج

ودير بالك عا صلعتك ياابن الكرم والجود

ودير بالك عا حالك يا بو القلب الودود

عندها يتهامس الموجودون، وتسمع بعض التعليقات من هنا وهناك، وينفض الجمع على امل الرجوع في اليوم القادم وفي جلسة متجددة، تحمل في ثناياها اشياء كثيرة، قد لا نجدها الا في مثلها او مثيلاتها، لان هذه المتوارثات قد تبدو للناس بسيطة الا انها غيرذلك، فهي تحمل ما تحمله من متداخلات ليس من السهل على الانسان نسيانها او عدم التفاعل معها، لانها تحمل الضدية احيانا، فمفردات التهكم ليس من السهل على الانسان نسيانها ابدا، ان كان مرسلا لها او مستقبلا، فلا فرق في ذلك، لان الاثر النفسي يتجدد سلبا كان ام ايجابا.

أغاني العمل

العمل مقدّس عند الناس، أو عند كثير من الناس المؤمنين؛ لأن الله سبحانه يخاطب عباده خطاباً واضحاً يحثهم على العمل، وهذا ما نتلمسه في الكتب السماوية المتعددة، ونراه نصاً صريحاً في القرآن الكريم: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» لذا نجد الدعوة للعمل جاءت بصيغة الأمر؛ أي أن الله –سبحانه- يخاطب نبيه حتى يخاطب الناس جميعاً لحثهم على العمل، لأن العمل ينقل الإنسان من مرتبة العالة إلى مرتبة المعيل، وهو الذي يجعل الناس يمتازون عن غيرهم، فكما يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: «أرى الرجل فيعجبني فإذا قيل لا صناعة له سقط عن عيني».

لذا نجد الإنسان فطرياً يبحث عن شيء ينقله من حالة معينة إلى حالة أخرى تخالف ظرفه الراهن الذي يعيشه، ومع البحث عن العمل يبدأ بحث الإنسان عمّن يخفف عنه، ويزيل عنه هموم الساعات والأيام، وما تحمله له من إرث مضنٍ، حتى يتنفس الصعداء، ويزيل عن كاهله ما علق من تبعات في الزمان والمكان معاً، بذلك يجعل ظنيا أنّ الغناء أقدم وسيلة تعبيرية ترفيهية عرفها الإنسان حتى تعيش معه، منذ تعرّفه بالحياة حتى انتهاء الأجل، وظهور جيل جديد في الحياة الدنيا.

فالغناء -كما نعتقد - يصاحب الإنسان في أطوار حياته المختلفة، ويعيش معه في الأزمنة والأمكنة كلها، لأن الغناء الشعبي ينشأ مع فطرة الإنسان وسليقته، فهو الصاحب الملازم للإنسان مع البدء في العمل وانتهاءً بما يؤول إليه الإنسان من أشياء.

فأعتق غناء عرفه الإنسان هو ما يلازمه في حياته العملية، إن كان غنائياً فردياً أم جماعياً، «وهذا الغناء ذو الإيقاع المنظم في الأصوات أثناء العمل الفردي والجماعي يساعد على انتظام وتنسيق حركة العمل، ويخفف من عنائه ومشاقه، ويبدو تأثير هذه الإيقاعات في الأغاني المصاحبة لأعمال الحصاد وجمع الثمار وكذلك الصيد البحري».[٤٢]

ففي موسم حراثة الأرض نجد الإنسان يتهيأ نفسياً وجسدياً حتى يغير ملامح القشرة الخارجية للأرض، حتى تستقبل موسمها الجديد بحلّة خاصة، تسهل للماء السبل باختراقها، وتساعد على قتل الأدغال والديدان، وتفتيت تكلسات الصخور، وقتل الأعشاب البرّية.

وترى الأرض مستبشرة بثوبها الجديد، وبما أنعم الله عليها من أشياء عبر جهد الإنسان، لأنه؛أي الإنسان يبدأ عمله اليومي مع نهاية صلاة الفجر حتى حين أذان العشاء، وهو يعارك الحياة حتى تستقيم له الأمور بمقاليدها المتعددة؛ فالإنسان بفطرته -إن كان أجيراً أو مالكاً للعمل- يحتاج أن يروّح عن نفسه، لأن الغناء الشعبي خاصة ذخيرة الوجدان الجمعي الذي يخلق العلاقة الحميمة مع الآخرين. لذا نجد عبارات لها وقعها ودلالاتها

في النفوس، يرددها الناس وهم يعملون ويخلقون العلاقة المتجددة مع الأرض، كل حسب ثقافته وموقعه في العمل، فإن كان العامل أجيراً، قد يشعر بالغبن والقهر أحياناً، فنسمع أحدهم يردد كلاماً ينمّ عن الاستعباد أو الاستغلال: «احرث وادرس لبطرس»، أو يردد آخر: «اشق يا شكاح، لخيك المرتاح». أو كما تقول المرأة التي تعتقد أنها مظلومة اجتماعياً «عند اللحمة نادوا رحمة، وعند الخدمة نادوا نجمة».

الإنسان يردد أقواله، ذاكراً طبيعة العمل والصديق الصدوق في العمل ألا وهو الحيوان الذي يعينه على الشقاء، لانه يشاركه في مجالات الحياة كافة، حتى في المسكن كان الناس يبيتون مع حيواناتهم تحت سقف واحد، وتسمع الفلاحين وهم يسمون بعض البيوتات بمسميات الحيوانات، فهناك بيت الحصان، وصيرة الغنمات، ورواق النعجات، وقن الدجاج او عقدة الطيور، فأن دلّ ذلك على شيء معين، فعلى مدى الالفة بين الانسان وبالذات الفلاح والحيوان، لأنه الشريك الحقيقي في عملية الانتاج المتنوع، وخلق المونة التي تعتمد على الجسد الحيواني كي يحصل عليها الانسان، وكان الحيوان يتربع على مكانة في نفسية الانسان الفلاح، فاذا ما فقد الفلاح حيوانه يأتي الناس إلى مواسته، وكأنه فقد احد افراد اسرته، وكانت بعض الاسر تخرج زكاة الفطر عن الحيوانات التي تقتنيها في البيوت، كما الخيول والبقر وغيرها، وكان كبار السن المتقدمون في الحياة يعدون الحيوانات المنتجة كاحد أفراد الأسرة، لذا لها مكانتها في نفوسهم وحياتهم بشكل عام، زيادة على الاسماء الرقيقة التي يطلقونها عليها اي على الحيوانات، ومنهم من يسمها بصفات خاصة تنم عن المحبة والالفة::

حرّاث البقر يا مطول معانيك
قتلت البقر من طول المعاني

ويقول أيضاً مواسياً النفس:

حرّاث يا عمي
رمي على البقر رمي
وكم مليحة تقول للنذل عمّي
حرّاث يا خالي لالي على البقر لالي
وكم مليحة تقول للنذل خالي

وهناك من يظهر الفرح والتفاعل مع واقعه، وكأنه يجمل الحياة للنفس والآخرين:

ما أحلى السكّة مع الفدان
نحرث سوّية بين الجنان
وأبذر بذاري واقطع معاني
ونغني دلعونا يا اسمر اللونا
ما احلى السروة من الصباح

ونحرث سويّة بيت التفاح
بحبك يا بنت صرت سوّاح
مرمرني قلبي وصرت مجنونا

ومع اخضرار الأرض، واستبشار الفلاحين بالموسم الجديد، والتفاعل النفسي بين الناس قائماً، نسمع الأهازيج الجديدة الملازمة للناس في حياتهم وطبيعة أعمالهم المختلفة، فمنذ أن يبرعم الثمر حتى النضوج والقطاف، وتسويقه إلى الاسواق وتخزينه في المخازن، نجد الإنسان يلازم الأرض ومقتنياتها ويخدم بنفسه وجسده، ويمني النفس بالآمال المتعددة،؛ ما يدفعه للتفاعل مع ما يرى قولاً وفعلاً، لان الامل يعني الحياة، فكما يقال (ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل):

يـا زرع قـطفتـو والـنـدى عليـه	يا سـاري ندهتو واسـم الله عليه
يـا زرع قطفتو مـن شطك يـا واد	يـا سـاري ندهتو من بين الاجـواد
يـا زرع قطفتو مـن شطك يـا بير	يـا هاشـم ندهتو من عند الامير
يـا زرع قـطفتـو مـن روس التـلال	يـا هاشـم ندهتو مـن بين الغيلان
يـا زرع قطفتو من رووس المـوارس	يـا شميم نـدهتـو يـا شكل عابس
يـا زرع قـطـفـتـو مـن الميـاديـن	يا شميم ندهتو جاب اسلال التين
يـا زرع قطفتو مـن بين الـدوالـي	يا شميم ندهتو يا حسن يا غالي
يـا زرع قطفتو مـن رووس الجبال	يـا هاشم ندهتو امحمل بالدلال
يـا زرع قـطفتـو مـن جـوّ العلّيق	يـا سـاري ندهتو فتحلي الطريق
يـا زرع قـطفتـو مـن جـوّ الحـدود	ياساري يا غالي يا ابو اعيون السود

ويأتي ذكر الزيتون والتين والعنب في كثير الأقـوال والأغـاني الشعبية، لانها تمثل الرمز المتجدد في حياة الانسان، فالتين والزيتون يشكلان غذاء متكاملا للانسان، فشجرة الزيتون لها مكانةخاصة في نفوس الناس، لانها تحمل رمزية خاصة إلى جانب مكانتها الاقتصادية، ويعد موسم الزيتون موسما مباركا عند الفلاح العربي الفلسطيني، فهي رمز الثبات والتحدي والصبر على حد سواء، وترى الفلاحين يعتنون بها بنوع من المحبة والقدسية، وعلى الرغم من ذلك فان انواعها محدودة، أشهرها البلدي، او ما اصطلح عليه بالنبالي، فهو متوسط الحبة، سيله من الزيت افضل من غيره، حتى أن طعمه يختلف عن غيره من الانواع الاخرى، وهي مسميات علمية وهي، (أرب كوين، وخضوري رقم واحد) ويوجد الزيتون البري، الذي لا يستفاد منه في استخراج الزيت، إلى جانب شجرة التين التي تتعدد في انواعها ومدى صبرها، الا انها لاتعمر كما تعمر شجرة الزيتون، فانواع التين متعددة، وكل نوع له مذاقه الخاص، فمن انواعه حسب المسميات المحلية هي، (السماري والسوادي والحماضي والقراعي والشحيمي والنعيمي والموازي والغزالي والخضاري والبياضي والعديسي والزراقي والصفاري) وغيرها من المسميات المحلية، كل حسب بيئته

وثقافته، لأن هذه المسميات ليست علمية، وانما محلية، محصورة في منطقة جغرافية محددة، منه لا يصلح الا للاكل طازجا، ومنه يصلح للتجفيف ايضا، كما هو (السماري والبياضي والنعيمي) وغيرها لا يصلح الا للاكل طازجا:

ايدي وايدك عاالوادي
تا نوكل تين سوادي
نوكل نوكل تا نشبع
اقراعي مع اسوادي
واشحيمي مع احماظي
واخظاري مع ازراقي
وانعيمي مع اصفاري
وانت وانت يا فاظي
بتسويلي حالك قاظي
دير بالك من سخماطي
وازرعلي تين اسوادي
تا مليلك الدار اولاد

وتسمع الاخرى تنشد بنوع من التفاعل الخاص:

يا ابلادنا يا ام العنب والزيت
في بلاد الغرايب كيف بدنا نبيت
يا بلادنا يا ام الشجر والهيش
في بلاد الغرايب كيف بدنا انعيش
يا بلادنا يا ام الشجر الاخضر
في بلاد الغرايب كيف بدنا ندور
يوم سافرو وشاحوا المناديل
سافروا يا موتي هل القناديل
يا ابلادنا يا ام الخوخ واللوز
عابلاد الفرجة هيو سافر جوزي
يا ابلادنا يا ام الزعتر والشيح
عابلاد الغربة هيو سافر حبيبي
يا ابلادنا يا ام الشومر والبقلة
عابلاد الغربة هيو راح وتركني
يا بلادنا يا ام النتش والسنديان
عابلاد الغربة سافر هيو وحردان
يا بلادنا يا ام الليمون والتين

في بلاد الغربة بيعوه المرتينة
يا ابلادنا يا ام النبع والميّة
من طول الغربة بيضت عنيي

ونسمع الأطفال ينشدون وهم في كروم التين، حتى يمنعوا الغرباء من الاقتراب إلى أشجارهم، ومنها للتسلية أيضاً:

هيه يلي في التبنات	**لا يرحملك واحد مات**
واحد مات وواحد ظل	**وواحد حطينا في السّلْ**
هيك شقة وهيك شقة	**والتالي للواويات**

ومع البدء في الحصاد، نسمع أهازيج خاصة لها وقعها المتدفق في النفس المرسلة والمستقبلة على حد سواء:

منجلي يا من جلاه
يا امغمر يا حزين
أنا القمح برمح رمح
بتقدم للضيف بلا اغماس
يا منجلى يا من جلاه
رايح على الصايغ جلاه
ما جلاه إلاّ بعلبه
ريت ها العلبة عزاه ( )
منجلي يا ابو الخراخش
منجلي في الزرع طافش
منجلي با بورزة
ويش جابك من غزة
جابني إلي جابني
جابني حب البنات
والبنات امجدلات
ام عيون سود لود
يا غزيل يا غزيل
لا تروح درب الشمال
بذبحوك وبسلخوك
وبعملو جلدك رباب
للشيوخ وللشباب

وبما أن اقتصاديات الناس تعتمد على المواسم، فإنا نجد كل موسم له أمنياته الخاصة، كما هي أمنيات الحصّادين:

بكرة ابتخلص الحصيدة
والموارس والغمور
تانلبس الثوب مطرز
ونقعد جوات القصور

ويهزج بعضهم ترويحاً عن النفس:

عا الندا يا شايلاة عا الندا	**واردات على العين ما معهن حدا**
عا الندا يا شايلات من الغمور	**واردات عا العين تقتلنا الصدور**
عا الندى يا شايلات من السبل	**واردة عا العين وروتني العجب**
عا الندى يا امغمرات الكن سنين	**لا تحزني يا عين روحي في السبيل**

ويهتف آخر:.

ليّ وليّ يا ابنية
يا واردا عالمية
أمك وأبوك قالولي
إنك مخطوبة ليّا
أمك وأبوك قالولي
عا العين بتملي مية
نزلت على حلتها
يمّا محسن بسمتها
نزلت على الصفصاف
تشرب حليب وصافي

ومع حراك اليد والمنجل فيها يقضم الأغصان، والسنابل مثقلة بحملها تسمع الهزاجين:

ثلاث غزلان برعين برعين وبعيني وبعيني
وردن على المية وردن على المية
لاقي يا نادي لاقي لاقي
يا نادي لاقي عا البيضة، ام الغيي عا البيضة أم الغيي
ثلاث غزلان برعين برعين وبعيني وبعيني
وردن على عمان وردن على عمان
لاقي يا نادي لاقي يا نادي لاقي يا نادي لاقي

عا البيضة ام الذهبان عا البيضة أم الذهبان
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني
وردن على مصر وردن على مصر
لاقي يا نادي لاقي يا نادي لاقي
عا البيضة أم الخصر عا البيضة أم الخصر
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني
وردن عا كرم التين وردن عا كرم التين
لاقي يا هاشم لاقي لاقي يا هاشم لاقي
عا البيضة أم المنديل
ثلاث غزلان برعين برعين وبعيني
لاقي يا شميم لاقي لاقي يا شميم لاقي
عا البيضة أم المنديل عا البيضة أم المنديل
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني
وردن على لبنان وردن على لبنان
لاقي يا نادي لاقي لاقي يا نادي لاقي
عا البيضة أم الحنان عا البيضة أم الحنان

ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني   وردن عا كرم اللوز ويردن عا كرم اللوز
لاقي يا نادي لاقي لاقي يا نادي لاقي   عا ام الصدر المزيون عا ام الصدر المزيون
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني وبعيني   وردن على البستان وردن على البستان
لاقي يا شميم لاقي لاقي يا شميم لاقي   عا البيضة ام الفستان عاالبيضة ام الفستان
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني وبعيني   وردن على الخلة وردن على الخلة
لاقي ياساري لاقي لاقي ياساري لاقي   عاالبيضة ام النهد عاالبيضة ام النهد
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني وبعيني   وردن على الليمون وردن على الليمون
لاقي ياهاشم لاقي لاقي ياهاشم لاقي   عاام الوجه المزيون عا ام الوجه المزيون
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني وبعيني   نزلن على النبعة نزلن على النبعة
لاقي يا نادي لاقي لاقي يانادي لاقي   عاالبيضة ام الدمعة عا البيضة ام الدمعة
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني وبعيني   وردن على المرج وردن على المرج
لاقي ياناادي لاقي لاقي ياناادي لاقي   عا البيضة أم الدرج عا البيضة أم الدرج
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني   وردن على المزراب وردن على المزراب
لاقي يا ساري لاقي لاقي يا ساري لاقي   خديجة أم السهوات عا الحلوة أم السهوات
ثلاث غزلان برعيني برعيني وبعيني وبعيني   وردن على الحرم وردن على الحرم
لاقي يا نادي لاقي لاقي ياناادي لاقي   عا بنات الكرم عا بنات الكرم

وبعد أن يردد الحصادون ما سمعوه تسمع أحدهم يقول:

ثلاث غزلان درن الشعب من فوق
عليهن لاحت الهندام والذوق
بسمة إلبسي ها الخلخال والطوق
لفى ولفك على الديرة لفى

ويردفه آخر من حقل مجاور يسمع الهزج بتمعن:

ونا لعن عني فوق عني
على الي أبعد المحبوب عني
كذب من قال خالي مثل عمي
ومثل الاب ما ايدلل حدا

ويستعذب الحصادون القول، ويتفاعلون مع الحدث فينشدون جماعة:

يا شجرة الحور باب الشام مخضرة
واشرفت عا الموت ما اج صاحبي مرّة
يا شجرة الحور باب الشام تتمايل
وأشرفت عا الموت ما اجا صاحبي سايل
يا شجرة الحور باب الشام مزروعه
واشرفت عا الموت واحرمني من دموعه

يا طير روح سلم لي عليهم وشوف الحال والجاري عليهم
يشهد الله ما بدي عليهم ما دام الروح فيّ والحياة
عا شط البحر حيران وين ادور يما ودعيني حيسافر البابور
عا شط البحر حيران وين انام على ظهرك يا موج نصبوا الخيام

عندها ترى أحدهم يمسح دمعه بطرف ردنه او كمه، او بكوفيته التي يستر بها راسه حماية من الشمس اللاهبة، فيختلط الدمع بالعرق المتصبب، ويهزج صوتا يحمل العمق الدلالي لمعاناته وقيمه، فيردد مع العونة ومن يحضر في تلك اللحظة:

يا شجرة في الدار حاميك اسد
واتكسرت الغصون من كثر الحسد
وحنا زرعنا الزرع غيرنا حصد
يا حسرتي غير التعب ما نابنا
يا شجرة في الدار حاميك نمر
واتكسرت الغصون من كثر الحمل

وحنا زرعنا الزرع غيرنا ضمن
يا حسرتي غير التعب ما نابنا

ويقول اخر:

ونارحت دارهم ثلث خطرات عمدان — ولقيت دارهم منجورة بعمدان
سألت الخي قالوا الخي مرظان — يخونك يا دهر خنت الاحباب

ويقول:

قوموا ابنا يا جماعة نترك الي صار — والصلح بينا ماحي اشو ما صار
يا بي ساري يا انجيمة الشّعار — والعقل في الراس عليقة مالي
قوموا ابنا يا جماعة نترك الماضي — والصلح بينا ماحي كل مغتاظ
يا بي ساري يا انجيمة الشعال — والعقل في الراس يساوي محكمة قاظي

وتقول احداهن:

يا بي ساري ويا نخلة رابية في السوق — شقة ترمي بلح وشقة ترمي توت
ياربي يلي يبغظلك يقعد على خازوق — من العام للعام لا ميت ولا مشنوق

ويقول أحدهم عندما يشعر بالغربة والوحدة:

نزلنا باب خلة وارتمينا — عرب وكراد والتمت علينا
قولوا للوالدة ترضى علينا — رضى شفاه في اسنين الغلا

ومن أجل إخراج الهازجين من حالتهم الحزينة، تسمع أحدهم يعيد النغم القديم:

جتنا الحصيدة يا مرة قومي — ثوبك شلايق وعينك غارقة في النوم
قالوا اج العيد قلت العيد لصحابو — وشو بنفع العيد للي مخزوقة اجيابو

ومن أجل ديمومة الفكاهة والمرح تسمع إحداهن تهزج:

اقعد اقبالي واقعد لك اقبالك
وان كنت راعي غنم شبب تغنيلك
وان كنت راعي بقر شوحلي ابمنديلك
وان كنت راعي حمير يا علّة تجيلك

ويرد أحدهم على صاحب القصيد:

ثلاث غزلان برعين في ارض حمرا
حوافرهن سود والارض حمرا
عليم الله لو أنزل في معركة حمرا
لسّن السيف عا ارقاب العدا

وبعدها تسمع احدهم يقول:

عونة عونة يا شباب
حركو المفتاح في الباب
عونة عونة يا لطيف
احمر وإلو شلطيف
عونة عونة يا هلي
لا إجوزوني غريبة

ومن يتمعن يجد النساء وقد تداخلت همومهن، لذا تجد بعضهن يظهرن محاسن أو مساوئ الأخريات فتسمع احداهن تنشد ما يتناقله الناس في هذا المضمار:

لا يعجبك زيتها وبياض خلقتها بكرة ابتيجي الحصيدة وتشوف فعلتها
والله لأكتب جريدة ع ابريق الزيت يا شاطرة في الخلا يا امعدلة في البيت
والله لأكتب جريدة ع بلاط رخام يا شاطرة في الخلا يا امعدلة في الدار

ويتفاعل أحدهم مع الحدث ويردف:

مطرح العقرب لا تقرب
مطرح الحية افرش ونام
لبس المذراة بتصير امراة
وابتنق من جوات الاسواق
قطع اهلك دير بالك جاي مالك جاي مثل النسناس
وابتتنسنس رايح جاي تسرق سبل من الغمور
اعطوا المعلم ما طلب جيبولوا منجل من ذهب
تشهد له عكا وحلب انو ايصون الحبيبا
دير بالك دير بالك جاي   سيجارة وكباية شاي
كبابي الشاي للاحباب صب   وابو النضل في العشق ولهان صب
يا ثقلة دمك لما اتصبها صب بحر زيبار مع طرطب اجا
طلعت عاالجبل تتلقط شومر مهدية الجبرتعشق بو جوهر
طلعت عا الجبل تتلقط بطاطا   بدها تتزوج معهاش افراطة

ويقول آخر:

يا مذراتي، وين ابنياتي، في العرمات [٤٣]
يا الله البركة بركة ربي في ها الصبة
بركة حيدر في هل البيدر
هيه يا دايم الله الدايم

الله واحد مالو ثاني
الله ايديمك يا دلالي
يا مذراتي اخذي وهاتي
حتى انذري هل القمحات
اهل الخيل في المدات
اهلا اهلا بالدلال
على البيادر تعال
تا غنيلك ها الموال
من المغرب حتى الصباح
من المغرب حتى الصباح
وعندما يرى الاطفال الجمال محملة بالقش يهزجون:
جمال ابن جمالك والعرب سرقولك اجمالك
سيفي تحت راسك ما بسمع كلامك
دق دق مين ابن السلطان
اشو بدو
بدو اشوية نار
خذ اشوية نار واصحى الغنمات

ويردد اخر فيقول:
نيخ يا جملنا نيخ جملنا امحمل بطيخ
عن الحلوة ما بنزيح عن الحلوة ما بنزيح
وتهزج النساء في دروب الحصاد والمناجل تعانق اجساد السنابل:
ياريت من توخذ الجمال يسعدها
يجيب الهدية تالي الليل يقعدها
ياريت من توخذ الحراث ما تسعد
تحمل قدحها وتدور في البلد تشحد
وتقول احداهن وهي تغني للجمال:
وين رايح فينا يا جمال
وين رايح فينا حياك الله
على دار اهالينا يا جمال
على دار اهالينا ما شاء الله
نيخ وسط السوق يا جمال
نيخ وسط السوق ياهيه
مثل عرق السوس عروستنا

مثل عرق السوس يا هيي
ميل عا الحصيرة يا جمال
ميل عاالحصيرة ياهي
عزوتو قوية يا شميم
عزوتو قوية يا هي

ويخاطب الحصادون زرعهم بحماس، يتنقل من خلالهم إلى الآخرين:

زرعنا وحنا صحابو
بالمناجل ما نهابو
والزرع ولّى عنوقه
بالمناجل لنسوقه
والزرع اعطى قناه
واضربه بالعقناه
واضربه يا ابن الهبلة
واضربه واقطع قفاه
لا يا زرعي قوم وارحل
من هالقاعة واتحلحل
قبل يجي ابني عنتر
يقش الشوك مع الزعتر
يا زرعي يا زريعاتي
يا نوار عويناتي [٤٤]

ويقول اخر:

لقيتني غزالة ابقاع وادي ندهتلها غزالة توخذيني
قلتلي روح لا بعد الحصيدة حصدت حصيدتي ورجعت ليها
قلتلي روح ابن عمي حضر
لقيتني غزالة ابقاع خلة اشرتلها غزالة توخذيني
قلتلي انشوف لا بعد الحصيدة حصدت الحصيدة ورجعت ليها

ونقول:

قلتلي روح تولوني الاعمام
يا بي ساري وابني تا اتعلينا
وصيتك يا بي ساري في البلاد يكفينا
يا حمام ابروس العلالي ايصيح
ما فكرت مين فارق المدلل بيظل صحيح

يا غزال في روس العلالي مشى
ما صدقت انو ابن عمي اخذني ومشى

وبعد ان تُغمّر المحاصيل، وتقوم النساء بجمعها بمساعدة الرجال، وتسمى جمع الغمور (بالكتات) اي تجمع مجموعة من الغمور مع بعضها، وتحزم بحبل وتشيلها النساء من مكانها على رأسها، إلى تجمع (الكتات) وتسمى (الحلة) ، وبعدها تنقل على الجمال إلى البيادر وتسمى أحمال الجمال (بالشباك) مفردها (شبكة) ، حيث يتفاخر الفلاحون بعدد الشباك التي تنقل إلى البيادر، وتكون البيادر قريبة من بيوت القرى، حتى تسهل عملية التواصل، ويسهل حمايتها، وعندما تجهز المحاصيل للدراسة، يتم فردها على ارضية البيدر، وتجهز الدواب وتثبت الواح الدراس بمؤخرة الدواب، حيث يقف الفلاح في وسط الغلة، ويسير الدواب على شكل دائري، ويلوح لها حتى تهم في حركتها الدائرية، وكنا نحن الأطفال نرمي بأجسادنا على اللوح المخصص للدراسة، ونتمايل بفرح يغمر نفوسنا، غير ابهين لحرارة الشمس اللاهبة، وبعدها تبدأ عملية التذرية، لفصل الحب عن التبن، ويستخدم الفلاحون (الدقارين) للتذرية، وتعتمد حركاتهم على حركة الرياح، وهبوب النسمات التي تريح نفوسهم قبل أجسادهم، وتستثير فيهم حب العمل والتواصل مع الحدث، ويهزج احدهم مخاطبا الرياح:

يا مديح يا مداح وين خبيت الرياح
بين سلمى وبين عرما وبين عروق اليسبان
سيسبان يا سيسبان سيسبان خيل الوالي
ما أقدر ألقاهم لحالي يا حلالي هيه يا مالي
والخوري والخورية شرقوا عا البرية
وانا شرقت معهن بدنا خيل نطالعهن
تطالعهن وتلاقيهن وتشلحهن طواقيهن

وعند انتهاء عملية التذرية، وتتضح معالم الحب من التبن، تستخدم المذراة لزيادة التنقية، وبعد ذلك تكوم الحبوب على شكل هرم، وتسمى الصليبة، واما القش الذي هو أكبر من التبن، يسمى (القصول) ، ويستخدم الفلاحون (الكرابيل) ، بعد (الصارود) ، لتنقية الحب من التراب وما علق به من حجارة صغيرة، وبعدها يستخدم (الغربال) ، للتخلص من باقي الشوائب، وبعدها يعمد أحد الخيرين من وجهة نظر اهل (الغلال) ، ويبدأ بعملية الوزن بالصاع، والصاع أو الصواع، وحدة وزن تتسع لأربعة أرطال، وكل رطل يساوي ثلاثة كيلو غرامات، وفي اثناء عملية الوزن، تسمعه ينطق بأسماء الله الحسنى، ويثني بأسماء الرسول عليه السلام، فيقول: ألله واحد للصاع الأول، ومالو ثاني، اثنين، للصاع الثاني، ثلث بالرحمة يارحيم ثلاثة، وهكذا، وتوضع الغلال في أكياس تعرف بكيس أبو حز أحمر، تتسع لمائة كيلو غرام من الحبوب، اوثلث قنطار، وبعدها يبرخ الجمل، وتوضع الأكياس على

ظهره، بعد أن تثبت المقادم على ظهره، حيث يوضع كيس عن اليمين والاخر عن الشمال، والثالث في الوسط، وينهض البعير بحمله، ويقوده أحد الأطفال إلى حيث المخزن في البيوت العتيقه، وتسمى (الخوابي) وهي عبارة عن مخازن مبنية بالتراب الاحمر والتبن، لها ثقبان علوي وهو واسع إلى حد ما، وقديتسع إلى جسد الانسان، أما الثقب السفلي فلا يتسع الا لدخول اليد فقط، وهكذا، تكون خابية للقمح واخرى للشعير، والثالثة للذرة البيضاء، والاخرى للكرسنة أوالبيقة، يجاور الخوابي مجموعة من الصندوقات ومفردها (صندوقة) توضع فيها المحاصيل المجففة، كالعدس والقطين، (والجرمعون) ، وهو القطين الأقل جودة، ويقدم للحيوانات في فصل الشتاء، أما القطين فيقدم للناس مع بدايات الشتاء، ويؤكل مع (البسيسة) ، والبسيسة هي عبارة عن طحين مخلوط بزيت الزيتون، وقد يضيف صاحب المعدة السليمة (السكر الأبيض) مع خليط الطحين والزيت وهكذا دواليك. إلى ان تعود دورة الحياة من جديد، وترى الناس تمارس الطقوس كلها بمهارة وحرفية واتقان.

وتسمع أحد المشهورين بالغناء في قريته، يغازل مهرته ويتغنى بها وبأوصافها، وكأنها حبيبته من لحم ودم، فلا تدري أيخاطب محبوبته، أم يخاطب المهرة أو الفرس، فمن خلال ذلك نتيقن أنه يريدالوصول إلى هدفه، وهو مناجاة الحبيبة عبر فرسه التي يسقط عليها همومه وحرمانه معا، فكأنها مدخله إلى موضوعه الذي يعيش في نفسه وروحه أيضا، فتسمعه يرود بكلمات خاصة، لها ايقعات ونغمات مموسقة لا تخرج الا من انسان له تجربة في الحب، بل عركه الحب حتى غدا قتيل من يحب، فهو يعيش جسدا، الا أنه منهك الروح لتعلقه بمن يحب (الكحلة) فيقول عنها بلسان المحب يخاطب مهرته أو فرسه، أواي دابة تعينه على نكد الدنيا وعذاباتها، وتكون الكلمة الموسقة خير معين له في عملية التفريغ للهم ومقتنيات الحزن فيقول:

يا ربي تكبر مهرتي، تكبر وأنا خيالها
بيع الجمل واشري فرس، حتى تناغي اعيونها
يا امهيرتي عمرك طويل، تا أسرجك واتباها فيك
واعتلي صهوة الحنين، ونرسم برمشك سوسنا
يا امهيرتي يا أم الدلال، اشتقت لك في العناق
وفي السباق لك العنان، تا نطوي أرض البهدلي
يا امهيرتي شكلك ذهب، مثلك ما شفت العجب
الك حبي والله انكتب، في اللوح وفي الدساتير
يا امهيرتي مالك مثيل، عن حبك والله ما بحيد
والعيد يصلح للسعيد، يبقى الفقير امسخمطا
يا امهيرتي تحلا العيون، والبسمة تطفيلي الظنون
لاكتب لحبيبي مكتوب، تعالى نتعانق سوا
يا امهيرتي والندا جاب، جاب الحلال جاب الدلال

لاكتب لصاحبي تعال، واحمي عيوني بالسيوف
يا امهيرتي شكلك مهاب، جدك عربي الدلال
مهما حصل لك الفعال، بجسمك وابروحك سوا
يا امهيرتي الله اعين، عا الجلسة تحت البساتين
لاطعمك عنب ثم تين، وندحدل تحت الشجر
يا امهيرتي يا ام النهود، قليلي وين ودك بدور
رب السما بدي نقود، حتى اشوف اصديرها
يا امهيرتي توكل عناب، عن حبها ما في جواب
وهيك الله قالوا في الكتاب، ساري محروم حتى الممات
ساري محروم حتى الوفاة، ساري محروم حتى الممات

ويردف مع نوع من التحريف: (وحياة لحية عمي جبر، ساري من بطن أمو للقبر)

ومع انتهاء كلمة الممات، تراه يمسح دموعه بطرف كوفيته التي يستر بها راسه، خوفا من أشعة الشمس اللاهبة، وتسمع عبراته وزفراته عن بعد، لذا تراه يؤذي ولده الذي يرافقه على البيدر، أو يكون قد أحضر له بعض الزوادة من المنزل، وان كان الفقر يلف الناس في تلك الأيام، فان لم يوجد مايؤكل تضع زوجه بعض حبيبات السكر وتذيبها في الماء بوعاء معدني، كأن يكون علبة حليب فارغة من محتواها، وكسرات خبز أو ماتبقى من خبز، لأن الحصول على الخبز في تلك الأيام يحتاج إلى عمل مضن أوشاق، لأنه ليس في متناول أيدي الجميع شراء الطحين من أصحاب المحلات التجارية، لذا يتقبل الطعام ولايتذمر مطلقا، لأنه هو المعين الوحيد لأسرته، فما رأيته متمردا على طعام قط، الا في حالة واحدة، عندما لا يكون ناضجا، أو فيه رائحة الزفر فانه لا يأكله مطلقا، ويفضل الجوع على هكذا طعام، وعلى الرغم من ذلك تراه يفرغ حقده وألمه تجاه من يحب، بصاحب هذه الأسطر، الا أنه سرعان ما يعود إلى رشده، ويقبله ويحضنه تعبيرا عن حبه له، الا أن هذه المواقف تتكرر كلما هبت نسائم العشق التي لا تنقطع من خاطره، أولا تغادر روحه حتى تكون قد أفعمتها من جديد، ما يجعله مولها بها يرسم لها خصالاً وقيما قد تكون حقيقية أو من صنع خياله المتجدد بها، لأن خيالها بقي ملازما له طيلة حياته، حتى عند النزع الأخير، وروحه ترحل إلى باريها، لم يستذكر أحدا الا هي، وتسمعه يغني لها بتحبب منقطع النظير، فهو وفي لها كما كان توبة صاحب ليلى الأخيلية، والمجنون وصاحب عزة، فهو مجنون القرن العشرين وأوليات القرن الواحد والعشرين، حينما فارقت روحه الحياة صاعدة إلى باريها.

ومع عملية الدوران المضني مع الدواب في الفصل القائض، يبدأ الدراس بالترويح عن النفس عبر ايقاعات خاصة، وأصوات تتناغم مع الواقعة، لذا من السهل على الأنسان المتلقي سماع انغام متعددة الأصوات والتوجهات، وترى الأطفال يرمون بأجسادهم على ألواح الدراسة التي تجرها الدواب غير ابهين بالعناء أو بحرقة الشمس اللاهبة، لأن حالة

الدوران على البيدر والاجساد ملقاة على الواح الدراسة، تعد أجمل دعابة وحالة ترفيهيه عرفها الأطفال، حيث المتعة تتجدد بتجدد الدوران على البيدر، وكم هي حالات جميلة عندما يدعى الأطفال كي يلقوا بأجسدهم على الألواح، وهذا الأمر يمثل أسمى حالات الكرم من قبل رب البيدر أو من يقوم مقامه في عملية حث الدواب على الدوران حتى تتم عملية تكسير القش ودرسه ويصبح صالحا للتذرية لفصل الحب عن التبن والقصول، لذا تتجددحالات التلاقي مع الغناء والنغم الغنائي، فهي أحد الملاذات الصادقة التي تواكب العملية من أولياتها حتى متتاليات النماء، فيكون اللحن صديقا لا يمل صداقة صانعيه، فتسمهعم يرددون فرادى أو جماعات:

والطول طول الرمح — والعنق مايل ميل
والخصر من رقتو — هد القوى والحيل
يا صايمات الضحى — يا مفطرات الليل
ردوا علي غزالي — ما بقالي حيل
والروح عا اخر نفس — والجسم ذاق الويل

ويقول مرددا ما يسمعه على لسان النساء:

بدر قمرنا بدر وأشرف علينا للدار
وبعيني شفت المحبوب عا الفرشة حل الزنار
وبعيني شفته شفته بالحمرة صابغ شفته
اصديرك يومن كشفته فاحت علبة العطار

ويقول أيضا:

عيونك سود يا عنب الدوالي — حلوة وقاعدة ابظل الدوالي
جابولي الدوا وانت دوا لي — دواي مابين صدرك والرقاب
يا ظريف الطول ابعيني ما أزغرك — زامم القربة وجظ من ظهرك
نسم الغربي وبين مخرك — على صدرة قبتين ومؤذنا
نزلت على العين وحملت جرتها — سالت الجرة وبانت غرتها
مسعد زمانك يلي جبتها — قصرك في الجنة اتنعشر بلكونا

ويقول:

عيونك سود دخل الي لحمهن دخل البيض ولي خلف لحمهن
خسارة يا نذل تكشف لحمهن وجه بدر والقبة ذهب

ويقول مظهرا عذاباته المتجددة التي لا يشفيها الا الاقتراب ممن يحب، ولو تأمليا:

نزل دمعي ع خدي وحرقني — يا شبه الزيت في المقلى حرقني
هذول البيض يوم انهن مرقني — حواري ونازلات من السما

يا ويلي من عيون البنت ودين — بنية ولابسة المنديل شكلين
ونا لاظل في محبتكم تتلين — صخور اليابسة تنبت عشب
أنا لقعد ع الورد ع العين — وبلكي ظعنهم عني امرين
وانظر لظريف الطول والعين — حواجب سود وعيون امكحلا
يا طير البرق سلم عليهم — طالت الفرقة واشتقنا ليهم
وانا لنطرها مع البسوم — وخلي الأرض تلعب دلعونا

وعندما يجتمع حوله بعض الأصحاب والخلان، يبيح لهم بما يكتوي منه من الالام متجددة، حتى انه يصرح باسمها علانية غير ابه بما حوله من الأصحاب والجيران والأقارب وبالذات الأبناء، علما أن من يجالسوه يعرفون قصته من أولياتها حتى اخر مرحلة من مراحل تطورها، الا أنه يصر على ذكر اسمها دون رتوش ويبدأ باللحن السرمدي:

هاتوا لي القلم لاكتب بالرصاص — يا انهود الأكحل يا حب الانجاص
ولي يحرمنا يبلى بالرصاص — ويبلى بالعمى ويصبح مجنونا

ويقول عندما يراها أو تتخيل له في صورة امرأة أخرى:

فاقت من النوم تعجن بالعجين — خواتم الذهب في ايدها اليمين
قوم يا حبيبي لا تحلف يمين — ما ابيحلي البيت الأ أنت وانا
حني عا ساري أصبح مش مفطر — واقع من حبك في مرض مخطر
جابوا لي الدكتور شاطر ومحضر — قال لي من الهوى جرحك مسموما

ويقول:

باب العلالي لزرعلك نرجس — خايف ياالأكحل عا عمرك ينقص
يلا يا عمري قومي تنرقص — ونغني سوا على دلعونا
عنقك يا حسنة أبيض ولامع — ورمان الصدر ياربي دالع
وسهام عيونك كالسيف القاطع — ومن حبك أنا صرت مجنونا
طلبت الأسم قالت لي اميسر — مادمت بنت لأظل امحسر
قلتلها بيك قالت لي امعسر — قلتلها أمك قالت حنونا
باب البوابة لازرعلك كينا — خايف ان طال الجفا تنسينا
ياريتنا متنا قبل ما جينا — وقبل ما نعرف سود العيونا
قلبي يا قلبي لاضربك بأمواس — شبكت المحبة مع بنات الناس
ياسيدي المسبح ياسيدي الخواص — تقطع ضناهم الي أحرمونا
نور المشمش يا حسنة نور — ابجمال اعيونك ربي ما صور
ومن وين اجي الك ومن وين أدور — البلد مليانة شباب دلعونا

الكحلة يا ها الربع بين البساتيني	مجروح جرح القلب يا مين اداويني
هيه يا حاملة الجرة ميلي واسقيني	بلكن يطيب الجرح عا يد الحبيبة

ويقول:

حبيبي الأكحل في المارس	عايش بين النوارس
وحسين اليونس وغبق	بشهدوا انني الفارس
المعطر ومحمد الذيب	ومعاهم كل الحلوين
جوز جدوعة هاالهميم	من العلالي بيجي هين
ابنقعد عازق العمّال	اراقبنا الرايح والجاي
نستذكر سوا اشو الي صار	ليلة زواج الأحباب
قنامة تشهدلي يا ناس	وزيدينا والخواص
بو تيسير عندو احساس	لما ايحب ابأماني
حبيبي الأكحل في الميشي	زارعلو اشوية هيشي
طول عمري بغنيلو	متعلم قص الشليشي
اشقيف عبد ربو يا ناس	يشهد عا كل الجلسات
تحت الليمون الندوات	يشهدوها الجماعات
أبدأ يومي ابذكر الله	والفرفحنة على النار
يوماتي أحل الزنار	وأصلي خمس مرات
أجلس في ظل التينات	والغرفة والليمونات
ولما تمرق عاليي	القمر من السما فات
يا نادي انت ابني	عنك والله مابخبي
العرقدة والخلة	وحبلة حوا شاهدات
يشهد الله عليي	هي روحي وعيني
حتى لو شرعت رجلي	الها كل الماقامات

ويتمثل بما يقوله غيره من العتابا، حتى كأن السامع أو المتلقي يظنه من نظمه، لذا يبدأ بالقول دون توقف أوعائق:

يا حنون يا حنون	لألحقك وين ما اتكون
وان مسكتك بيديي	لامصك مثل الليمون
يا اغزيل يا ابن ديني	يا نوار البساتيني
ويا اغزيل بدار خالو	وبتغاوى ابلبس عقالو

ويقول من يتعامل مع القش في لهب الظهيرة:

عودي عودي يا جمال سعودي
يا جمال امخرخشة تلبق للهنود
الهنود بالقصورة تنادي لاطيورة
وكل طير طاير طعمتو فطاير
يا واوي يا مال الويل لبعثلك حسن وحسين
وابعثلك معهن جروين جرو سلاقي وجرو املاقي
وجرو امرقط عا الجنبين ولذبحنك يا واوي
واعمل من جلدك رباب للشيوخ وللشباب
لا تسكنوا البرية خيول العرب محذية
خيل العرب ومهارا ومعودة عا الغارة
ومطبعة عاديها والسيف بين ايديها
والرمح بين عنيها تلعب كما الصنارة
صنارتك يالهندي ومبحبحة بالوردي
والورد ما هو عندي والورد عند الضرة
وعيونها المحمرة وكل ما مرقت صبية
حطوها بالخلية وكل ما مرق ختيار
دبوه في النار وكل مامرق شب
احفظ يا رب احفظ يارب

ونتيجة الجهد المتواصل، والعناء الذي يلاقيه الدرّيس، نجده يعتّب ويقول كلاما له دلالات خاصة، تحمل في مضامينها تجسيد العناء، وبيان مدى الالم الذي يلاقيه الانسان، حيث يتمنى حياة العزابي، وان كان من باب المناكفة:

ناري يا ناري عا احبابي	**وما حدا امكيف غير العزابي**
قلت للحلوة تغسلي اثيابي	**قالت: ما معي حق الصابونا**
ما أحلى أكل اللحمة مع المفتول	**من دية حبيبي ظريف الطول**
مهما عملت بايدك عندي مقبول	**يا أم اعيون الكحلة والحاجب نون**
يا امحطبات الحطب منين جبتنو	**يا امخليات العزب يمشي وراكن**
يا امحطبات الحطب روس العراقيبي	**يا امخليات العزب يعوي كما الذيب**
يا امحطبات الحطب روس الحطب منا	**يا امخليات العزب يمشي ويتمنى**

وعندما يرى بعض الصبايا يسرن والبيدر الذي يقلب عليه القش، تراه يتفاعل وتسمعه يخرج صوتا مؤلما:

ثنتين يمشوا سوا والخصر يهتز

وحدة ابتكرج كالحجل ووحدة مثل الوزة
وبعيني شفت القمر من صدرها فزي
ولا اتكذبني يا ربي شفتو ابعنيا

ويقول:

مرقت علي ومسكتلي ذراعي
بنت الملعونة عشقانة الراعي
ونا دخيلك سيدي يا رفاعي
اترد الغزال المرق من هونا
طلعت عا الدرج والدرج مبني
وخدن عليها اطرا من الجبنة
واصبر عالي تارضع ابني
واجي لحضينك يا اسمر اللونا
طلت خيلهم طلت بين البساتين
وفاحت ريحة النعنع تحت الفساتين
طلت خيلهم طلت بين الحواكيري
وفاح العبق والنعنع تحت الزنانيري
راحوا ولعبوا بالهوى لعب الهوى فيهن
طير اعقالاتهم وشمر اواعيهن

ولما يشتد به الوجد، وتنهنهه عذابات الحرمان، تسمعه صارخا:

دخلك تعالي يابنت أم احسين
لو تدعسي عا الساقية ابتهتز راس العين
مري على المقبرة الميت الو سنتين
تحيي عظامو وبيقوم يمشي على الثنتين
ولما شفتها طالعة من جل كرباعي
ولما قست شعرها باعين في باعي

ويقول على لسان من يتعلق بها فؤاده:

على دلعونا صاحت دخيلك
وابنية ازغيرة وما هي من جيلك
واصبر علي تني احكيلك
عا الي جرالي امبارح واليوما
فيجيبها بلسان المتمني:
يا ظريف الطول ويا عيني انت

وياعقد جوهر في صدر البنت
كنت في احلى منامي وحلمت
ام اعيون السود حدي نايما
يا نايمة نوم الصبح ويش علمك نوم الصبح
ونسوان بيض ونايمي وشبان راحت عا الذبح
ونا لابني للحبيب عا العين علية
ومشرعا للهوى والبواب غربية
يا هند طل القمر عن كتف ضيعتنا
ايعبي اعيونو صور من وحي خيمتنا
اشتاقت ليالي السمر لزوار وردتنا
وكتبت فوق الحجر ذكرى الطفولية

وتقول:

يلعن الردي ويلعن الي اتاجر فيه
ولو كان خاتم ذهب في خنصري لرميه

ويقول:

راحت عا الحقل اتلقط شمايل
وحرق قلبها بو عقال المايل

ويردف:

لا أخ بنفع ولا والد ولا مولود
ولا اصحابك الي ظهرك بهم مسنود
الأ ثلاثة:النظر والعافية والدرهم الموجود
يما يا يما محلى العشابة
كل يوم الصبح بشوف أحبابي

ويقول معتبا:

يا شعبي جربت خمسين مرة — وبعدها عيشتك كالصبر مرة
اذا مر الحمل عا ذيب مرة — عمرو ما بعاود عا الذياب
يا شعبي بوحدة صفوفك تمسك — واوعى فتن اعداءك تمسك
وهلي صبحك غدرو ومساك — لأيش تعود ترفع له عتاب
يا شعبي بتعرفو الحاكم وبعدو — عدو، لا تبدل الأحباب بعدو
وهدام القرى الفين بعدو — وبيوم الأرض قتال الشباب
يا شعبي مد خطواتك وشدها — وصروح المجد رسخها وشدها
الزعامة الفايشة فقدت رشدها — واوعوا حدا يتبع خطى غراب
بجبهة واحدة الأحرار صفوا — وكبار كثير كانوا زغار صفوا

الشعب ما ببلفوا شقاق صفو
لو ان كان عجل من ذهب

جبينك يا شعبنا دوم عالي
وعدوك لا اتعابو انقض عاليه

وزند اللي تعود دوم عالي
الحديد الصم ما ايهمو القصب

مثل ها الشعب ما في شعب عانى
وبعد كل الأسى وكل المعاناه

مافي غير وحدتنا معانا
وكل الغير عسكر للعدى

يا اللي منزوي تتفش غلك
قعودك ضاعف قيودك وغلك

الغول الي عشر مرات غاللك
مرة قوم حطم له النياب

ويقول:

يا نادي ويا زيداني
يا قضيب فضة ويا غصين البان

ما خابت امك في ليالي جابتك
جابت امير يقلقل الحكام

ويا بو ساري لا تقول نسيتك
وانت المفدى والعزيز الغالي

وانت الذي فضلك علينا كلنا
من يوم كنا في السرير ازغار

ويا ساري ويا شاشة على راسي
لا ببيعك ولا بعطيك للناس

سيفك مسقط ودبوسك إلو آجراسي
والخيل من هيبتك طلعت بلا ناسي

يا بو ساري هز الرمح بين ايديك
واحنا نسايبك والتجأنا ليك

ون ردت شرق لنا ون ردت غرب ليك
وانتي السكاكين واحنا اللحم بين ايديك

وبما أن موسم الحصاد قد وجد مكانته في نفوس الناس، وجسده أصحاب الفن المتجدد من خلال نصوص ما زالت عالقة في الأذهان، يرددها الناس أو يتمثلون بها بين الحين والاخر، الا انها لم تعد مفعلة كما كانت سابقا، والسبب يعود إلى اضمحلال موسم الحصاد، وذلك لأسباب متعددة منها: أن الأرض لم يعد أحد يستثمرها كما كانت سابقا، اذ كان الناس يتفاعلون مع المواسم كلها ويخدمون الأرض وان قل نتاجها عن الجهد المبذول، لأنهم يرون فيها امتدادا لحياتهم والتمسك بها من ثوابت العقيدة والدين، وكذلك المواطنة تفرض عليهم التمسك بالأرض، بذلك ترى الأرض مخضرة على مدار العام، وكذلك وجود الوظائف العامة أدى إلى ترك الأرض والتمسك بالوظيفة، وان لم تكن الوظيفة مجزية في كثير من الأحيان، الا أن الناس أخذوا يميلون للدعة والراحة، زيادة إلى أمر هام يتمثل في الامتداد السرطاني للاستيطان، ومصادرة الأراضي وحرمان أصحابها من استثمارها، إلى جانب ما صنعه الجدار العنصري الذي التهم كثيرا من الأراضي على جنباته، ومنع الاف الاسر من الوصول إلى أراضيها، ما يرينا الحرمان الكامل للاسر التي تقع أراضيها على جنبات جدار الفصل العنصري، بل ويعرض كثيرا من المواطنين إلى الأضطهاد وممارسة اشد أنواع الصلف الصهيوني في حقهم، لأن الأرض التي صودرت على مدار الايام هي أخصب البقاع في فلسطين، لذا لم يعد لكثير من المواسم أي أثر يذكر في حياة الناس،

وان وجد فان التقنيات أخذت حيزها في العملية، فلم يعد للجهد البشري اثر يذكر، ما يعني اندثار عملية التأليف فيما يخص الحصاد وتبعاته ومقدماته ونهاياته، وما نقرأه من سياقات قولية هو من مخزون الذاكرة التي أخذت بالأضمحلال أو التلاشي لعوامل متعددة وهكذا......

أما ما يخص موسم الزيتون فلم تعد البهجة تلف الناس وتغمرهم مع اقتراب الموسم كما كانت الأمور في سابق عهدها، وذلك للأسباب التي أوردناها فيما يخص موسم الحصاد، بل ونزيد عليه أن الزيوت المستوردة من دول الجوار تزاحم المنتج الوطني من زيت الزيتون، وان لم تتعادل كفتا الجودة، فالجودة أعلى للزيت الفلسطيني منها من الزيوت المستوردة، وهذا يؤدي إلى خفض قيمته في السوق ولم يعد منافسا، ما يعني تثبيط عزيمة الفلاح وعدم استمراريته في خدمة الأرض لأن المردود من شجرة الزيتون أقل بكثير من الكلفة المصروفة على تلك الشجرة، فمثل ذلك يعني الإهمال لشجرة الزيتون وهذا يؤدي إلى قلة المحصول واضمحلاله، ويجعل هيبة الرمز الوطني ألاوهي شجرة الزيتون تتلاشى، ما يفتت أواصر التلاقي بين الناس والموسم، لأنه كان يمثل موسم المؤازرة والتكاتف بين الناس، ويجسد حالات اللحمة الأجتماعية بين أبناء المجتمع الريفي، اذ يهب الناس إلى نجدة بعضهم ومد يد العون لمن يحتاج إلى المعونة من أصحاب كروم الزيتون دون مقابل، بل ويسندون بعضهم في الحالات كلها، الا أن هذه الأمور أخذت تتلاشى بتلاشي اثر الموسم في حياة الناس، وان جسد أصحاب الفنون القولية الشعبية موسم الزيتون من خلال نصوصهم الابداعية الشعبية، لذا نجد نصوصا تفوح بالمصداقية تجاه ما نصبو اليه من حدث لم يزل له خاصية لا تدانيها خاصية في نفوس ابناء الأجيال السابقة التي عاشت الحياة بأنماطها المختلفة في حياة الناس، ما يسمعنا نصوصا تجسد المشهد كله من أوليات الموسم حتى متتالياته، ما يعني رصد الحركة بأمانة تامة، ومع دخول شهر أيلول ترى الناس مستبشرين بموسم جديد، وتسمع مصطلحات لها مداليلها، مثل أيلول اخره مبلول، ومع نهايات أيام أيلول تسمع مصطلح «شتوة المسطيح» أو «مطرة المسطيح»، وبعد ٢٨من شهر أيلول تسمع مفردة الصليب، أي أن الزيتون صلّب، أي دارت دورة حياة الزيت فيه، عندها ترى الفلاحين يذهبون إلى حقولهم ويأخذون حب الزيتون المتساقط، ويسميه العامة (الجول) ويجمع ومن ثم يدرس على الحجر اليدوي (المدرس) ويوضع بعدها في وعاء ويسكب عليه الماء الساخن، وتبدأ عملية التتقية، أي فرز الزيت عن الماء (الزيبار) يدويا، ومن ثم يوضع في وعاء للتصفية، ويسمى ذلك بزيت (الخراج) ، ويكون مذاقه حادقا إلى حد ما، ويباع بسعر أعلى من الزيت المفروز اليا، ومع نزول أول مطرة، يستعد الناس إلى حراثة الأرض، وكل حراثة لها مسماها الخاص، فالأولى تسمى (الشقاق) ومن ثم الكسارة، والثناية، والتثليث، وهذه تحدث في أواخر شهر نيسان، حيث يقول الفلاحون في أمثالهم (المطرة في نيسان ابتسوى العدة والفدان) وهناك من يرددها «شتوة نيسان بتحيي القدة والفدان»، وهذا استبشار مؤمل فيه الخير، لذا كانت شجرة الزيتون مصونة وتجود بعطائها، وتحظى بمكانتها النفسية لدى الناس، لما تتمتع به رمزيا وثقافيا واقتصاديا عند

الناس على حد سواء، ما يسمعنا فنونا قولية صادقة تجاهها، ولما تبدأ عملية القطاف يبدأ الفلاحون بجمع محاصيلهم في أماكن خاصة، وبعد عملية التكديس يتخمر المحصول، ويسمى ذلك (كامر) وبعضه يصنع بطريقة معينة ويسمى (المملوح) أما ما يؤخذ من تحت الشجر وقد بلله المطر فيسمى ب (الجرجير) ويضاف له عصير الليمون والزيت والملح، عندها يتمتع بذوق خاص، كل ذلك موثق في ذاكرة الفلاح الفلسطيني، خاصة الجيل الذي بدأ في الانقراض، أوالجيل الذي لا علاقة له بالأرض وزراعتها، ما يعني ضياع هذه الثقافة المتأصلة في الحياة عبر مسميات ودلالات خاصة، وان كان الموروث الشعبي القولي لم يُضع شيئا، حيث جسد ذلك كله بتلقائية خاصة، وتفاعلية تنم عن مصداقية في التوجه والأداء، فكان الشعر خيرمعين على ذلك:

لالقط بيدي الثنتين من خوف العازة والدين
لألقط بأصابعي العشرة من خوف ابيع البقرة

ويقول الجدادون:
دية يا أبو دية والحق في ايديي
يا زيتون اقلب ليمون بين أدين اللقاطات
حبلة حسن المرعي كلها اصميلي يا قلبي
يا زيتونة بو مرعي هريلي ذهب هري
يا زيتون الحواري صبح جدادك ساري
يا زيتون اقلب ليمون اقلب إمسخّن في الطابون
يا زيتون الحواري صبح جدادك ساري
بجدك في الجدادة وبدرسك في البدادة
والمليص زيته طيب أما القاطة ايغلب
يا زيتونة بو كطموش هريلي ذهب واقروش
هيه يا زيتونة جودة جودي علينا جودي
زيدينا يلا زيدي من الذهب والمجيدي
أما زيتون الخلة والمريج والمطلة
يا أمين يا خلّي دير بالك ترحل من هون
أما زيتون كنامة بيلقطوه النشامى
والأبرش لحالو يحوص ما بدو النقى والزين

وتسمع الفلاحين يخاطبون أعضاءهم التي يستخدمونها في جمع ثمار الزيتون:

ديتي يا دية الحزم لزم عاونيني اليوم والا بأرزم
عاونيني اليوم بشريلك عباة من عبي الشام حلوة مزوقة
ديتي يا ديتي الفكاكة غارقة في الزيت والركاكة

وبعدها توصف الة دراسة الزيتون، فيقول:

حجر ماكنتنا دار يا صبايا هاتن الجرار

الجرار والعسالي زيتهن للغوالي

وعندما يكون الموسم شحيحا، وهو ما يعرف عند الفلاحين (بالشلتونة) تسمع الناس ينشدون بأصوات مرتفعة وبنوع من التحبب يعاتبون شجرة الزيتون فيقولون:

يا زيتوني الحق عليك لطلع زيتك من عينيك

أما عندما يريدون حث الصبايا على العمل في قطاف الزيتون فنسمعهم يرددون) (نهار الزيت مثل ما أصبحت أمسيت) (من أجل حث الصبايا على العمل والاستمراية فيه، لأن يوم العمل في موسم الزيتون قصير، لذا تسمعهم ينشدون:

صبايا يا بنيات حمام الروع بيات

ولا نتجوز نذل ولا ننعاه لو مات

ولا ابنفرش حصيرة ولا ابنرمي مخدات

شدن اديكن يا بنات حتى انجول الزتونات

الحب الأبيض بنادي وين البيض الحنونات

والحب الأسمر نيالو لما اتلفن في اذيالو

يوخذ البسمة لحالو ويتنهد في المنامات

ومن أجل حثهن على العمل، يناجيهن صاحب الحقل ويفضلهن على العجائز وكبيرات السن، أو المتقدمات في الحياة، فيسمعهن أقوالا تحفيزية فيقول:

حطوا العجايز في البير	وارموا عليهن خنزير
ولي بدو يقناهن	لطع البقر حناهن
حطوا الصبايا في الدار	وارموا عليهن عطار
ولي بدو يقناهن	حنا الشام حناهن
العجوز النقارة	سرقت صيصان الحارة
حطتهم في جيبتها	يلعن أبو شيبتها

فبعد سماع هذه الايقاعات تبتسم الصبايا متفانيات في العمل، وكأن التحفيز قد أخذ مسعاه إلى نفوسهن، وأخذت دورة الحياة تدور من جديد.

أغاني الحماس والثورة

السياسة فن الممكن، لذا قاتل الله السياسة ما دخلت في شيء إلاّ أفسدته، وهذا ينطبق على حياة الناس كافة، لكن كل في مرحلة معينة، أو في فترة زمنية معينة، وبعدها تتبدل ميازين القوى، وتعود الكرّة من جديد.

فما نراه في فلسطين منذ عشرات السنين، وما وقع عليها يتجسد للجميع مدى الظلم والجبروت والحرمان والتشرد وأشياء أخرى، لأن الشعب العربي الفلسطيني، كان يعيش أمناً في أرضه وعلى ثرى وطنه،؛ وطن الآباء والأجداد ومهد من مهاد الإنسانية، إلى أن حلت به النكبات وبدأت عملية الاحتلال والاستطيان والتهميش، ما يرينا صراعاً يتجدد ورفضاً واقعاً، وحراكاً سياسياً ينمّ عن روحية فاعلة، وهذا انعكس على أنماط الحياة المختلفة، حتى أظهر ذلك ملياً النص الأدبي بأنماطه وأشكاله المختلفة، وأجناسه المتعددة، فكان كل بيئة لها معطياتها والدوافع الفاعلة حتى يتجسد النص القولي الإبداعي، إن كان عفوياً شعبياً أم أدباً ملتزماً بقانون الإبداع الأدبي.

فالغناء الشعبي الذي لازم الحدث السياسي في فلسطين متطور ونام إلى حدٍّ بعيد، لأن السياسة أفسدت كثيراً، وظهرت قرائنها في مجالات الحياة المختلفة، فكان النص الإبداعي الشعبي وغير الشعبي مكملاً للرفض، أو يشكل أحد قرائن الرفض والتمرد والثورة، لأن الشعوب تصنع ثوراتها لاستعادة كرامتها وتجسيد إنسانية أبنائها وتحقيق الحق الضائع أو الممتهن.

فمن يتتبع النص الغنائي الشعبي في الأدب العربي الفلسطيني يجده ملازماً للحياة ومتطوراً ومتدخلاً في تفاصيل الحياة المختلفة، فالحنين والهم والسجن والحث على الرفض والتمرد والثورة كلها من أنماط التعبير الشعبي التي يزخر بها الفن القولي الشعبي، وهذا يشكل مجالاً رحباً في القول والتفاعل مع الحدث، لذا نرى النصوص التي تجسد معاناة السجن والسجان، ومدى الحرمان الواقع على النفوس والأجساد معاً، ما يرينا نصاً يقوم بالثبات والمعاناة معاً، أخرجه للحياة أحد السجناء الرافضين للظلم والاستبداد، وتناقله الناس فغدا في أفواههم يتغنون به بكل عزة وفخار، وإن اختلفوا في نسبتة إلى واحد بعينه، إلاّ أن النص لم يزل عالقاً في النفوس والعقول ويردده كثير من الناس في المناسبات، وبالذات ما قامت به فرقة العاشقين حيث عرفت الناس بهذا النص الممتلئ بالفخار والمحبة والألم:

يا ليل خلّي الأسير تيكمل نواحو
رايح يفيق الفجر ويرفرف جناحو
ليتمرجح المشنوق في هبّة رياحو

يا ليل وقف تقضي كل حسراتي
يمكن نسيت مين أنا ونسيت آهاتي
يا حيف كيف انقضت بايديك ساعاتي
وشمل الحبايب ضاع واتكسّروا قداحو
لا تظن دمعي خوف دمعي على أوطاني
وعلى كمشة زغاليل في البيت جوعانة
مين راح يطعمها بعدي واخواني
تنين قبلي شباب عالمشنقة راحوا
بكرة مراتي كيف راح تقضي نهارها
ويلها علي وويلها على صغارها
يا ريت خليت في ايدها اسوارها
يوم الدعاني الحرب تأشتري سلاحو [٤٥]

هذه الكلمات تعبر عن مدى الإحساس بالألم، ومدى الألم الجاثم في النفوس والعقول معا، لذا نجح الشاعر في خلق عملية التفاعل مع النص وبه، عبر إيقاعات وقواف لها جرسها الخاص بها، لا نرى أثرها إلاّ في نصها أو مثلها، بذلك نجدها صورة صادقة لواقع معيش، هذه الصورة لم يزل كثير من الناس يستذكرونها.

فمخاطبة الليل وما يحمله من إرث متجدد، يرينا بعد الأمل،؛ لأن الأمل يلد من رحم المعاناة، تلك المعاناة التي يعيشها جلّ الشعب الفلسطيني بأنماطه وشرائحه المختلفة، لذا نجد كثيراً من الفلسطينيين فرّ من أرض الجحيم قاصداً الغربة كي يخفف بعضاً من المعاناة، ويعيش مع الأمل ولو إلى حين، إلاّ أن لواعج النفس لا تنتهي فرفضت الغربة والابتعاد عن الديار ومربى الطفولة ومهد الآباء والأجداد، ونجد اثر السجن واضحا في النصوص الشعبية، اذ جسد القول الشعبي المغنّى انماط الحياة المختلفة، وهذا ما نلمسه في اغنية شعبية يرددها الناس في المناسبات المتعددة، الا وهي اغنية (من سجن عكا) قيلت في مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين، أبان اعدام الشهداء الثلاثة زمن الانتداب البريطاني لارض فلسطين، ولم يزل الناس يرددونها في الايام العصيبة:

من سجن عكا طلعت جنازة	محمد جمجوم وفؤاد احجازي
جازي عليهم يا شعبي جازي	المندوب السامي وربع عموما
محمد جمجوم مع عطا الزير	وفؤاد احجازي عز الدخيل
انظر المقدر والتقادير	وباحكام الظالم تيعدمونا

لذا نقرأ نصوصاً تفوح منها شذرات اللوعة والحرمان، لان الوطن غدا مسكونا من الاغراب المحتلين، الذين يصنعون عملية الاحلال الممنهجة، ويسلبون الارث الانساني للشعب والامة بطرائق متعددة، لذا نجد التعابير الرافضة تتداخل كي تعطي صورة تحمل

الرفض والامل معا، وتظهر مدى المأساة والفاعلية التي يعيشها الناس وهذا ما نلمسه في نص بعنوان (مقهور) وغيره من النصوص وهكذا تسير الامور.

مقهور يا يما ومش مكسور
وقفت على بوابي ضباع الارض
تجمعوا من كل حدب وصوب
وصفيت لحالي مثل يا يما ضيف في ارضي
ومش مرغوب
مقهور يا يما ومش مكسور
معي سباع الفلا ونمورها ونسور
ندافع عن بيوتنا والارض
هالاغلى من صلاة الفرض
ونمنع وحوش الضارية
انها اتعدي السور
بقولك يا يما وانا النشمة الحر
مابريد سيعة الذهب
تشهد عوقتي المر
بيعي لسيعة الذهب
واشتري فيها
قنديل شوفك فيه
وشوف خياتي
الصبح زي الليل زي الظهر
زي قبل اسبوع زي بعدو
انقبر نجم سهيل تحت الدور .... (٤٦)

ونسمع من يتأوه نتيجة الفراق وعذاب التشرد فيقول:

بلادنا جفتنا دعتنا في بلاد غروب
من جور حكامها رحنا نموت غروب
يجي على بالنا تسكت مدامعنا
تتذكر حبايبنا عند المسا وغروب
ولا رجل يكيد ارجال يا اجواد
ولا مال يفك من العذاب
صفد يا غالية براس تلّة
فيك العيش للجعان تلّة
ريت إلي طلعونا وتاويهم بعلّة

وحيّة مألفة من أربع إنياب [٤٦]

هذا الوله والهم المتجسدان في النفوس نراهما يبعثان على أمل قادم، حتى نرى من يخاطب الدار وأهل الدار تحببا وتفاعلاً:

يا داريا دار لوعدنا كما كنّا
نطليك ياداربعد الشيد بالحنّا
يا داريا دار من عادوا اهاليك
بالشيد لأطليك وبالحنا لحنيك
وتقال على ايقاع اخر وذلك حسب المكان والزمان:
يا داريا دارون عدنا كما كنا   لطين الدار واجعل طينها حنة
واجيب شقة حرير واخلعها على البنا واقول للبين يرفع صايبو عنا

وقد تناقل الناس بالغناء كثيراً من النصوص قيلت في مرحلة الانتداب البريطاني لفلسطين، ما يدلل على الوعي الشعبي لما يحدث في الوطن والمحيط العربي بشكل خاص والعالم بشكل عام، أي أن الشعب العربي الفلسطيني لم يكن في يوم الأيام منعزلاً عن مجريات الأحداث في كل مكان، بل كان له السبق في صنع الحدث معبراً عن كيانه ووطنيته وعروبته وانتمائه العقدي.

نادت كل الكونية بأصوات ربانية
فلتسقط أمة صهيون ولتحيا العربية
يا صهيوني امشي ودور بكرة جاي القاوقجي
بدو يمشي اتنعشر يوم يطرد الصهيونية
الأمر الصعب بدو يهون يا عرب اوعوا تهابوا
نصر مؤكد بدو يكون الله قايل في كتابو [٤٧]
ومع لمعان اسم المفتي الحسيني كانت الاهازيج تردد اسمه:
ارض العرب للعرب يا غرب شيل وارحلي
سيف الدين الحج امين لولا المخافة من الاله
كنا قلنا في الصلاة   مفتي العرب مفتي العرب
المفتي عا المجد باني برج الو الغرب من هيبتو كلو برجلو
المفتي ان ظرب لندن برجلو الملك والتاج والكرسي انقلب

ويهتفون:

تعيش الاخوة اسلام ونصارى
والصليب والهلال وحراء والمغارة
وبعد قيام دولة الاغتصاب اصبح اهل الجليل يهتفون:

جليلنا مالك مثيل واترابك اغلى من الذهب
ويا شعبنا بارضو بخيل ما تنعطى وما تنوهب
والنصر والعمر الطويل لوحدة الشعب انكتب
نادى المنادي في الجليل ارض العروبة للعرب

ومع احتدام الصراع على الارض بين الحق والاغتصاب صرنا نسمع:

لو هبطت سابع سما عن ارضنا ما نرحل
وارواحنا الها فدى ما نرضى تبقى مقفلة
ويا شعب زين رايتك بالمطرقة والمنجل
ويوم النصر ما هو ابعيد والليل قرب ينجلي

بعدها نسمع أغاني الحماس، يرددها كثير من الناس في الأربعينيات والخمسينيات حتى منتصف الثمانينيات أو بعدها بقليل، اي قبل ان تتم التوجهات للنخب السياسية صوب الحلول السياسية والتعامل مع فن الممكن، او عندما كان الامل بالانتصار قائما، والطموح يفوق التوقعات:

هبّت النار والبارود غنى أطلب شباب يا وطن واتمنى
هّبت النار من روس الجبال أطلب شباب يا وطن لا تهاب
هبّت النار من حارة لحارة أطلب شباب يا وطن سهارى
هبّت النار من راس البارودة جيش العروبة يا حام الحدود
هبّت النار من راس السيكارة جيش العروبة يا حامي العذارى
هبّت النار من أرض الجدود جيش العروبة يا حام النهود
هبّت النار من شارع لشارع جيش العروبة يا حامي الجوامع
هبّت النار من رووس المدارس جيش العروبة يا حامي الكنايس
هبّت النار فصايل فصايل جيش العروبة يا حامي الاصايل
هبتّ النار والبارود غنّى جيش العروبة حيرجع وطنا
هبّت النار من راس الخروبي جيش العروبة يا حامي العروبة
هبّت النار من صفحة لصفحة جيش العروبة يا رافض النزحة
هبّت النار من تينة لتينة جيش العروبة شكال المرتينة
هبّت النار من واد العرايس جيش العروبة يهادن وسايس
هبت النار من مارس لمارس جيش العروبة طول عمر حارس

ولما بدأ ضعاف النفوس ببيع أراضيهم للحركة الصهيونية، قال أحدهم:

أحبابي وين ما رحتوا براضيكم

مهما بدا مني زعل براضيكم
أحبابي لابن صهيون لاتبيعوا أراضيكم
تراب الوطن أغلى من الذهب

وتقول اخرى:

حبابي الي يبروني وبرهم
ولا قطب جروحي غير ابرهم
انو يا ناس يعطيني خبرهم
بعيدين النزل ولا اقراب

وتقول ايضا:

ولما هُجّر الناس قسراً ودمرت قراهم وبيوتهم وحواريهم، أخذوا يقارنون بين واقعهم المرير وماضيهم المضيء، فنسمع:

يا امهاجرين الوطن أنا بالوطن خليت
يا دمع الحزينة عالخدود هرّيت
وانت يا حبيبي لو سابع سما وعلّيت
لا بد ترجع لارض الوطن
يا قاطعة الجسر شرقاً علامك تبكين
على هجر الوطن والحباب تبكين
لك يا بنية لا بد الدهر ما يلين
وترجع القدس لأهلها والصحاب
يا زارع الورد في أرض رطبة
أولادك على حب الوطن ربي
وأنا يمين الله واحلف بربي
لحارب ودافع عن أرض الوطن
يا كرم العنب ايش يبّس دواليك
وطني لو كنت بجروح دمي دواليك
وما دام عيونك ميتنا من أراضيك
يسهل علينا زرع الشجر(٤٨)

ومن يتتبع يجد أن أدوات القتال وقرائنها ذكرت في الأدب الشعبي المغنى:

آه يا ظرب الشباري
في العدا والدم جاري
آه يا ضرب المرتين
في العدا والمبغضين
هاتوا متر اليوز نهجم ع اليهود

ونحرم الصهيوني يخش بلادنا
حس الشباب يرعد رعد الطيارة
وحنا الشباب نحمي ديار العذارى(٤٩)

وعندما عرف الناس أهمية السلاح ومكانته في الحياة، نسمع أحدهم ينشد:

يا عربي يا ابن المجرودة
بيع امك واشري بارودة
والبارودة خير من امك
يوم الشدّة نفرّج همّك

ويقول ايضا:

بيع الجمل واشري فرس   واشري بارودة معدلة

ويقول الناس يخاطبون المندوب السامي البريطاني:-

مندوب خبر دولتك   لندن مرابط خيلنا

ويخاطب الناس مستر (دل) قائد الجيوش البريطانية انذاك، بنوع من التهكم والمرارة والسخرية، لانهم يعرفون نواياه المنحازة، الا انهم يؤكون على خطابه بلحن تهكمي:

دبرها يا مستر دل   بلكي على ايدك بتحل
ما دمت رجل خطير   وقائد عسكري كبير
وقضيتنا كلها افهمتها   ما يلزم الك تفسير
فهم لندن بلي صار   واللي بعد راح ايصير
العرب امة اصرار   صداقتها لازمتكو اكثير
جيت فلسطين الحرة   حتى تقمع الثورة
ولما درست الحالة   لقيت المسالة خطرة
بدنا اتفهم ابلادك   حتى تكفينا شره
واتصافي الامة العربية   بمنع البيع والهجرة
ودبرها يا مستر دل   بلكي على ايدك بتحل

ويردف اخر معلنا الثبات على المبادئ، والاصرار على التضحية، وان صاحب الشان هو اولى بان يكون اول المضحين:

اذا اتردوا على شوري ورايي   لنرفع للحرب بيرق وراية
انا قدامكم وانتم ورايي   وانا اول ضحية للعرب(٥٠)

ومع لمعان بريق الثورة واشتداد عودها، وتفاعل الجماهير العربية معها، ترى الأدب متفاعلاً مع هذه المرحلة، بل وأخذ يصنع منها شيئاً كبيراً وهاماً، لذا نجد صورة الشهيد والشهادة مفعلتين تفعيلا مؤكدا ومؤصلا، وهذا ما نلمسه من موقف الاب الحاني على ولده، الا انه يفاخر به الاكوان كلها، ويجعل منه الانموذج الذي يجب على الاخرين الاحتذاء به، حتى تتضح الصورة إلى الاخرين، وهذا ما جسده الشاعر والمغني الشعبي الشهير بابي عرب، حينما خاطب الشهيد ممثلا بولده، فيقول:

يا ابني يامقلة عيوني
يا ابني يا فلذة اكبادي
فيك ما خابت ظنوني
وانت للهيجا جوادي
يا ابني موتك وانت واقف
تزأر بساح الميدان
تسخر ابريح العواصف
تهزأ ابشط الامان
احلى من عيشة ذليلة
تشتكي جور الزمان
يا ابني احنا تعودنا
نرد عقرات الزمان
والنذل ما كان منا
لا الخنوع ولا الجبان
يا شهيد الوطن حيك
ما انسيت تراب جدك
ما انتظرت اوداع بيك
عندما نادى المنادي
قلت يا بلادي لقينا
عند عينك تع شفينا
اشهدي ويشهد علينا
والف مرحى بالشهادة
لما رجعوا يابا ربعك
ما سالتهم كيف موتك
حينها نشفت دموعي
قالوا مات البطل صامد
بعدها رفعت راسي
يا ابني لاقسم بحرمة ترابك

فرحت يابا ابنجاحك
فرحت اكثر في كفاحك
ولي صابك بلغوني
في بطولتكم نعوم
وقفت الرعشة في ظلوعي
بنتخي ابعزة ربوعي
راحت ابصدري المآسي
ودمك هل عطر ثيابك
في خلودك في الشهادة
يا ابن طيفك ما ايفارقني
في صباحي في مغيبي
يا ابني فيك ارفعت راسي
وقدمت عني الضريبة
اسمع امك اسمع امك
عم ازغرد وتصيح حيك يا حبيبي
يرحم ترابك يغالي
ما طلع فاين حبيبي
يا ابني خلي الجرح يلهب
خلي جرحي من دمي
تاريخ للثوار يكتب
حتى ها التاريخ يشهد
انو من دمي اجدد
ومن ضحايانا تعمد
تلق شعبك كل حدك
ما بيهم واحد تردد
تلق اختك تلق عمتك
تلق ابوك تلق جدك
كلهم نفس المسيرة
يحملوا البارود حدك
عندما اتنادي بلادي
الف مرحب بالشهادة

ويردف اخر لكن ليس بعيدا عن دائرة التضحية والفداء والشهادة:

نادى المنادي في الجليل ارض العروبة للعرب

شاغورنا مالك مثيل	**وترابك اغلى من الذهب**
وبوحدة رجال الشاغور	**امر المصادرة انشطب**

ويقول احدهم:

تنده فلسطين وتقول احموني	**من ها الخبايث هلي اجوني**
الله اكبر عا اللي باعوني	**تا اتزيد الهجرة عا فلسطينا**
يما يا يما بدي رشاشي	**طلبتني الثورة والصبح ماشي**
عفت الوظيفة عفت المعاش	**تحرير بلادي أغلى ما يكون**
يما يا يما تعالي شوفي	**حامل عا كتفي الكلاشنكوف**
لو ما في عيب العرب هالخوف	**كان تحررنا في فلسطينا**
غني يا يما أحلى الالحان	**نلت الشهادة وربي أعطاني**
لاحكم بيغن ولا ديان	**بقدر يغتصب أرض فلسطينا**

ويقول احدهم:

ان كان نادى المنادي للمعارك يوم
الموت سترة ولا انت اتعيش جوباني
وقال يا عرب زوروا القدس في نيسان
من خوف الغرب ايهيجوا ويطمعوا فيها
وجاها نابليون بالفتيان والعدوان
وصار حول عكا ملتقى الجيشان
وجزار با شا لهو بلطة ممظيها

ويقول:

يا يابا تمسك بارض جدك والتراب
الربا حرام اوع انت ترابي
قال ترابك يا قدس هذا ترابي
وين ما متنا ادفنونا ابها التراب
يايابا اوعوا امريكا هيي اتغطي عليكم
تراب اوطانكم اغلى من الذهب

ويقول في مدح اهل المخيمات القابضين على الجمر:

يا رايح عاالمخيمات خذ مني ها التحيات
ولهم نرفع الرايات اهل الزنود القوية

وتقول احداهن على لسان الفدائي:

يما يا يما روحي على كفي من الصبح ماشي لارضي المحتلة
لفديك ارضي ابروحي وابدمي واغنيك ارضي تا يرحل صهيونا

ونسمع النساء وهن ينشدن متفاعلات مع الحدث والهم الوطني:

زرعنا الميرمية ابوسط الدار فلسطين بتناديكم وين الثوار
زرعنا الميرمية في الحاكورة فلسطين بتناديكم يا النمورة
زرعنا الميرمية في البساتين فلسطين بتنادينا فدائيين
زرعنا الميرمية في الموارس فلسطين بتنادينا يا اشاوس
زرعنا الميرمية في راس التل فلسطين بتنادينا ضد المحتل
زرعنا الميرمية في الفوارة فلسطين بتنادينا يا امارة
زرعنا الميرمية في ارض الدير فلسطين بتنادينا تنهب في الليل
فرشنا الميرمية فوق الرجوم فلسطين بتنادينا يا ها النجوم

وتقول احداهن:

بالسكاكين يا شعبي بالسكاكين
قاوم عدوك يا شعبي بالسكاكين
وان هدموا بيتك يا شعبي عا الباساتين
بالباوريد هيه يا شعبي بالباوريد
بالباوريد قاوم قاوم عدوك بالباوريد
وان هدموا بيتك يا شعبي خذ الحدود
وبالحجر قاوم قاوم يا شعبي وبالحجر
وان هدموا بيتك يا شعبي خذ الشجر

والمقاومة اخذت حيزها في الارض العربية المحتلة عام ١٩٦٧م، وهذه الارض تعرف اداريا بالضفة الغربية لنهر الاردن، لانها كانت تشكل وحدة اندماجية مع الضفة الشرقية للنهر، إلى ان تم فك الارتباط بين الضفتين من قبل الاردن، لذا نسمع تمجيدا للضفة الغربية واهلها من قبل الشعراء الذين يغنون الشعر الشعبي الفلسطيني:

على ارض الضفة في شعب مناضل ومن اجل الحرية اوقد مشاعل
وانت يا فلاح وانت يا عامل اطرد من ارضك جيش الصهيونا

ويقول اخر:

يا بيغن اسال ديان شعب الضفة ما بنهان

ارجـــال الـضـفـة فــي لـبـنـان	سجلوا فدائية سجلوا فدائية
يـــا بـيـغـن اســـال ديـــان	لا تـنـسـى غــزة ولـبـنـان
لا يمـكـن اتـعـيـش ابـسـلام	الحــركـــة الـصـهـيـونـيـة

ويقول نايف سليم ابن البقيعة في الجليل، يخاطب رموز الحركة الصهيونية الفاعلين في تنفيذ القرار بلا هوادة، أي لا تأخذهم رأفة أوانسانية في أصحاب الأرض الاصليين، الذين وقع عليهم الظلم والهوان من الصهاينة على مدار الأيام، ويرينا المنشد مدى اللحمة ووجوبها بين الطبقات الكادحة، من عمال وفلاحين وحرفيين ومستغلّين، هذه الشرائح التي تقع تحت طائلة الألم المتجدد، لأنها تشكل رأس الطعم الذي يدسه المحتل بين أسنانه، وكأن الشاعر الشعبي يرى في الأممية طوق النجاة للتخلص من الاستيطان والاستعمار والتخلف، لذا يصر على اللحمة الوطنية الممتدة عبر سنوات الحياة، حتى يرينا مدى الكراهية التي يكنها الناس المضطهدون والمستعمَرون (لأمريكا) راس الحيّة في الأزمنة الحديثة والمعاصرة كلها، لأن أمريكا تدعم الظلم وتساند الظلاّم لأنهم يخدمون مصالحها، كما هي تخدم مصالحهم وتنميهم، حيث لا تكترث بمصائر الشعوب التي تئن تحت وطأة الاستيطان والاستعمار وهكذا:

يا شامير ويا شارون هذا وطنا وحنا هون
لا تهويد ولا تشريد عن أراضينا ما بنحيد
ارفع ايدك يا نهاب عن أرض الي الها أصحاب
ولازم وحدة كادحين تنطير قانون الغاب
وحدة عامل وفلاح في أيدينا أقوى اسلاح
ورص اصفوف الكادحين الحامي من المستغلين
ومهما اتبثوا دعايات بكل الألسن واللغات
ابيبقى توحيد الصفوف وحدو حلال الأزمات
لا ليكود ولا معراخ من ها الحالة العامل داخ
وما بينظف الأوساخ الا تعزيز الجبهات
شعب كريم وبسام عن حقوقو ما بينام
وصار شارب عا الظلام وحتى اطفال امقاتلين
يا أطفال الاربيجيه يوم النصر راح ييجي
وما بضيع القضية مهما اتخون الرجعية
ومثل ما طار الاذعان وسكتر جيش الامريكان
لازم تنظب اسرائيل وصلحة أنورها الذليل
ومثل ماالاذعان طار الحبل لاحق على الجرار
ومثل ما المارينز ولى بتولي الزمرة كله

ويا ثالوث الرجعيين جايي دولة فلسطين
وعمرو مادام العدوان مهما ركبتوا له أسنان
مهما اتتعدوا اتمدوا اجيوش بالاخر بطلع فاشوش
اسحب جيشك يا محتل ما في مستعمر بيظل
اشو في الكو في لبنان يا خدام الأمريكان
وما بتظلوا في الجنوب مهما صعدت الحروب
والجنوب لصحابو موش لريغن واكلابو
وسوريا أم لبنان موش مثل جيش العدوان
ون ما علمكو الجولان في حامي حقوق الشعوب
وموسكو مع سورية ميش متروكة القضية
اليوم الدنيا للأحرار ولّى عهد الأستعمار
ومثل ما ايتان ولى بتولي الزمرة كلها
ومثل ما ولى الصرصور لاحق كل الزمرة الدور
يا ارنس اطلع برا الأرض العربية حرة
عاش الشعب الفلسطيني غصبن عن المحتلين
وتحيتنا الثورية لبيروت الغربية
ولي ماشي في لبنان الطريقة الفيتنامية
وتحية لابطال الشوف خلوا المخطط منعوف
تحيتنا الثورية لضفتنا الغربية
وتحيتنا الثورية لغزتنا الأبية
ومهما اتفتوا الملايين جايي دولة فلسطين
وهون بين العاملين ابيقوى صوت المحتجين
بين العرب واليهود تا يسقط حكم الليكود
وتتغير ها الحالة من الغلا والبطالة
وفي الوحدة الاممية منسبق للفاشية
وارفع ايدك يا نهاب هذي الارض الها أصحاب

وينشد الثنائي المتمسك بالثوابت الفكرية (حنا ابراهيم ونايف سليم) بملامح الأمل على الرغم من الغصة التي يعيشها الناس والوطن على حد سواء:

يا بلادنا مالك مثيل وترابك أغلى من الذهب
منرضى بالعيش الذليل لوصرنا لجهنم حطب
نادى المنادي في الجليل أرض العروبة للعرب
يا شعبنا بأرضو بخيل ما ابتنعطى وما ابتنوهب
وفي شرقنا ايحل السلام لما يتم الأنسحاب

لو هبطت سابع سما عن أرضنا ما ننزل
وارواحنا الها فدا ابرخص اذا ترابها غلي
ويا اعلام حمرا رفرفي وفوق المجرة اعتلي
وارض العروبة للعرب محتل شيل وارحلي
بلبنان ما الك مقام والأرض عم تغلي غلي
والشعب الي اريد السلام ابو الكرم والمرجلي
وعين العدالة ما تنام والليل قرب ينجلي

ويقول نايف سليم ايضا، يمجد القرى العربية التي لها باع طويل في النضال:

قمت من ديرتي وامسيت (سخنين)
اللي اسقت للعدا كاسات سخنين
ولو منختير ومنكون ساخنين
وبتنادي لنا وابنرجع شباب
قمت من ديرتي وامسيت (طمراي)
ولو امنرجع على خبزة وتمراي
ولو منعرى ونلبس خلق طمراي
ولا بالذل في قصور الذهب
قمت من ديرتي وامسيت (بمناه)
وكار الصبر عا الظلام بعناه
الشعب المرهق المشغول بعناه
لا بد ما ايزيل همة والتعب
قمت من ديرتي وامسيت (كسرا)
والشريف الحر بستكفي بكسرا
ومهما حاول الحكام كسرا
الجماهير البايديها الغلب
م نرضى حقنا أثلاث وانصاف
وان شتى الظلم بالناس وان صاف
اما كاملا في عدل وانصاف
اما الموت عا حدود الطلب
اجيت أشرح الام الصدر والغل
الي شرش في حنايا الحر والغل
ان شدوا عا الاسود الأسر والغل
وهي بالأسر بتخافا الكلاب
قمت من ديرتي وامسيت (نحفاي)
ع درب الحق لو نعرى ونحفاي
الحرة إن جوّعوها وزاد نحفا
م ترضى اتبيع عرضا بالذهب
قمت من ديرتي وامسيت (طيراي)
وعا غير الوطن ما بيرف طيراي
طيري يا رياح الهم طيراي
وودي للأهل نسمة هوا
قالوا اشو ابتملك قلت ماشي
ولا ثروة ولا قطعان ماشية
م بتراجع لو ابقى العمر ماشي
على درب الكرامة وبلا اثيابي
مهما زاد كاس الدهر خله
الكرام ابوعدهم ما يوم خلوا
الله يلعن الليرات خلوا
البعوضة اتفكر حالا عقابي
الدراهم ما ابتخلق ناس حرة
ولا بتحر فكر الحر حرة
ونفس الحر مثل الجمر حرة
قبل ما مسها الخصم التهب
غيرك يا وطن غالي م عزيت
ان اطلبت الروح ع احسابك م عزيت
ورغيف امغمس ابزعتر مع الزيت
أشهى من خروف الأغترابي

الوطن ما ابنحمي يا ناس في (اللو)   دمع لي اقحوانة وناح فلة
المرج بيصيح وين الاهل فلو   اشتقت صوت المناجل والقصب
وطنا في اله صورة بلبي   على تقديسها اصغاري بلبي
حسراتي على يوم البلبي   نداءات القناط والعتاب

ويقول أيضا:

حبابي شيَّلو وراحوا شمالي   وم عدت اعرف يميني من شمالي
وشمالي ياهوا الديرة شمالي   دخيلك هات ريحة من لحباب
ع خيل الشنص شدينا وركبنا   وغيابن هدنا وكسر ركبنا
ي سايق ظعنا وحادي ركبنا   هدي شوي تنشوف الحباب
زرع ولفي قبل ماغاب بانه   وعلى صدري هرم أحزان باني
ومن خدة شعاع الشمس باني   ومن سنه لمع برق السحاب
حبابي شيلوا وراحوا بعادي   قلبي مين ما عادوا بعادي
وم بفرح لا بعيد ولا بعادة   م بفرح غير برجوع الحباب
الجفا وبعد الولف ع القلب زادي   لاجعل من عشاب البر زادي
رمش عينه اذا نزل بمزادي   ابيسوى مية طن من الذهب
حبيبي شمل وماعاد لي   عصب قلبي التوى لي ع ليا
لو جبال الفرح قلبت علي   م بنسى لحظتين من الغياب
العسل أحلى ام المية من ابريقه   تشفي لسعة الرقطا بريقة
ان غمزت ليلة الزايد بريقة   تعرقل رعدها والغيم غاب
هزت كهربا لحظل عصبنا   وجرحتينا وابمحرمتك عصبنا
وي الي مع أعادينا (عصبنا)   م عدنا نعرف ادروب الصواب
عظامي يا ولادي انشروها   عزت نفس بوكو ان شروها
مقالة ابكبريائي انشروها   لأجلك يا بلدنا الموت طاب
الحقيقة ثوارها اتشفوا وغابوا   الأسد عزه ابعرينو وسط غابه
حنين القلب ع الهجوا وغابوا   جارح مثل حزات الرباب
سوى درب الوطن أقسمت معدي   وما تهضم طعام الذل معدة
ورخص النفس أخطر داء معدي   مثل عدوى الجمال من الجرب
وطنا الي ربو جدودي ع ميتو   لهذا الحد عن فضله عميتو
البكا ما ابينفع الثاكل ع ميتو   فقط بيزيد ع امصابه مصاب
الوطن في صوته لمذبح دوالي   المنايا في حمى ارظه دوالي
بفضل بالوطن عشوة دوالي   ولا امحمر ذلة واغترابي
كل واحد مسك شغلة لها بها   وعواصف جارفة ارضة ابلهبها

أذا نار الوطن أخمد لهبها بقدملو من ضلاعي حطب
على بعدك ي نور العين لاجن صرنا ابدار غربة ــاخ ــ لاجين
لنحوك من بعيد الأرض لاجين زحف لو كنت مكسور الركاب
غضب قلبك ع حبك ليش ما ايلين وعواميد السعد بالحي مايلين
وجعودك عا اصديرك ليش ما ايلين ودخيلك ستريهن بالنقاب
قمت من ديرتي ومسيت رامي سهم لحظك وريد القلب رامي
لو قالوا ألف مرة حرامي لظل أسرق نظر تحت النقابي
رضابك هيل لا قهوة عداني ومرض حبك قبل م خلق عداني
الفرح من يوم ما غبت ع داني وصادقني أبو الهم العذابي

ويقول أيضا في شأن لا يقل أهمية عن الصراع على الأرض، ألا وهو المدخل إلى معمعان الحياة بانماطها المختلفة، وهو شأن الأنتخابات، وما يدور في فلكها من تحفزات وكولسات، وكيف تتدخل السلطات لأفشال قائمة دون أخرى، أو انجاح أحد المقربين من الشأن العام، لذا نراه يجسد الصراع على الانتخابات للإدارات المحلية، تجسيدا تهكميا فاعلا، دون الإثقال على المتلقين، حيث جاءت مفرداته بسيطة على الرغم من أهمية الموضوع، الا ان المسألة أخذت سياقاً واضحا، فيقول:-

يا صبيان ويا بنات سحجة للأنتخابات
وركض السلطة ع الأصوات خلاها اترشح أموات
يا مستمعين الكلام انتبهوا لفخاخ الحكام
سيف الدين عاود قام وشراشيبة الرداحات
وقوايم (مش مدعومة) (امجمعة) ومش ملمومة
وفيها افخاذ الحكومة ابترمز للايجابيات
وقوايم (مستقلة) وبتلامع زي الفلة
وليل انها بتصلي للي بقبظ الليرات
يا فلاح ويا عامل حقك بوصل ع الكامل
وعطشة راجع تيناضل ابفلقة من السبع فلقات
وفلقة ثانية لحالاه بلشانة اتمد احبالاى
عا اعمامه واخوالة والباقي يبقى فضلات
وشو اللي غير التغيير كان يهدر مثل الزير
وصاير زي الصرخة ابيروفقع زي البالونات
أما المعراخ العتيق راجع يتسرق تسريق
افوت بغلة بالابريق ويعيد المجد الي فات
ويخلص أراضينا منا وينسى ماضينا

ون زعلنا ورضينا بده اتمثلنا خوندات
وكيف الي اسمو خازوق بو ايطال بالحقوق
وهو بين العرب مدقوق شواكيش امصهينات
وكل موظف هستدروت مرمي من حزبه ومزتوت
عدنة بالنقعة مفتوت وهو يركض تيجيب أصوات
وفي كل ضابط في البوليس جاي اعلي المتاريس
وجاي ادق النواقيس ويعزف عا أعتق نغمات
وفي كل متمشيخ مخصوص مرفع صوته زي الصوص
ومعلص زي الخنوص وبتهزهز للخواجات
وقوائم طائفية بتعيد القبلية
وبتوكل راس الحية وبتاجر بالديانات
وقوائم عائلية بطوش ابحفنة مية
ووراها الصهيونية ابتدفع مصروف الحفلات
ووراها ايد المعراخ هلي لونه وفعلة باخ
وبعد ما ختير وشاخ جاي ايعيد المنسيات
ويا ما عاملنا شكلين وخلا العرب عربين
وورثنا لغراب البين وخلا قرانا غيتاوات
وباين زعيم الحيروت بده يحكم بالنبوت
ولو كل العالم بتموت أصحابه بيظلوا لوردات
وبده يهجم عا لبنان لولا (ها الطقس التعبان)
أما اسياده الأمريكان عرفوا امشقلب الحسابات
ولولا اللي ابيحمي الشعوب من المذابح والحروب
كانوا ببدوا من العرقوب بالذرة والفنتومات
أما أحزاب الأديان تتسند حكم الطغيان
ابتدفع ثقلك عا العقبان وبتمص البلديات
أما العين البصيرة والأيادي القصيرة
بلطشها بو حصيرة والهامر والشارونات
والغلا والبطالة بعد الهن كمالة
كلشي ابنظرهم غالي الأ أيدي العاملات
الا أيدي الشغيلة والأجور الهزيلة
والحكاية طويلة والسلطة للشركات
وفي كل متوعم اجديد عدنا منحوت من جليد
ومبرود ابمبرد حديد ومبودر مثل الستات
وفي كل من جلة شفاف شعبه وربه ما بخاف

وسيارة شين بيت انشاف بركع له سبع ركعات
وعندك ناس يأسانين تيقووا حكم اليمين
بيقولوا لك ممتنعين وبحسبوا حالهن قبضايات
ي اللي قاعد ع الحيلد وشايف شو ما عملوا الأوغاد
استن تاتخرب البلادوعود تاسف عا اللي فات
وعندك ناس (اليسار) اسبوا الجبهة ليل انهار
ومن هيك ثورية وثواريطرب بيغن والسادات
وكل الناس الرجعيين من كل ملة ومن كل دين
بتصدوا للشيوعيين خدمة للأحتكارات
ومهما بثوا دعايات ابكل الألسن واللغات
وحدة صف الكادحين ابيبقى حلال الأزمات
لا ليكود ولا معراخ من ها الحالة العامل داخ
وما بنظف هل الأوساخ الا رشا بالواوات
لا معراخ ولا ليكود حق العامل مابيعود
الأ يتمسك محمود وموشى وعيسى بالواوات
الأحزاب الصهيونية مية وخمسة بالمية
من شيلي للحيروتية ممروضة عنصرية
وضد الفلسطينية وضد الأمة العربية
ودواها الشافي الواوات ودواها الشافي الواوات

وكذلك غلاء السلع وارتفاع تكاليف الحياة اليومية والمعيشة أخذت حيزا معقولا من التراث القولي الشعبي المغنى، الذي جسد هذه الظاهرة التي تستبد بحياة الناس، علىاختلاف مراتبهم، وبالذات الطبقات المسحوقة أوالفقيرة، التي يكاد دخلها يكفي معيشتها، ونراها تعيش تحت خط الفقر، وهذا ما جسد بعضا منه نايف سليم، باسوب تهكمي بسيط:-

قالوا: الغلا وجهه جلا ويا ميت هلا بالوزرا السراقين
يا حلالي يا مالي
قالوا الحليب امره عجيب ركض من جيب ابنزلي وكابس عا التسعين
يا حلالي يا مالي
والنوادرع القنادر قدرة قادر ربطتها ابسعر البنزين
يا حلالي يا مالي
واكبر وبا المحاسبة ع الكهربا ابتلعن تاريخ الجزدين
يا حلالي يا مالي
ويا ما صفر سعر السفر وجاب الطفر حتى ع اجيوب الضابطين

يا حلالي يا مالي
ما الضريبة الرهيبة صارت عجيبة وغريبة
وعم تستغصب غصيبة حتى الناس القاحطين
يا حلالي يا مالي
وبضيع الخمسية ابفردة صندل الولية
واللحمة صارت حية بتسم ابدان الشرايين
يا حلالي يا مالي
والسكر علا لفوق للشم صاير موش للذوق
وياما في قلب محروق ع الزمانات الماضيين
يا حلالي يا مالي
والغلا بالنزلة داعس والعامل عن عمرو امايس
وشباب عافوا العرايس لاجل أسعار الفساتين
يا حلالي يا مالي
منحصل شقة عمار بدك شغل ثلث اعمار
والرخصة بدها سمسار وسبع ثمان امهندسين
يا حلالي يا مالي
واما عن سعر الحديد ثقلة مصاري وعم بزيد
ومع تأخير المواعيد بتمد ايدها الشياطين
يا حلالي يا مالي
وبدك ميزانية تطوير لبدلة ولد ازغير
ومعاش الواحد بيطير مثل أوراق تشارين
يا حلالي يا مالي
ولي عم بكبر همه وبكفي ابريقة عا تمة
البدو وق يطلع لامه الشيقل والليرة مولين
يا حلالي يا مالي
وبترجع كل المغانم للص الي كفه ناعم
وما عاد اخش المطاعم غيرها اللي امزنجلين
يا حلالي ياملي
والعربي في اسرائيل في عينين المسائيل
بده تهجيج وترحيل مهما قلد مداحين
يا حلالي يا مالي
دومن مأكول ومذموم ومن ألف شغلة محروم
اتصير ابكلشي مظلوم حضروا له القوانين
يا حلالي يا مالي

وتيتم الجيش ابحج اقطيش تمييز ابلقمة العيش
اشوال اطحينك حقه كيش الف وميتين وتسعين
يا حلالي يا مالي يا حلالي يا مالي

ويقول اخر ممجدا الرموز النسوية من الحركة الثورية الفلسطينية:

حيولي ليلى خالد البطلة الفدائية
ليلى نزلت عا بيروت فاتت عا القيادة اتقول
قالت والله لوبموت لاسجل فدائية
حيولي ليلى خالد البطلة الفدائية
ليلى نزلت عا لبنان عا قواعد الشجعان
قالت والله لو بموت لحيي الثورة العربية
قالت والله لو بموت لحيي الثورة العربية
ليلى اهلها ثوار يا جماهير ويا احرار
والفدائي ها المغوار يحمي الثورة العربية
حيولي ليلى خالد البطلة الفدائية
ليلى بنت الاجاويد ابتحمي شعبها بالايد
عا هل الوضع الله ايعين وتخسى الصهيونية

ودلال المغربي الشهيدة التي قدمت روحها قربانا للوطن لم ينسها الناس، لأنها تمثل الرمز الايجابي عندهم جميعا، لأن شبابها كان دافعا ومحفزا لنصرة قضيتها الوطنية، لذا قادت عملية فدائية جريئة وجبارة، وأعلنت أفكارها وقيمها داخل أرضها المحتلة، وان غدرت من قبل أعدائها، لأن جثمانها لم يزل محتجزا في رقم سري عند العدو الصهيوني، ما جعل لها مكانة خاصة في نفوس الناس وأفكارهم على مختلف مشاربهم، حتى خلدت بالفن الشعبي بعد خلودها بالشهادة:

دلال ما بنسى دلال بنت الأكارم لا الأنذال
ضحت بالغالي والنفيس تا يبقى الوطن موش حبيس
ما الها والله مثيل عند الشعوب الصافيا
دلال نزلت عاالبحر تا تمحي اهات القدر
رفاقها مثل المطر هبوا لنجدة الوطن
رسموا صورة للوطن صورة بهية امعطرة

ويقول اخر تمجيدا للمخيمات واهلها، وبالذات مخيم تل الزعتر، الذي غدا رمزا للفداء والظلم معا، ابان الحرب الاهلية اللبنانية، في عقد السبعينيات من القرن العشرين، عندما شكل تل الزعتر ظاهرة صمود فريدة، ومادة للبطش الانساني، من الانسان تجاه اخيه

الانسان من ابناء جلدته واخوانه واشقائه:

عا تل الزعتر صار الهجوم
وطير المنايا في السما ايحوم
عا تل الزعتر حطت قوتنا
وعا اتنعشر دولة رفت رايتنا
تل الزعتر يا امدمر فيك البنيان
دم الشهداء بارضك فجر بركان

ويقول اخر في المجال نفسه:

عا ارض الضفة نزلت مجموعة   نزلت عا الوطن تغسل ادموعة
وانت يا نايم يا ريتك توعى   وتشوف الثوار كيف يضحّونا
والله ما باخذ غير الملتزمة   تحمل رشاشها في وقت الازمة
فيها بتقوى وقوي عزمي   ايدي ابيدها عا فلسطينا
يا طير الطاير امرق عليهم   سلم عا الاهل واشتقنا ليهم
من قبل الفجر لسعسع ليهم   وخلّي الارض تلعب دلعونا

وتردد النساء في الأعراس – أيضاً- نصوصاً تحمل الهم الوطني والتفاعل القومي وقد افادت من اغاني الثورة التي كانت تذاع عبر وسائل الاعلام في حينه:

يا جماهير ياجماهير الارض المحتلة   ثوري ثوري يا جماهير الارض المحتلة
حربنا حرب الشوارع طالعلك يا عَدُوي   حربنا حرب الشوارع من كل بيت وحارة وشارع
حربنا حرب الشوارع طالعلك يعدوي   طالعلك يعدوي طالعلك يعدوي

لذا نجد المنشدات وقد افدن من هذه الاناشيد وتم تحوير بعضها، اوالاضافة عليها كيفما يرون خدمة للفكرة التي يؤمن بها، فتكون مطالع هذه الاناشيد افتتاحيات تضمينية لنصوص لها قيمتها ومكانتها الخاصة، لذا نرى العاطفة تتدفق عبر هذه النصوص، تجاه الرموز التي تتفاعل معها المنشدات، كما فعلت المنشدات وقد جعلن من مسمى جمال عبدالناصر حالة سرمدية خاصّة، وتحجيم من يرونه مناهضا لعبدالناصر من خلال النص الهادف:

غندرة مشي العرايس غندرة ولي ايحبك يا جمال يمشي ابغندرة
نزلوا الفدائية عا الضفة الغربية ضربوا دورية سموها امجنزرة
غندرة مشي العرايس غندرة ولي ايحبك يا ناصر يمشي ابغندرة
نزلوا الفدائية عا الضفة الغربية ضربوا دورية سموها امجنزرة
غندرة مشي العرايس غندرة ولي ما ايحبك جمال احط عا راس قندرة

وتردف النسوة بلحن تحفيزي صاخب، وبايقاع على الطبلة له دوافعه وانفعالاته:

يا جمال عبد الناصر فرشول حرير   يا رايح على الثورة جبلي منو منديل
يا جمال عبد الناصر فرشولوا ورود   يا رايح على الثورة جبلي منوا النقود
يا جمال عبد الناصر فرشولوا عناب   يا رايح على الثورة جبلي منو جواب
يا جمال عبد الناصر فرشولوا دلال   يا رايح على الثورة جبلي منو حلال
عدوك في البحر لو كان راسي   بخط العنكبوت ابينسحب

وتقول احداهن:

طارت طيارة في الجو بينتلها صورة   والعرب منصورين واليهود مكسورة
طارت طيارة في الجو رسمتلنا صورة   والعرب منصورين واليهود مكسورة

وتعود النغمة من جديد بايقاع تفاعلي صاخب، يهدف إلى تثوير الحاضرين، مع ترداد مفردات لها وقعها في النفوس، مع تحوير خاص يخدم الفكرة التي يأملون تحقيقها:

ديروا النار ابها الخيام   وحرقوا اكروت التموين
لا صلح ولا استسلام   بدنا احنا انحرر فلسطين

ويقلن ايضا:

بدي اظني ماشي فرشتي والحافي
بيدي ورشاشي بدي اظني ما شي
فجرنا الثورة في الخمسة والستين
ثورة طلاب وعمال وفلاحين
حربنا حرب الشوارع والقنابل عاالخصر
طقت عينك يا ديان الفدائية من مصر
حربنا حرب الشوارع والقنابل في الجيوب
طقت عينك يا ديان الفدائية في الجنوب
حربنا حرب الشوارع والقنابل في الكياس
طقت عينك يا ديان الفدائية باللباس
حربنا حرب الشوارع والقنابل للحروب
طقت عينك يا ديان الفدائية للمنون
حربنا حرب الشوارع والقنابل في الصدور
طقت عينك يا ديان الفدائية من الشمال
حربنا حرب الشوارع والقنابل للقتال
طقت عينك يا ديان الفدائية صاروا ابدور

وتتفاعل جموع النساء في الإيقاع، وتعلن الصبايا حبهن للفدائي، حيث لا شروط ولا مهور للزواج من الفدائي:

يما اعطيني الفدائي لنو بقرشين
نزل الارض المحتلة حامل مرتين
يما اعطيني الفدائي لنو ابشلن
نزل الارض المحتلة حامل كلاشن
يما اعطيني الفدائي لنو ابلاش
نزل الارض المحتلة حامل رشاش
يما اعطيني الفدائي ابخمس قروش
نزل الارض المحتلة وصل العريش
يما اعطيني الفدائي وراح الدلال
نزل الارض المحتلة ضد المحال
يما اعطيني الفدائي عايش في الهيش
نزل الارض المحتلة ضد الجيوش
يما اعطيني الفدائي ومهما صار
نزل الارض المحتلة ابعزم واصرار
يما اعطيني الفدائي من شان الدار
نزل الارض المحتلة يحمي الصغار
يما اعطيني الفدائي من شان الارض
نزل الارض المحتلة في يوم الارض
يما اعطيني الفدائي ما بدي مال
نزل الارض المحتلة ابعزم وثبات

وتقول احداهن معلنة الثبات على المبادىء، هازجة رافضة الاذلال والخنوع والتقولات المهينة تجاهها وزوجها:

قولي قولي يا سعاد بنت الاصول   انا جوزي فدائي ما هو جاسوس
قولي قولي يا سعاد يابنت الناس   انا جوزي فدائي اهل الاحساس
قولي قولي يا سعاد ولا اتهابي   انا جوزي فدائي من عنابة
قولي قولي يا سعاد يا بنت الخير   انا جوزي فدائي ما هو زنديق

ونجد للحراك الوطني اثره في النص الشعري الشعبي المغنى حتى تتضح الصورة بجلاء كاشف، فنسمع ما ترده النسوة في الأعراس تجاه الشواخص والمقدسات التي تهم الناس بتوجهاتهم المختلفة:

من حديد باب الاقصى من حديد   ما ايحرر الاقصى الا الشهيد
من رخام باب الاقصى من رخام   ما ايحرر الاقصى الا الصدام
من ذهب باب الاقصى من ذهب   ما ايحررك يا اقصى الّا الشباب
من فضة باب الاقصى من فضة   لنحررك يا اقصى واتصير قصة
من نحاس باب الاقصى من نحاس   لنحررك يا اقصى وترفع الراس
من قصدير باب الاقصى من قصدير   لنحررك يا اقصى مهما ايصير

وتسمع جموع الشباب يهتفون باقوال فاعلة تنم عن مواقف مؤكدة، وهي رفضهم للحلول الاستسلامية التي كانت تطرح على الشعب الفسطيني ابان اشتداد ساعد الثورة والثوار، فياتي الرفض المدوي باعلى الاصوات:

احمي الثورة ابدمك احمي   واكسر ناب الحل السلمي
هذة الثورة للملايين   للي شربوا الظلم اسنين
للي جاعوا للي ضاعوا   للي عريوا واللي التاعوا
لليتامى.... للثكالى   للي ابسوق الظلم انباعوا
للي سكنوا اخيام الذل   وللي حملوا ظلم الكل
للي حملوا الجرح وثاروا   للي فوق الجمر ساروا
للي هبوا للي لبوا   للي علوا اسمك واسمي

احمي الثورة ابدمك احمي

وكذلك نسمع لوعة الالم نتيجة الخذلان المتجدد في النفوس لذا نسمع احدهم يقول:

يا ويلي مين بيحرر وطنا   يا ذكر بالملك شعشع وطنا
ولا بد يوم ما يرجع وطنا   لو انجوم السما ابتسكب اطواب
ويطربني النغم يا بوي بالعود   نسدد لفنون الحرب بنعود
كريم الله عا الاوطان بنعود   لو انجوم السما ابتسكب اطواب

وعندما بدأ الشباب بالسفر من أجل لقمة العيش وأشياء أخرى، صرنا نسمع من النساء ألحاناً مؤلمة تظهر ألم الفرقة والبعاد:

سافر وخذني معك حذرك تخليني
لا اختك حنونة ولا امك تسليني
سافر وخذني معك بفطر على دقة
بصبر على الجوع ما بصبر على الفرقة
سافر وخذني معك بفطر على بيضة
بصبر على الجوع ما بصبر على الغيظة

سافر وخذني معك بالبحر غرّقني
بصبر على الجوع ما بصبر تفارقني

وتقول أيضا:

من جد السفر لا اتسافروا في الليل
تطلع الشمس والعين تحق العين
وان جد السفر لا اتسافروا بدري
تا تطلع الشمس والعالم تدري

وتقول احداهن تعبيرا عن الالم الذي تتركه الغربة في النفوس، وبالذات لدى النساء اللواتي حرمن من معاشرة الرجال الذين تغربوا طلبا للرزق ولم يعودوا لهن:

إجمال امحملة وآجمال بتعن … غريب وفي بلاد الناس بتعن
وانا حملت بضاعتي وجيت اعن … غريب وما حدا مني اشترى
كفاني اوعود يا ولفي كفاني … هزلت وصرت من لحظلك كفاني
من بعد بعدك حضروا اهلي اكفاني … ولك زورني قبل دخولي التراب
انا لابكي وبكي ابعاد واقراب … ومن دمع عيني لملي ظروف وقراب
متى يا ظعن الحبايب تيجوا على الدار … واجازي الي في غيبتنا اشتفى
شمالي يا هوى بلادي شمالي … على الي قلوبهم رحلت شمالي
ونا لارافق الريح الشمالي … ندا واسقط على قلوب الحباب
عا حرف الخاء خلوني وراهم … ومرة اصيح ومرة امشي وراهم
ياربي اتزيد في عمري تراهم … واحمدك خالقي حتى الممات

ويقول من احس بالغربة وهو في مهجره:

احنا اتغربنا وطالت غربتنا … واتذكرونا يا جماعتنا
وعند العشا جيبوا سيرتنا … وعند المنا تتفقدونا
يا طير طاير سلم عا احبابي … وانزل عا الارض بوس العتابي
وان كنك يا طير بلغ جوابي … لاعزك يا طير احسن ما ايكونا
من راس الجبل لقاع الوادي … نادي عليهم يا قلبي نادي
بلكي يسمعوا شباب بلادي … ويعودا عا الاهل في فلسطينا
ناري عليهم ناري عليهم … طالت الفرقة واشتقنا ليهم
بالله يا قمر تضوي عليهم … هذولا احبابي كانوا اسلونا
يا اللي سافرتوا عا ابلاد ابعيدي … قلبي معاكم ويش طالع بيدي
لطلب من الله العالي القدير … نتهنى ابشوفتكم في فلسطينا
شباب اتغربوا وابعدوا ابعيدي … شلعوا قلبي ابكلاب حديد

دخلك ياربي العالي القدير　　تجمع شملنا مع الحنونا
يا طير البرق يا طير البرق　　صرن العجايز يلعبن الخرق
والله لقدو قميص الخنق　　واخلي الأرض تلعب دلعونا

وتقول مرودة أخرى:

ألا يا ديرتي خليت من أهلك　　متى نورد على مية منهلك
واحنا ما ننساكي ما نهلك　　وما نبدل بالذهب حبة تراب

وتقول:

امك اصيلة وخلفت سبع الفلا
الله ايخونك يا زمان قد خنتنا
غمزة عيونك علمتنا الولدنا
ظلي اذكرينا واذكري سهراتنا
يا ميجنا ياميجنا يا ميجنا
زهر البنفسج يا ربيع ابلادنا
غرد يا بلبل عا زيتون بلادنا
غرد يا بلبل والربيع اجا لينا

وتقول:

بالنار بالنار وانتوا الي كويتوني
بقيت قنديل وانتوا الي طفيتوني
يا موقد النار أوقدها وعليها
والنار ما ابتحرق الأ اللي يوطيها

وتقول أيضا:

يما يا يما ثوبي قددتو
على حبيبي هلي دشرتو
حبيبي نايم لنام ابحدو
وخلي الارض تلعب دلعونا
على دلعونا على دلعنا
راحوا الحبايب ما ودعونا
يما يا يما لشلحلو اثيابي
وظموا في القلب دون الشباب
واكتب عا نفسي صك انتداب
وانت المستعمر يا اسمر اللونا

على دلعونا وعلى دلعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
يما يا يما لكتب سلامي
للي جنني دون الشباب
ولك يا الاسمر وين انت تاجي
لظمك في العين وابوسك انا
لظمك في الروح وتبدا الدلعنا
لظمك في القلب وورد لك انا

ونسمع أخرى تروّد بإيقاعات شجية، يتداخل من خلال قولها الخاص والعام، فهي تبكي الذات لأنها تحب الوطن، وتبكي الوطن لأنها تحب الذات، وتسمع شاعر الربابة محارب ذيب يغني (قصة ماريا ويوم السفر) ويبكي من حضر رجالا ونساء، لانهم يتفاعلون مع النص، ويقدرون اثر وقع الكلمة على النفس مع لحن الربابة الشجي، وكثيرة هي المرات التي طلب فيهن غناء قصة ماريا والناس يتفاعلون مع اللحن الشجي طربا وتمايلا مع مسح الدموع بوساطة اطراف كوفيات الرجال، ومناديل النساء:

غنت ماريا ابيوت عا يوم السفر
ويا دمع عيني عن خدي حدر
وسيل في كانون يا غزر الرعود
والورد الاحمر امفتح عا الشجر
سيل في كانون يا غزر الرعود
والورد الاحمر امفتح عا الخدود
ومن قطف روس المباسم والنهود
وصام عن الزاد سطعشر شهر
وصام عن الزاد ما ذاق الغدا
والورد الاحمر امفتح عا الندا
اللي ما سافر جوزها يا المسعدا
وقلبها خالي من هموم السفر
يا ربي لوم اللي يلوم اللي انبلى
ويا دمع عيني للوسايد بللا
بقيت في زماني بنت امدللا
والقلب مرتاح صافي من العكر
انا بدعي ع الجربو درب الخطير
من بعد الغنى انا اصبحت فقير
تمنيت حالي طير لي جنحان اطير

واقطع فيافي البر مع شط البحر
ايا كاتب المكتوب لا تبعث سلام
طالت الغيبة علي يا حرام
لامين البس التقصيرة والحزام
لاخشاب البيت ولا للحجر
لاحجار البيت ولا للابواب
راح وخلاني انا ابهم وعذاب
يارب صبرني على افراق الحباب
مثل ما ايوب قلبي قد صبر
ردت عليّ الدار اوعي اوعي تلبسي
من غياب الشمس نامي وانعسي
اه يا يما بختي ما اتعسي
روّحوا الغياب انا جوزي ما حضر
يما بنام الليل انا قاعدة اقعود
والشعر الاشقر امهدّل عا الخدود
يا من درا المحبوب علي يعود
طول علينا الزين والله بالسفر
انا نايمة بالليل بالتخت الهزاز
ومثل طفل ازغير ابيرضع عا البزاز
لاحرق جسمي انا ابنزين وكاز
ان روحوا الغياب وجوزي ما حضر
نا يمة بالليل وحدة باللحاف
والشعر الاشقر امهدف عا الاكتاف
بخاطري العشرة ولكني بخاف
يبوح بيا السر ويشيع الخبر
انا نايمة بالليل وحدي بالتخت
اخ يا يمة انا مالي بخت
لني بحر يافا يا ناس كان انا انشفت
لني حجر صوان كان قلبي انكسر
سابق المركب سريع اركب تعال
هدية عندي ثلاث اربع اشكال
بخاطري يا زين جوزي بالوصال
سايق عليه ربنا لا ايطول السفر

فمثل هذا النص يجد قبولا واسعا من المتلقين، ويردده كثير من الناس، ان كان النص بمجمله او بجزئياته، لانه يحاكي شريحة واسعة من الذين اكتووا بنيران الغربة والبعاد، لذا ترى مدامع من يسمعه أو يردده مدرارة، وتردف احداهن هازجة فتقول:

وأمسى المسا يا غريب واتقفلت البواب
وصار الغريب يلتجي من باب لباب

وتقول:

قمت من ديرتي وامسيت دالة
وشعرك زي حبل الشمس دالي
ولو يوجد في ها الدنيا عدالة
ما كانو ابعدوا عنا الحباب
نسوان بكيت خجل تاهت عن ادروبا
وشبان مثل النخل عا الجيش مسحوبا
تعوا تحلف لكم سورة على سورة
من افراقكو والنفس مكسورة

ومن قسوة الحكم هاجر الشباب لذا تسمعهم يقولون بأصوات ملؤها الشجن:

لما الكلب مرة حكم قلّو الأسد يا بيك
يا أحمر الناب والجلباب عبدك بين ايديك
خيل طردت خيل في وادي الصرار
ولي علمونا عا الحزن وحنا ازغار
ويا حسرتي طالت الغربة والعنا
وجوا الحشا بتظل تشعل نار
ويأتي صوت يجسد ألم البعاد:
أنا ابناحه وحبيبي ابغير ناحاي
وعلى الفرقة حمام الدار ناحاي
وهلي ما ابينفعني وانا حاي
اشو بدي فيه وأنا تحت التراب
محلى هوى بيتكم محلى قعودي فيه
ولولا هوى بنتكم ويش لي غرض فيه
ولو أن الهوى في اللحم لاقطعو وارميه
بس الهوى بالعظم ويش طالع بديا
طارت طيارة مدهونة ابزيتي
عيني في عينك ليش استحيتي
امك وابوك في قاع البيت

واشبدك من ابن الملعونا
على دلعونة على دلعونة سبالي قلبي اسمر اللونا
طارت طيارة مدهونة بصفر
عيني في عينك تمشي وتتمختر
امك وابوك قاعدين عا السفرة
واشبدك منو ابن الملعونة
على دلعونة على دلعونة سبتلي قلبي البنت المزيونا
طارت طيارة في السما تنشاف
عيني في عينك تسرع للفراش
امك وبوك من اكرم الناس
وشبدك منو ابن الملعونة
على دلعونة على دلعونة
سبتلي قلبي البنت الحنونا

وتقول احداهن:

ونا قاعد على الدرج ودموعنا مثل البرد
والحمد لله ياربي مابعد الضيق الا الفرج
ليلة سعيدة والقمر على داري
كلو على شانك يا هاشم يا غالي

بعد ذلك تتقدم احداهن، وقد اثر فيها الايقاع وتريد ان تعيد اللحن الشجي، الذي كانت الاخريات يرددنه فتقول:

إن جد السفر بالله اتخبروني
من تعب القدم يمشي على عيوني
إن جَدَّ السفر بالله اعلموا الحيات
من تعب القدم بمشي عالعوينات
ليش تتسافروا والتين على أمه
ليش ما ظليتّوا تتوكلوا منه
ليش تتسافروا والتين حامل تين

ومنهم من يشتم بلادا بمسماها لانها اخذت الشباب وحرمت اهلهم منهم، كما هو الحال مع امريكا:

يا امريكا ملعون ابوك ملعون منعت الشباب ادق على اليرغون
يا اميركا ملعون ابو اصحابك علمت الشباب ادق على ابوابك

يا امريكا ملعون ابو اهاليك طمعت الشباب ابكثرة مصاريك

وتردف احداهن والالم يعتصرها:

هاتوا هيا يارجال مصاري للاستقبال
يا مرة مفيش فلوس قالت طلقني في الحال
يا بتسافر عا الكويت يااما ابترعى العجال
وهاتوا هيا يا رجال مصاري للاستقبال
يا مرة مفيش افلوس قالت طلقني في الحال
يا بتسافر عا الكويت يا اما ابترعى الحجال
اذا عا العيشة موش قادر هيا طلقني في الحال
وصرت اهذي مع فقري وصرت ارودلو في الحال
يا مرة واعذريني البست الحطة بلا اعقال
يا مرة واعذريني البست الحذا بال اجراب
يا مرة وعذريني ماعندي اشتري هندام
مظلش اشي في الدار غير المنجل والغربال
يا بتسافر عا الكويت يا اما ابترعى العجال
مظلش اشي في البيت غير المنجل والجاكيت
يا بتسافر عا الكويت يا اما ابترعى العجال
كيف بدي أطلع على السوق جوز الجرابين مخزوق
وانت راجل بلا ذوق حول طلقني بالحال
كيف بدي أطلع الشارع ورمان صدري دالع
واليوم ماعندك مانع حول طلقني في الحال
يا مرة اشو جرالك المصاري ملا اجيابك
مالي ابحضرة جنابك كل يوم بوخذلي غزال

وتقول ايضا:

لبسوني جاكيت شلحوني جاكيت   في شـوارع الكويـت سلمـولـي عليه
لبسوني ذهبان شلحوني ذهبان   في شوارع عمان سلمولي عليه
لبسوني مريول شلحوني مريول   في باحات القصور سلمولي عليه
لبسوني فضة شلحوني قضة   في شوارع رام الله سلمولي عليه
لبسوني منديل شلحوني منديل   في شوارع باريس سلمولي عليه
لبسوني الماز شلحوني الماز   في شوارع لبنان سلمولي عليه
لبسوني حلق شلحوني حلق   في دارك يا غبق سلمولي عليه

لبسوني حرير شلحوني حرير في شوارع تل ابيب سلمولي عليه
شلحوني ذهب لبسوني ذهب في شوارع حلب سلّموا لي عليه
شلحوني ذهبان لبسوني ذهبان في شوارع لبنان سلّموا لي عليه
شلحوني نجوم لبسوني نجوم في شوارع هدروس سلموا لي عليه
شلحوني فضة لبسوني فضّة في شوارع بو عبدالله سلموا لي عليه
شلحوني أوراق لبسوني أوراق في شوارع العراق سلّموا لي عليه

لذا تسمعها تردد والدموع على الوجنتين، يشاركها من حولها من النساء كل منهن حسب مصابها، وهمومها، ومثل ذلك يرينا مدى الالم الذي ينتاب النساء اللوات يتغرب عنهن ازواجهن، وتوضيح العلاقة النفسية بين الزوجة وحماتها التي تعد عليها الانفاس والحركات والتصرفات، لذا نراها تتالم بحرقة وعذاب متداخلين، فتقول:

يما مابدي الكويت ابتبعد عني خلاني
يما مابدي الكويت على افراق اشو باكيت
والله لامزع الجاكيت وقددل الفستان
وما بعثلي برقية اقلي ابتيجي عليي
لاوقع في اكبر بالية وكسرلو الخزانة
راح اخلاني ما ايجوز وخلا عندي هل العجوز
يوم انها بدلي البوز ابتصبح مثل السعداني
بشوفوا في المنامات وبسهر مع الغنمات
ويبعث لينا سلامات وببقى وحدي سهراني
يما مابدي الكويت ابتبعد عني هل الخلان
من المغرب للصبح صوته اسهرني الولهان
يما مابدي الكويت ابتبعد عني احبابي
يتراوالي طول الليل بين اسطر القران
يما مابدي الكويت احرمتني الوسادة
دايمن سهران طول الليل اعد النجم وحداني
يما مابدي الكويت لياليها طويلة
مهما جابوا دولارات ظلت روحي تعباني
مهما جابوا دولارات نفسي ظلت تعباني

وتقول احداهن:

على دلعونا على البيادر لبسوه روزا وقميصو شادر

على دلعونة خمسة في ستة   لبسوه روزا وماعندو فتة
يا ربي أطلّع ياربي أطلع   قاعد في خُشّة والباب امخلّع
ياربي أطلّع على الفقرية   ورمي عليهم ورقة المية
يا ربي أطلّع ياربي واجي   لبسوه روزا ودايـر فراجي
يا ربي أطلّع ياربي لفت   لبسوه روزا وقميصو إمزّق

وتسمع اخرى تردد صوتا شجيا يظهر مدى الالم الذي تصنعه الغربة فتقول:

نزل دمعي على خدي ثلاثة   على الي سافروا يوم الثلاثة
ونا لعن عني فوق عني   على الي ابعد المحبوب عني
كذب من قال خيي مثل بيي   مثل الاب ما ايدلل حدا
ونا لعن عنات المنادي   على المحبوب قليبي بنادي
ولك يا زين لقعدلك ونادي   قبل ما انكون سافروا الاحباب
دارن لمت الشباب محلا الرقص جواها
يومن ترجع يا هاشم لحني كل ابوابها
دارن لمت الشباب يا محلا الرقص فيها
يومن ترجع ياهاشم لحني كل من فيها
رحل خيي ما اعلمني ولا يوم ذبل وردي ما فتح ولا يوم
الله لا ايهنيهم ولا يوم الي كانوا سبب افراقنا
ظليت اقاسي في هموم الدنيا ظليت
اه من عقر الدنيا ولها   واسقتني كاس حنظلها ولها
كل ما جيت الايمها ولها   اسقتني كاس امر من العذاب
ونا لدق صابر فوق صابر وقلبي على فراق الوطن صابر
وقلي يا قليبي كيف صابر صبرت وما صبر مثلك حدا

وتقول احداهن:

شفتو على البير بيصيد عصافيري يا جيزة الفقير غلبت التقادير
شفت على البركة بينوح وبيبكي يا جيزة الشركة ماكانت على بالي

وينشد الشاعر محارب ذيب بصوته الرخيم، وعزف ربابته الماتع قصة قالها على لسان احد المغتربين الذي كان يطمح ان تزهو له الدنيا في غربته، الا انه لم يتحقق له ذلك فعاد منكسر الوجدان، مجروح الروح معذبا في روحه ونفسه:.

فكرت اهجر دارنا واقعد سنة
وفكرت في ها الغيبة عم ارجع غني

هجرت بيتي ياخيي عشر سنين
ورزحت عا باب اهلي انحني
قال وجدت ابوي منحني اصار ظرير
وامي اخذها الموت عا ثاني دني
بيتنا خربان ما فشي حصير
والسعد مات ابيتنا واعمرو سنة
قال بعد الدلال امجوزي اختي فقير
ومن اولادها الهم قلبها منظني
اعايشي في هل الغيبة عا خبز الشعير
الحمتها من ثوب بالي امبيني
بتحط ابويي محلها جنب السرير
ترجع على اشغال بيتها تعتني
اخيي الي كان في المدرسة صاير اجير
امحروم من شم الهوى اشوف الدني
حالتو بالويل يشبه للاسير
ابعد الدلال حاكمينو الولدني
قلت وين اهل الشّرف واهل الظمير
اليوم لازم يعرفوني مين انا
فكرت في مشروع موضوع كبير
اخليت عيني للجهاد امكوني
قلت بلكي الي انعمى بصبح بصير
اجديت حيلي ابدي اجد واعتني

ونسمع من يقصد ويبكي على الحال الذي الت اليه الناس من بعد عز عاشوه، وحياة كريمة حرموا منها:

يا بيتنا المبني على التل	قل لي حبيبي ان كان غيري حل
يا بيتنا ها الغربة ذلتنا	وجسم الزمن بالويل ويلي حل
يا بيتنا يا الدافع بعهد الثمن	يا امعالق الايام ومداري الزمن
لو كنت عنتر بعد ما ضاع الشرف	كل السيادة اتكون عا ارض الوطن

ويقول اخر:

لفوا البارودي بيشرشف هندي
وليش البارودي حطوها عندي
ودخلك يا قاضي كامل افندي

اتـخـلـصـنـا مــن إلّـــي بـدهــن يـهـفـونـا

وتسمع من يقول:

علينا طيور هذي الارض ناحت وايات المجد عنا كثير ناحت
والك يا ابلادنا تمثال ناحت بقلبي اتحدد كل الاعصاب
اهل الدار بنو للدار قصة وحبال الي صفها الجد قصة
لارض بلادنا بالمجد قصة اذا تليت عاصم الصخر ذاب
جتنا يهود الارض تقصد السكن ايام
ملكت صروح لنا عامات نبنيها
هذي مسائل عبث ترفع لها احكام
وبعد دماء العرب الجسم جاريها
هتلر طردهم وقصده ايطهّر الالمان
من قوم انجاس كل الخلق تهجيها
يا بني اسرائيل ابشروا بالذل والخسران
العرب عن حقها لا شيء يثنيها
انتم حاجاتكم تنقضي على النسوان
والعرب حاجاتها بالسيف تقضيها (٥١)

ويقول الشاعر نوح ابراهيم مؤكدا على عروبة فلسطين وقضيتها، وعلى اللحمة الانسانية والشعبية بين ابنائها، اذ لا فرقة بين ابناء الشعب بسبب الاختلاف العقائدي، وانما اللحمة هي السائدة، والمودة بين الناس هي القائمة، لأن المجتمع العربي الفلسطيني من الشعوب المتالفة والمتجانسة اجتماعيا إلى حد بعيد، وان وجدت بعض الاعراق والاصول الوافدة في المجتمع، الا انهم ذابوا وانصهروا في المجتمع الفلسطيني، كل يكمل الاخر، فلم تحدث في فلسطين مشكلات او صدامات بسبب اصول الناس ومشاربهم، وانما الحياة تحتضن الجميع دون تمايز يذكر، لذا نجد ذلك واضحا ومجسدا في الادب بشقيه (الشعبي والفصيح) ، إذ سارت هذه الامور على وتيرتها المعهودة حتى حدوث الزلزال السياسي المتمثل في اعلان دولة الاغتصاب، وسيطرة الحركة الصهيونية على مقاليد الحكم في فلسطين، وتم ذلك بعد تخاذل القوات البريطانية المنتدبة لفلسطين، عن مواجهة الحركة الصهيونية وتنظيماتها المسلحة، ما ادى إلى تهجير مئات الالوف من الفلسطينيين العرب اصحاب الارض الشرعيين والحقيقيين، اذ اصبحوا لاجئين بالمقاييس كلها منذ الغدر المتجدد إلى ان تتم عملية التحرير الانساني للارض والانسان معا، لذا نجد الادب يفعل هذا الامر، ويجسد القيمة الانسانية للارض واصحابها على حد سواء:

يا قوم يا اهل العروبة ارفعوا الاعلام
من فوق ارض العرب من كل ناحيها

راية بني عيسى تالف راية الاسلام
الاوطان واجب من الاغراب نحميها
ياغرب نحن عرب من نسل قحطان
تاريخنا يعلمك احوال ماضينا

ويقول:

العمر سوا عايشين ما ايفرقنا ملة ودين
السوريين والمصريين والعراق وفلسطين
للوحدة العربية ساعيين واتحادهم قوي ومنيع
الدين والمذهب لله اما الوطن للجميع
راية راية عربية من اسلام ومسيحية
غايتنا وحدة قومية ومطلبنا مجد وحرية
وكلنا صافيين النية واتحادنا قوي ومنيع
الدين والمذهب لله اما الوطن للجميع (٥٢)

ويقول اخر:

يا ظلام: أفكار الناس ما ابتنربط بالمراس
ليش تسافروا شباب يا حلوين (٥٠)

إن هذه النصوص ومثيلاتها ترينا مدى التفاعل الشعبي مع الحدث الإنساني الذي ألمّ بالوطن، وكانت نتائجه سلبية على الوطن والمواطن بكل ما تعنيه السلبية من أمور، لذا نجد النصوص تحاول خلق حالة من التماسك الاجتماعي والتفاعل الإنساني حتى تتحقق الأهداف المعلنة والمرجّوة للشعب والأمة، لأن الأدب يفعل الحياة، ويجعلها مطواعة له، كما تفعل الحياة الأدب وتجعله منارة يستضاء بها، لانه أي الادب يلون الحياة كما تتلون النفس بالايجابيات، وهكذا تستمر حالات الدوران في الحياة .

وأما ما يخص الأمور التربوية والوعظية، فلم يغفلها الأدب المحكي، وانما جسدها وأعطاها مكانتها في القول والفعل على حد سواء، لذا نجد الشاعر محارب ذيب قد نظم قصيدة مليئة بالحكم والقيم التربوبية الأنسانية، أوصلها للناس دون اسفاف أو عناء، من خلال لحن ايقاعي خاص به، وقد لقيت رواجا فاعلا دون تنميق، لأنها تحاكي قيما تربوية انسانية، دون النظر إلى مكانة المخاطب أو المتلقي، لأن القيم تكون شاخصة في الأذهان تحتاج إلى من يميط اللثام عنها، أو يزيح الغبار ويجعلها في متناول المريدين بعد تفعيلها:

قال: ولا يكسب الا من يصلي على النبي	**أذكــر الـنـبـي بـخـزي لـعـين ابـلـيس**
ألا يا سامعين القول أصغوا لقصتي	**أشــوفــوا مـعـانـيـهـا مـع الـتـشـخـيـص**
عـلـى الألـف ألـفـت المـعـانـي لطالبـه	**ومــن خــاض بـحـر بـالـغـرام وغـيـص**

البـاء بـرك لا اتـبـطـل لـبـذلـه … أداوم عبـنـك دوم بـالـتـحـمـيـص
ألا يا ناس درب البخل عار على الفتى … أمـن غيـر ما يـقـولـوا افـلان خسيس
الـتـاء لا تـأمـن عـلـى المـال خـايـن … لـو اتحلفـه عـنـده اليـمـين ارخـيـص
أردي الخصايل ما بدشر خصايله … الطبع تحت الـروح بالتخصيص
الثاء ثبت لك لفظ تمنعك من الزلل … وحـافـظ عـلى الـتـزويـد والـتـنـقـيـص
بلا شك أن الفشر عار على الفتى … أبخليك مابين الرجال رخيص
الجيم جارك لا تجافيه وتجحدا … ولا يجحد الجيران الا ابليس
وصى النبي عا الجار من عهد ادم … أحيا كلام الغانمين النفيس
الحاء حيي الظيف لن جاك زاير … اظحك ابوجهو لا اتكون عبيس
الجواد بزهو مثل الورد ع الندى … ولهذال مثل الشوك لما يبيس
الخاء خلي الناس تذكر خصايلك … أبالخير ما هو بيه كلام ابخيس
عرض الفتى مثل القزاز اذا انشعر … أحافظ على عرظك من التدنيس
الدال داري الناس تأمن شرورهم … أخذ ما استطعت من الأنام جليس
الذال ذل النفس لله وحده … أبمحص ذنوبك هو غدا تمحيص
النفس مثل النار لنهبها الهوى … تشعل على الأخضر مع اليبيس
الراء راح العمر وللى وانقضى … أعمر الفتى بعد الشباب خسيس
ألا يا خال أيام الصبا يا حلاتها … أبقينا ع خير ونلعب البرجيس
والزاي زود النفس امن الخير واجتنب … أحافظ على جسمك من التدنيس
ان شارت عليك النفس بالخير يا … ترى الهم متلبس بها تلبيس
فتى السين سيفك لا ايفارق اوسادتك … أخليك صلب امن الرجال حريص
ترى عدوك ما بدشر عداوته … أفي الليل بسري أفي النهار ابليس
الشين أهل الشور عمرت ابلادهم … أخرب البلاد العامرة التخبيص
احنا اللي من يوم كثروا شوارنا … رحنا قطايع والمليح احبيس
الصاد صون السر عن ساير الملا … أخليك من مكر الرجال حريص
لا اتأمن الغدار امن الناس تندم … مثل الحصيني دايمن بليص
الضاد ظليلين العقول المعارة … أعمرك بعشرتهم ايروح انقيص
الطاء طب الجسم بالخير يا فتى … أطب الجسم بالحفظ والتدريس
الله بحصي للخلايق أعمالهم … ما ظنش ميزان الحساب خسيس
الظاء لا تظلم ترى الله يظلمك … أبعد الصعود بنزلك تنقيص
خاسر رجل عزام جزام عالصبا … أغفار زلات الصديق أنيس
العين عادات الجواد النفايل … يعطوا الكحيلة والمهرة والسييس
أما ردي الخال يلعن اطبايعه … وتقول ايدة امخيطة اب مصيص
الغين غربتنا في البلاد كلها … امن لفراق صار العمر تعيس
الفاء فيهم مثل لجواد بالسخا … أ لنشاف جوده حل باب الكيس

القاف قلنا الصبر يشفي امن الالم	صبرنا كما صبرت سواد العيس
من يأمن الدنيا ايذوق مرارها	ترى الصبح ظلمة والليل دميس
الكاف كون اب قسمة الله مرتظي	أرزقك من الدنيا كفن وقميص
لو انك تملك ألف مليون امن الذهب	لازم تسكن في اللحود جليس
اللام لم الشمل أحلى امن الذهب	وتكون سيد على الكون رئيس
الميم من لا يتقي الله يندم	أنظر إلى يعقوب وخوه العيص
العيص جاب ال بده دربه على الشقى	أيعقوب جاب السبط بالنفيس
النون نار الوجد حرقت ظمايري	أمن الشوق كأني لسيع قريص
ان كنت أنا جالس براعي خيالهم	ولن نمت بشوفهم ب لحلام هجيس
الهاء هداك الله خذلي هل سالفة	على ظهر سلطان لطيور خصيص
النسر على شيل الرسايل امجرب	أمن عهد سيدنا الأمام ادريس
الواو وديها على ديرة أهلنا	أمن بعدنا اصحوا الكلام ايخيص
الياء يا رحمان افرج اهمومنا	ولمنا في ابلادنا تنكيص
ان كان أخطينا أصلي على النبي	صلوا على من شرف الأرض لكروم

ما تقدم يرينا أن الأدب تداخلت قيمه مع عنوانات الحياة المختلفة، فلم يبق مدخل فيها الا والأدب زينه بما يستشعره الأديب، أو خطط نظمها بم يتفق وانسجام الروح والفكر معها، فيكون النماء الفكري والصراعات الفكرية والعقدية لها مساس بالحياة هي الأخرى، لذا نجد ما يمس الفكر ويعرف الناس بالأيدولوجيا قد جسده النص الشعري الشعبي، وتناقله الناس فيما يتناقله من أقوال ما يمايزه عن غيره من الأشياء، وهذا يعني ان الايدولوجيا اثرت في النص الشعري، كما نجد النص الشعري يحمل الايدولوجيا ويوصلها إلى نفوس الناس وعقولهم، لذا نجد بعض الشعراء المؤدلجين يقرون باهمية الفكر، ويفعلون ذلك في نصوصهم كما فعل راجح السلفيتي وغيره، عندما تغنى بذكرى عيد العمال العالمي وما تحمله من دلالات متعددة:

عيد الاول من ايار	العامل ابدمو صانو
نادى عنا كل الشعار	كل واحد يعلا حصانو
نغم الزجل ما هوكار	وكل من الو اوزانو
ها السلفيتي هالختيار	قليل تا يعثر لسانو
بحييكو اكبار وزغار	ويهديكم من وجدانو
مرحب باول ايار	العامل بدمو صانو
طل علينا دار بدار	والوحدة في احضانو

ويقول قولا يقر فيه مشاعره وافكاره دون تنميق وخوف:

اسلاح الوحدة امضى سلاح	اسمع مني يا غالي
عيد العامل والفلاح	عيد الايدي الشغالي
من عمال وعاملات	في جميع الماجالات
هالزنود المفتولات	وخلي الراية في العالي
الايدي العمالية	بكل الكرة الارضية
ضد هالراسمالية	تانقضي عالراسمالي
دفع الاجرة والاجور	في ايدي اهل القصور
مابدي العيشة في قصور	فخمة مع العلالي
بكرة نوخذ حق الاكواخ	من ابو القصر العالي
عمالك يا كفرعين	في اول العاملين
من سنة ولا سنتين	ما رضيو بها الحالي

ويقول ايضا:

نؤيدكم في الميادين	عا اسرائيل اللعينة
قل لشراذم الاحباط	والاحقاد الدفينة
اعلنا في عشرة شباط	حزب شيوعي فلسطيني

ويقول مظهرا الاعجاب على لسان المرأة المنخرطة في الفكر الشيوعي تدافع عن من يؤمن بأفكارها، من خلال عملية الأقتران بشريك يؤمن بالافكار والقيم ذاتها، اي ان العملية تبادلية، اذ لا فرق بين الذكر والانثى في عملية الانتماء الفكري، واختيار الشريك الذي يفعل القيم عن قناعات تبادلية وليست تجملية، فالشاعر هنا يجسد صورة المرأة الباحثة عن المناددة، ويتعاطف مع ما يرينا أنه يصبغ عليها من نفسه المتجاوبة مع الحدث، والمؤمنة بالقيم ذاتها التي يؤمن بها الشاعر نفسه، فيقول:.

قالت يا يما لو تدري مين الي عاجبني
اللي انبهني بدري ويظل اراقبني
يسايرني ويحفظ لي قدري بس احاسبني
هوا لينيني في الفكر ودمو فلسطيني

نظن ان مثل هذا الامر اقحام في الفن الشعبي، وفيه تجمل وتجميل للفكرة التي يدافع عنها، وان جاءت بصورة باهتة لا تلقائية فيها، اي ان الصناعة اللفظية هي المسيطرة، لما تحمله افكار الشاعر الشعبي من اشياء بعيدة عن البيئة والثقافة والعادات والتقاليد والاهم من ذلك التباين العقدي بين الناس والشاعر الذي يصدح لينتصر لفكرته، اكثر

من التلقائية المعهودة في الفنون القولية الشعبية. ولم يكتف بما جاء به من ترويج للفكر اللينيني، وانما نراه يستكمل العروة حتى يجسد ما تبقى من صورة يحملها، فتأتي صورة ماركس إلى جانب الصورة اللينينية تحملان استبطانات النفس للمنشئين اكثر من المتلقين، لان المنشئ هو من يبحث عن هذه الافكار التي يراها صالحة كي يضمنها في الموروث القولي الشعبي، او تكون الاهازيج الشعبية اداة توصيل لهذه الافكار اكثر منها اداة خاصية تفاعلية، لأن ما يتناقله العامة يكون أكثر فاعلية في الحياة، وأقرب الىمفاهيم الناس وقيمهم، وان خالفت تلك الأشياء معتقداتهم، فما يستسيغه المجتمع بكلياته يبقى مختمرا في الفكر والذاكرة، وتردده الألسن وتصدح به الحناجر، حتى يصبح مادة يومية من اليسر والسهولة الحفاظ عليه وتفعيله في الحياة بشكل عام، أما ما يكون بعيدا عن قيم الناس وعقائدها وثقافتها لا نجده يعيش بديمومة ولا بتنام مهما قل أو كثر مروجوه، لأن عملية الترويج هنا تكون مقصودة وليست تلقائية، لأن التلقائية تنبع من حياة الناس البسطاء غير المؤدلجين، لذا نجد بعض الشعراء الشعبيين يقحمون أفكارهم في نصوصهم، ما يجعل النصوص مثقلة بالفكرة، ولا نتلمس فيها المشاعر الفياضة، أوالحميمية التي تمتاز بها كثير من الفنون القولية الشعبية، وهذا ما نتلمسه في نصوص راجح السلفيتي على وجه الخصوص:

شعار المنجل والشاكوش	شعار الماركسية
شعار تقويض العروش	بين صباح وامسية
بين العامل والفلاح	اشهرنا كل السلاح
يا ترومان لا تزيد انباح	النصر للشيوعية
بيفن عا الملايو يصيح	يصرخ لربو المسيح
الشعوب عم بتصيح	اخرج من اسيا الشرقية

على الرغم من نبل بعض القيم التي تشغل بال السلفيتي، الا انه ينطبق عليه القول الماثور (يحج والناس عائدون) ، كما نراه يمجد كثيرا من الاعمال والمسميات، وهذا ما هو الا هاجس يحدو اصحاب الرؤى التي يرونها قريبة من افقهم المستنير بقيم قد تحمل قيما ايجابية، الا أنها لا تطبق في أرض الواقع، وهكذا نرى الأفكار الهجينة والألحان المصطنعة، لأن ما يأتي به السلفيتي وأقرانه يحتاج إلى بيئات مختلفة، وشعوب قد خبرت الصراعات العقدية والأيدولوجية، لا شعوب مثقلة بالهموم والتسلط وكل همهما البحث عن لقمة العيش، لأن نخبها أفلست منذ زمن بعيد حيث الانتهازية والتسلقية والنفعية هي من تسيطر على مقدرات الناس، اذ لم يبق للفكر وجود في الحياة، لأن الفكر التربوي معطل أومشوه، والفكر السياسي مغيب لا يستعمل الا عندما يلبي مصالح النخب المطعونة من ذاتها وفي مقدراتها وقيمها، او نرى من تربى على بعض الأفكار والقيم التربوية والفكرية، غدا يقود النفعيين، ويستنفع أكثر من غيره، ويعيد عجلة الحياة الىالصراعات الأسرية والعشائرية والقبلية والمناطقية والشللية، فتكون النظم السياسيه أوهى من خيط العنكبوت

إذا انسحب، ويصبح الانسان رخيصا، سهل القيادة سريع الانحراف، ما يرينا نصوصا باهتة كما الذين يطالبون بحياة باهتة، وهذا لا يعني ان السلفيتي كان باهتا في مسعاه، وانما نجد نصه مصطنعا لا يعبر عن حقيقة الناس سلبا أو ايجابا، فنسمعه يقول:.

بكفوف تعجن الحديد	راح نبني عالمنا الجديد
ونرسم خطى الغد السعيد	عا وهج نار امشعللي
يا فلاحين يا عمال	هبو سوية للنضال
تا نقضي عا الاستغلال	وعهد الجشع والاسملي
اتحدوا يا سمر الزنود	وللمعركة كونوا الوقود
ما ابتخسروا غير القيود	والربح دنيا كاملة
اقدم يا خيي في الشقا	نعزف سوا لحن البقا
انت ابهدير المطرقا	وانا برنين المنجلي

فمثل هذه النصوص ترينا الاثر الفاعل للايدولوجيا والفكر بانماطهما المختلفة على النص القولي الشعبي، لذا لم يزل بعض الفنانين يحمل في نفسه انماطا من الحنين لما خلا من سنوات حملت في طياتها كثيرا من الاشياء، ويعتقد اهمية هذا الحنين المتجدد الا انها نوازع انسان قد تتجدد وقد لا نجد فيها بعضا من حياة، اي تبقى حبيسة الذاكرة، علما ان الاغاني الشعبية المرتبطة بالمد الشيوعي او تاخذ المنحى التفكيري للفكر المادي لم يعد الناس يتغنون بها، او يرددونها لأن بريقها خفت بل وانعدم من حياة الناس، وان وجدت الصدى العميق في عقدي السبعينيات والثمانينيات، اما الان فما هي الا ذكرى تبقى حبيسة الذاكرة والوجدان، بمعنى لم يعد لها مروجون ولا متفاعلون ولا حتى شعراء منشؤون، لان عجلة الزمان استدارت ولم تعد إلى الوراء، فقل للزمان ارجع يا زمان !!!!! .

الخاتمة:

بعد أن شخصت الدراسة في النور، وبعد التمعن في النصوص القولية الشعبية المغناة،يتضح للباحث، أن الفنون الشعبية القولية في فلسطين فنون أصيلة نابعة من هم الشعب، ومقومات الأمة الثقافية والفكرية،،وهي متعددة بتعددالموضوعات الأصيلة التي قيلت فيها وبها،؛ ما يعني أننا تعرفنا بنصوص تظهر حالة من الفرح والتجاوب مع الحياة في مناسبات متعددة،بدءا من مراحل الطفولة المبكرة وفنونها القولية إلى الختان والزواج والحناء والسياسة والحصاد والعمل، وغير ذلك من فنون احتفى بها الناس بعدما شخصت حياتهم وفعلتها إلى حد بعيد.

إلا أن هذه النصوص بكل ما تحمله من قيم وإبداعات متعددة،، لم تعد موجودة أو مفعلة في الحياة،، وإنما نجدها حبيسة ذاكرة أجيال عاشتها، أو حبيسة صفحات سودتها أيدي الباحثين والدارسين،. أما تفعيلها في الحياة فبدا يتلاشى؛ لأن عملية الإحلال المقصود ضيعت ما صنعته الأجيال السابقة من فنون قولية وغيرها،، فما عادت الأفراح هي الأفراح التي كانت تقام قبل سنوات ليست طويلة،،ومظاهر الزواج والحناء والخطوبة، وغيرها من طقوس بدأت تتلاشى، ولم يبق منها سوى الرمزية فقط،؛ فما كان يغنى للأطفال -مثلا -لم يعد مفعلا،؛ لأنه حل محله المسلسلات الوافدة والبرامج المعدة خصيصا للأطفال،،وكذلك الأغاني في ايام الخطوبة والكسوة والحناء والزفاف لم تعد مفعلة كما كانت،؛ لأن ما يسمى بالأغاني الحديثة تسد مسد تلك الفنون التي ولدت من رحم الأمة والجماهير،؛ لأن البرامج المعدة للصغار والكبار على حد سواء تصل إلى الناس بوسائل شتى أهمها وأكثرها تأثيرًا الشاشة الفضية وشبكة المعلومات العنكبوتية، والكوابل المحورية طمست كثيرا من معالم التراث القولي للفنون القولية الشعبية،.بذا يكون الشعب قد خسر أحد مقوماته الثقافية، ألا وهو الثقافة الشعبية،، وحل محلها البديل السلبي الذي ينتزع الطفولة من عوالمها وثقافاتها ومحيطها العربي والإسلامي،، ويوصلهم إلى مرحلة من الانغماس في الثقافة الوافدة المعدة والمصنعة لمثل الدور الذي أنيط بها؛ لذا يرى الباحث أن لابد من الحفاظ على الموروث الثقافي العربي في فلسطين،، ووجوب تفعيله في الحياة، وتقديمه بصورة إنسانية إيجابية، وتنميته حتى يستطيع مقاومة الثقافات الوافدة والهادفة إلى تدمير البنى والرؤى عند الشعب العربي الفلسطيني،، إن كان ذلك مقصودا أو غير مقصود،؛ لأن الثقافة النابعة من رحم الشعب والأمة تستطيع الثبات، ويستطيع أبناؤها تفعيلها في الحياة،، بينما الثقافة الوافدة والمصنعة حسب منطلقات العولمة الكلية لا تبني مجتمعات سوية،، وإنما تهدم ما بني من نظم ومثل وقيم على مر العصور،، لإحلال قيم مصنعة تصنعها أدوات النظم المسيطرة على الاقتصاد والثقافة وموارد الحياة الأخرى.

لذا نقول .... إن الثقافة الشعبية في فلسطين في طريقها إلى الزوال أو الاضمحلال والركود،؛ لأنها لم تعد مفعلة في الحياة كما كانت،، ولأنّها تقع بين مطرقة المنافسة للثقافة الوافدة،، وسندان الإهمال لعوامل متعددة،، إن كان ذلك مقصودا أو غير مقصود،؛ فالفنون الهابطة هي التي تسمّع للناس وتجد الترويج الإعلامي بكل أنماطه المختلفة،، وتلك الفنون تعيش مع الناس إن أحبها بعضهم أو كرهها الآخرون،؛ إذ لم يعد الفن الملتزم – إن كان شعبيا أو غير شعبي- فاعلا ومفعلا في الحياة،، وإن حاول بعض المغنين إحياء بعض الألحان التراثية، أو الأصوات التراثية. إلا أن ذلك لا يكفي ولا يفي بالغرض،؛ لأنهم -في كثير من الأحيان -يدخلون الموسيقا الصاخبة مع الأداء السيء؛ ما يعني تفتيت أواصر اللقيا مع النص الشعبي أو غير الشعبي ما دامت الفنون الهابطة هي المروج لها والممولة والمصنعة والموجهة حتى تحل محل الفنون التي تحمل الإرث الإنساني الإيجابي، لان هذا الارث وغيره من الثوابت هي من اسس الضمان الفاعل لابقاء التواصل والتفاعل مع الحياة مستمرين، ما يعني الوضوح التام في الفلسفات البناءة التي يحاول الهدامون هدمها او تحييدها وتجميد العمل بها في ابسط معايير المكيدة.

الهوامش

١. عبد القادر فيدوح، أغاني أطفال البحرين الشعبية، دراسة في التأسيس والتأصيل، مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، العدد الثاني، ٢٠٠٨م، البحرين. ص٨٦ وما بعدها.

٢. سيمون ديورينج، الثقافة الشعبية والعولمة، الثقافة العلمية، ترجمة غادة سعيد الحلواني العدد/٩٣/ مارس ابريل، ١٩٩٩م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت ص٣٢.

٣. المصدر نفسه، ص٣٥.

٤. المصدر نفسه، ص٤٩.

٥. فيصل دراج، الثقافة الوطنية والثقافة التابعة، من كتاب الشعبية الثقافية: مفاهيم وأبعاد، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩، جمهورية مصر العربية، ص٤٥.

٦. أحمد أبو زيد، هوية الثقافة العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، عام ٢٠٠٤م. ص ٦/٥

٧. زينب حسن، الفلكلور الفلسطيني في بعده العربي، صامد الاقتصادي، العدد (١٤٢) السنة (٢٧) تشرين الاول. تشرين الثاني، كانون الاول، (٢٠٠٥) ، ص٣٢.

٨. فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟ القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م، ص٣٦.

٩. السيد حافظ الاسود، التراث الشفاهي ودراسة الشخصية القومية، عالم الفكر، القاهرة، مجلد (١١٦) العدد الأول، ١٩٨٥م، ص٢٧١-٢٩٤.

١٠. الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت ١٩٩٠م، ينظر فيكتور، سحاب الحياة الشعبية في فلسطين، ص٦٨٢.

١١. سليم عرفات المبيض، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٨.

١٢. عبدالهادي عباس،، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها،،ج٣،ط١ ،دمشق ١٩٨٧ م ص٥٤

١٣. خليل حسونة، الفلكلور الفلسطيني دلالات وملامح،المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي،٢٠٠٣م ص٣٨٧

١٤. احمد رشدي صالح،الادب الشعبي،ط٣،مكتبة النهضة المصرية،١٩٧١،ص٢٢٣

١٥. جميل السلحوت ومحمد سالم شحادة،صور من الأدب الشعبي الفلسطيني،منشورات الرواد،القدس،١٩٨٢م،ص١٠

١٦. الفلكلور الفلسطيني،ص٣٤٨

١٧. العطاري،٢٠٠٨م،ص٢٦٤

١٨. محمد سعيد جبر، أفراحنا الشعبية،تقالبدها ودلالاتها،مجلة التراث والمجتمع،العدد،١٩٨٢،١٦م،ص١٠٤

١٩. بنورة،ص١٢

٢٠. م.ن ص١٣

٢١. المرأة والأسرة، م س،ص٥٥

٢٢. أفراحنا الشعبية،ص١٠٤

٢٣. الفلكلور الفلسطيني، ص٢٣٧

٢٤. العطاري،ص٢٥٦

٢٥. م.ن ،٢٦٦

٢٦. انظر عيسى خليل محسن الحسيني،دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني،التراث الغنائي،ط١،دار جرير للنشر والتوزيع،عمان الاردن،٢٠٠٦م ص٢١١.

٢٧. م.ن.ص٢١٥

٢٨. انظر،م.ن ص٢١٦
٢٩. م.ن.ص٢٢٢
٣٠. نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين،معجم العلوم الاجتماعية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٥،ص٣٧٧
٣١. دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني ص١٨٢
٣٢. فاروق أحمد مصطفى،الانثروبولوجيا ودراسة التراث والمجتمع،دراسة ميدانية،دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٨م ص١٧١
٣٣. انظر بسير بورديو،ط١٩٨٤م،نقلا عن التبعية الثقافية (مفاهيم وأبعاد) ط١ دار الامين، القاهرة،١٩٩٩م،ص٣٠١
٣٤. دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني،١٨٣
٣٥. أحمد أبو زيد، الأساليب الشعبية دراسة تحليلية لآراء ويليام جريهام (سمنر) دراسات في الفلكلور،دار الطباعة للثقافة والنشر،١٩٧٢م ص١١٩
٣٦. دراسات في الفلكلور الفلسطيني ص١٨٣
٣٧. سهام ترجمان، يا مال الشام،دمشق،١٩٦٩م ص٥٠
٣٨. هاني العمد، أغانينا الشعبية في الضفة الشرقية من الأردن، الأردن،١٩٦٩م ص١٣
٣٩. عمر الساريسي،كلمات في المأثورات الشعبية،رابطة الكتاب الأردنيين،عمان، الأردن، ١٩٨٣م ص٢٥
٤٠. دراسات في الفلكلور الفلسطيني ص١٨٤
٤١. نهى قسيس نفل، فرحة الاغاني الشعبية الفلسطينية، ط١، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م ص١٣٣
٤٢. غوستوف دالمان، ديوان الشعر الفلسطيني، ج٢، ط١، دائرة الاعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ترجمة نمر سرحان، بيروت، لبنان، ص٤٦
٤٣. علي الخليلي، اغاني العمل والعمال في فلسطين، دائرة الاعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص٦٥
٤٤. عبدالرحمن ياغي، حياة الادب الفلسطيني الحديث، ط١، المكتبة التجارية، ١٩٦٨م ص٢٦٢
٤٥. فرحة الاغاني الشعبية الفلسطينية، ص١٧٨
٤٦. وليد ايوب، قصيدة مقهور، مجلة الزاوية، مجلة فصلية ثقافية، العدد٣/٤، ربيع، شتاء، ٢٠٠٣م، رام الله، فلسطين.
٤٧. دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني، ص٢٦٧
٤٨. جميل السلحوت ومحمد سالم شحادة، صور من الادب الشعبي الفلسطيني، ج١، منشورات الرواد، القدس، ١٩٨٢م، ص٣٦
٤٩. انظر للمزيد، دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني، ص٢٥٧ وما بعدها
٥٠. انظر للمزيد، عبداللطيف البرغوثي، راجح غنيم السلفيتي، جامعة بير زيت، ١٩٩٤ م، ص٣٦٨ وغيرها.
٥١. دراسات في الفلكلور الفلسطيني، ص١٩٤
٥٢. انظر للمزيد، وليد ابو بكر، القضية العربية في الشعر الشعبي الفلسطيني، مجلة الزاوية، مجلة فصلية ثقافية، شتاء، ربيع، ٢٠٠٣م ص١٢٠ وما بعدها.

المصادر والمراجع

١. احمد ابو زيد، الاساليب الشعبية، دراسة تحليلية لاراء ويليام جريهام، (سمنر) دراسات في الفلكلور، دار الطباعة للثقافة والنشر، ١٩٧٢م.
٢. احمد ابو زيد، هوية الثقافة العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.
٣. احمد رشدي صالح، الادب الشعبي، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م.
٤. السيد حافظ الاسود، التراث الشفاهي ودراسة الشخصية القومية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١٦، العدد الاول، القاهرة، ١٩٨٥م.
٥. الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
٦. بسير بوردويو، ط ١٩٨٤، نقلا عن التبعية الثقافية (مفاهيم وابعاد) ط١، دار الامين، القاهرة، ١٩٩٩م.
٧. جميل السلحوت ومحمد سالم شحادة، صور من الادب الشعبي الفلسطيني، ج١، منشورات الرواد، القدس، ١٩٨٢ م.
٨. حافظ الاسود، التراث الشفاهي ودراسة الشخصية القومية، مجلة عالم الفكر، العدد الاول، مجلد ١١٦، القاهرة، ١٩٨٥م.
٩. خليل حسونة، الفلكلور الفلسطيني دلالات وملامح، المؤسسة الفلسطينية للارشاد القومي، ٢٠٠٣م.
١٠. زينب حسن، الفلكلور الفلسطيني في بعده العربي، مجلة صامد الاقتصادي، العدد ١٤٢، السنة ٢٧، تشرين الاول، تشرين ثاني، كانون الاول، ٢٠٠٢ م
١١. سليم عرفات المبيض، ملامح الشخصية الفلسطينية في امثالها الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠ م.
١٢. سهام ترجمان، يا مال الشام، دمشق، ١٩٦٩ م.
١٣. سيمون ديو رينج، الثقافة الشعبية والعولمة، الثقافة العلمية، ترجمة غادة سعيد الحلواني، العدد ٩٣، مارس ابريل، ١٩٩٩ م.
١٤. عبد الرحمن ياغي، حياة الادب الفلسطيني الحديث، ط١، المكتبة التجارية، ١٩٦٨ م.
١٥. عبدالقادر فيدوح، اغاني اطفال البحرين الشعبية، دراسة في التاسيس والتاصيل، مجلة الثقافة الشعبية، مجلة علمية متخصصة، العدد الثاني، البحرين ٢٠٠٨ م.
١٦. عبد الهادي عباس، المراة والاسرة في حضارات الشعوب وانظمتها، ج٣، ط١، دمشق، ١٩٨٧ م.
١٧. علي الخليلي، اغاني العمل والعمال في فلسطين، دائرة الاعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية، ط٢، لبنان، بيروت، ١٩٨٢ م.
١٨. عمر الساريسي، كلمات في الماثورات الشعبية، رابطةالكتاب الاردنيين، عمان، الاردن، ١٩٨٣ م.

١٩. عيسى خليل محسن الحسيني، دراسات في الفلكلور الفلسطيني، التراث الغنائي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٦ م.
٢٠. غوستوف دالمان، ديوان الشعر الفلسطيني، ج١، ط١، ترجمة نمر سرحان، دائرة الاعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان.
٢١. فاروق احمد مصطفى، الانثربولوجيا دراسة التراث والمجتمع، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨ م.
٢٢. فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو ؟ دار المعارف، ١٩٦٥ م.
٢٣. فيصل دراج، الثقافة الوطنية والثقلفة التابعة، من كتاب الشعبية الثقافية مفاهيم وابعاد، دار الامين للنشر والتوزيع، ط١، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٩ م.
٢٤. محمد سعيد جبر، افراحنا الشعبية تقاليدها ودلالاتها، مجلة التراث والمجتمع، العدد ١٦، ١٩٨٢ م.
٢٥. نخبة من الاساتذة المصريين والعرب المتخصصين، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م
٢٦. نهى قسيس نفل، فرحة الاغاني الشعبية الفلسطينية، ط١، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠ م.
٢٧. هاني العمد، اغانينا الشعبية في الضفة الشرقية من الاردن، الاردن، ١٩٦٩ م.
٢٨. وليد ابو بكر، القضية العربية في الشعر الشعبي الفلسطيني، مجلة الزاوية، فصلية ثقافية، العدد، ٣/٤، شتاء، ربيع، رام الله، فلسطين، ٢٠٠٣ م.

ملحق

نشوة البذار

﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء
اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج﴾ سورة الحج الآية (٥)

لم تخطئ أذناي وهواجسي في مدار الأفق تدار
عندما قرع باب دارتنا
وتاهت قدماي في ردهات المفروض
أنا حمو رابي احمل وصايا نبوخذ نصر وأفكار آشور بنيبال
وقلبي يفوح منه شذا الفرات وعبير دجلة الأخاذ
نسدلها نلملم النظرات المكسورة وآهات الشحوب
نبلسم جروح الكنعانيات بموسيقانا وصهيل النخيل
والمزن الممطرة ترمقنا بكامل محبتها وعناق الجنين
اصف الغياب بدموعها وعلائق المكان
رحيق الشهب خيمت نرجساتها بين الغيوم
هواجس اليقين صارت سياجات الاستتار
يا هواه خيم في دموع الرواق
نداءاتنا تتجدد في الفصلين
الخريف والربيع يتجاذبان أطراف الحديث
الفكرة تخرج الصيف والغياب يدوم في الشتاء
زغرودة الضفدع تومئ أن الأقمار في الوادي تنادي الغبوق
التقاويم تتباين في بدايات التكوين
سقوط الأمطار يبهج الوثني والديني والعشاق
يا قلبي!!! الدين لله والوطن حاضنة للجميع
مطر الفتوح يديم البهجة في مواويل الرعاة
أوسمت دنيانا والخضر الخضر يتجول في المكان
في عيدك لد يشد الفلاح شد ويهزج المتعبون
شد شد قربت الرملة ع اللد ويتنادم الهلال والصليب في اليقين

ووفرة الحرث تنادم البربارة في الميزان
استعضنا عن الحوارات بالتحدي
شتي وزيدي بيتنا حديدي
يا وافدون لا تفرحون فشمس كانون مثل الطاعون
نسائم دمعها تروي عفيرنا في الميادين والخلال
والعدس يغدو للاولاد من فرط التجهم والغياب
وكن عند اهلك يا مجنون ففي كانون يستتر النسيم في الوصول
الجسم منفي عندما لايكون الثلج ملح الأرض
والبذار آلغطاسي قبل الأوان يكون في اللقاء
وشبط البذار في شباط يعانق الزرزور
الجدران المتداعية تسندها أغصان الطيون
والهواء يغادر مشاهدنا يحتمي برائحة الطليع والدحنون
والشومر يجالس الضوء الهارب من صنعاء إلى لبنان
والميرمية تعطر نوافذ منازلنا مع همسات الشجيرات
القرصعنة يلاشيها النعاس وتتقالب الصفحات
عصا الراعي ندمت ندامة الكسعي ومسرات الصغيرات
كان يكفي أن يقف الكناري منشدا مع نقار الأخشاب
يتلذذان بمذاقات القيقب وأزهار الزيزروق
في اللوحة تتثاءب الرجيلة والفرفحنة وبازيلاء الظنون
هنا المسافة تتوسطها الابّارة مع تسابيح البرّيد
لا احد عند الباب لان الغار يظلل الكرسنة والهبيط
يا زكاة الجرن وخبز الطابون ورقائق خبز الصاج
بين أقزام العتمة احتمي برائحة التفاح الشامي والجندول
المسافات ترتسم العسيلي وعين أبي ناظم والمزراب
المحبون يتهادون قرن الخروف وخضرة الزعمطوط
أرى السنابل تغازلها مناجل الحصاد
تهزج الأيدي منجلي يامن جلاه يا مغمر يا حزين
ونغني خلف أسراب الصبايا بالقهقهات منعمين
مشين ما معهن حدا دادي دادي
ومشين على اثر الندا والبرادي
وتعيد النسوة ما اثر عن السابقات في الحقول
وتهلهل بعد المواويل العديدة وتقول
ليّ وليّ ياابنيّة يا واردة ع الميّة
أمّك وأبوك قالوا ع العين بتملّيّ ميّة

نزلت على الصّفصاف تشرب حليب وصافي
نزلت على حلّتها ربّي محلا بسمتها
وتتناغم خطى الصبايا وتنقلات الحور من الظباء
والذاكرة تعود إلى طروادة المتجددة في النسيان
الجرح البليغ في رأسي يمخر البحر ويقاتل عن يديّ
وأنا في ظلمة الليل ترقد الحوريات في موق العيون وتقول
شوك بلان وادراق وكرسنة ما تلين
تسمعنا جلبة أواني مبيض النحاس والقدور
معاطفها على مشاجب الفلاحين وعجائب العجاب
اسمع نداءها المكتوم وصياح الديك يعانق حلم الفلوات
من اليوم تعفرنا بعطر القرطة والذرة البيضاء والصفراء
أنا القمح –برمح رمح وفي ذكراي تنشغل اليدان
انه الصبح يرينا شعير الارقدي حالة القيام
والهاجس يصافحني بسبب بهجة البيادر ومهارات العتاب
وجرحي معلّق فيه النجاد واحمرار الياسمين
وينطلق الغيط منشدا في حواف الوديان يقول
ثلث بنيات ع البيدر بكربيلن
يا هل ترى اتزوجن ولا كما هن
يلعن أبو إلي ضرب حمده وبكاها
وينجرف الضباب ببطء ويردف الموال
يحباب ياحباب كيف الحال وكيف انتو
وحنا على حالنا ما اتغير إلا انتو
وياك وياك يلي اربيت أنا وياك
وان عشنا عشنا سوا وان مت أنا وياك
وانعطف السيل يردد لحن التلاقي وأصوات الحماة
من مصر يا زين مكتوبك لفى عنا
كل ما قرينا كن هالت مدامعنا
يا خاتمي إلي وقع في البير الو رنة
ولي سمع رنتو موصول للجنة
وينطلق القلب بين يديك يعيش في روضات النعيم
عباءتك تتسمر في اللمعان والتجسيد تقول
الوردة تشبه الكردينيا والصفصاف واللبلاب
نهداها بلا حفيف تعانقاني في ضجيج الشرفات
اللوف يرصّعُ ملابسها بالمرجان تنير دروبنا الركبتان

تتعرى مع تنهدات البربين وتسدل شعرها الأخاذ
تنشد في حضرة الجالسين من الأحناف ....
ونالجاور البربين ع آلمي –عمن دومو منبوتو على آلمي
صديق ما يوافيني وأنا حي-اشبدي منو عند هيلات التراب
تبكي حليمة يئن قلبها تستجيب لها الرنة في حواف الوديان
ينكمش الجلّنار نار في الصدى حياء الغزالي والعنّاب
أبنية مخرمة من جذور الموازي والخرطماني والبلوط
كانت شبابيكها مشرعة تستظل الحندقوق يغازلها القريص
لم أخن أحدا تقول –عندما وشوشني العكوب والخرفيش
والمرار لم يبق شيئا من آلام المفاصل والقدود
والحرارة التي لا تطاق تديم حلاوة الموز في أريحا العنود
الملوخية صداقاتها مع الزواحف والقوارض من بني الإنسان
اكلها يتحمل وزرها ولاينظر في وجهها الصموت
عليك أن تدرك أن برتقال أبي صرّة يستذاق في الخريف
والبوملي واليوسف أفندي واليافي الوسيم
كل الأيام تسمعنا لحن التلاقي مع الدوالي والياسمين
مع كل الصباحات أحبو على صدرها وتكركر في فمي الحلمات
في جانب السور مطروحة أهدابنا تنمو في ثناياها عرى الجليل
تركض كالنهر إلى عمقي ونذوب في قاعدة المعشوقين
نزرع أجسادنا في حضرتك أقحوان التذكار وصوفية العشاق
وتتناسل من دمنا تراتيل الغضب دروعا للشموس
وما زال اشتياقي ينتظر قدومها مثلما انتظر يوسف يعقوب
وأنا لقعد ع تل الحزن وابنين
وبلكي اظعونهم عني أمرين
وأنا لحزن حزن يعقوب ع ابنين
على يوسف شرب كاس العمى
والقلب لم يزل يعشق بريق شفتيها في كل الدورات
ونا لكتب سلامي ابشطر مكتوب
على إلي اصد يرها نيشان مكتوب
وأنا لدري نصيبي وين مكتوب
قبل ممشيت ودعت الحباب
السّلّيقة والمدادية والهالوك والزنبق البري والبوصلي
تحرمنا لذعة الفول والبازيلاء والقطاني في الأوان
العليق يعلمنا العناق مع تربة الأوطان وهمهمات الكواعب في الخدور

النارنج والذّبح والخص البري والزعرور
تعانق بوابات هذا الكون والفرار إلى النسيان
تنهداتها تحملني من نهر إلى نهر في عرى التكوين
علوم الهدهد ومضان الغراب والنملة المحتسبة من الجيوش
السلاحف القراقع والحرباة المتلونة حسب مكامن الدهاء
تهز الحمص والماش في الصارود والحسناوات تهزج للحصاد
بوصلة الدم تبني أشرعة البطم والخروب في البطاح
الخافور يباري الطاعنين في أزمات السنين
ينزفون ملامح الخوخ والمشمش والدراق ومباسم الزيتون
النسمات ساكنة في عصائر المشمش والخروش
يغبطها الفوم والبصل والفقوس والخيار والقرع الأصفر والقثاء
حجارة الطابون من رضف الوادي المنسرب مع الراجلين
أكلات المسخن والمناسف والكرشات
والمجدرة والرقاق والعصيدة والسميدة والعدس الصحيح
تجمع الرعايا من اقصى الشمال إلى دالفات الجنوب
الثريد يتلألأبين الأصابع في البحار المسكونة في الأمعاء
الملاحم والأساطير تديم زخمها دير قلعا والعلالي وزنعر الأخاذ
تحت هطول الجراد يتسامى السماق مع جرحه في الوجوه
الشبوط والبنيات يلعبون وتجسد الدولمة المحبة والفسنجون
التشريب مع الهبيط والدليمية والمفتول
المغربية يقابلها الكسكس في حوض المتوسط وأطلس الجبارين
من الرمال يصنع السّويد سكونه الشمعي
والقبائل الأزلية تتماهى في صورة القنديل وصفرة زهره الأخاذ
وتبذر الحبائل في وجوهنا نفور الغبار
ويهبط العاشق مدندنا يباهي العالم بالكاعب الحسناء
كحيل العين قاعد فاي عرقان
وخدو من لهيب الشوب عرقان
تعجب ياقليبي نهود كيف خلقان
شبه بيض مدحرج ع الوطى
وما زال يعانق الخيال المخنوق ويكتب الرحيل في الشموس
الهضاب وبطون الأودية في حضرة الوجوه
مهما خانتنا الجهات فالسدرة تظلنا حتى الممات
ونا يا قاطع السدرة عصاتي لا تعريها
فيها الخوخ والرمان امعلق في دواليها

فيها آيات العبد الله يا قاري كلام الله
خروبة المسبح وزيتونة العرايس والمحورة ولحظات الغياب
تنتشلنا من خبطة الغولة ودعسة بنت النبي والخواص
وتغني في جرسها المفتون الأكحل امهود ع العين بيلقط باذنجان
البحار مسكونة بلوعة الرياح وما تجلبه بطون الأودية والتربة الحمراء
فوق الشفاه يرسم المصيص صهوتنا في البلور
العناصر تسقط الوجوه والموت الأبدي وصدى اهتزازات النهدين
الأعضاء الموتورة يبتنيها الفاقوع والسموة والصولجان
النيص والقنفذ يعريان التكة في مدار السحالي والعصيات
الزلابية والعوامة لقمة القاضي مع زنود الست تختصر المسافات
أعواد الكبريت ونباشات الأسنان تستبق الحواس
في الغرفة الجسد لاتكترث به اليدان
حواسي بجرسها الصامت تهرول إلى بحيرات السكون وتماهيها البحار
نزلت ع البحر تغسل عفاها
مريض البحر من موجو عفاها
ولمن موجتو دخلت عفاها
تفت في البحر أصبح شراب
الحروف تعري الأسماء وتحتمي بليلها العميق
شارات التذكار تشعل مصابيح الزرق في توتة الأدوار
شمسك بين نهديها اراها لم تعد كما كانت الأشياء
بلاطات الهواء وزنعر وبنات بر تقيم عسجدا في الوجدان
الصنوبر في الشعاب قادم من تلاويح البكاء
عراق افريج يقود الهموم يحتمي في ظلال أرز الأعماق
لم تعد الأشياء كما تركتموها يقول الكرمل في النهود
علك الماء والجرجير والكامر والمملوح
يسدلون ماتبقى من ذكريات على جذور سفرجلة التنوين
صابونة الراعي أو بخور مريم تتعامد مع رقة الأسود
لحاء الرمان والقرطم والزيزفون وهبات أرز الباسلين
آه يا زهر الرمان حامل ع أمه غير أوان
العصفر والبسبس ونيلة الملابس لم تزل تعمد المناديل
النيلين يظلل البياض والفوة وقبعات الجدران
في بلادنا لا حظوة للحناء وانما المصريون هم المنشدون
ياظريف الطول يابو الميجنة
يا بو العيون السود شو بحبك أنا

ياهذه وعدونا بالورد وأعطونا الدفلى وهموم القلوب
وكرمال الورد يشرب العليق فكنت شفافة في العناق
لم يغلق احد الأبواب خلفنا فأحضاننا تبكي من اللقاء
ونا لصيح صوت يسمعوني
وبلك أحباب قلبي يسمعوني
سالت الدار وين أمي وأبوي
قلولي سافروا ومحدا عاد
واد الزهور وماء الورد ومربى الورد وقلة الملفوف
ألوانها تستمد نسائم الإبطين وان لم تعانق في الغياب
الحلبة ومفاتن الحندقوق والبابونج والحبة حلوة واليانسون
تقتفي السواقي وتقيم الظلال في فراشات الحبور
نيران المواقد تعرفنا بالصندل وسياقات الغلايين
القرنفل معروف ونبيذ العنب والمتشرد الوطواط
الصعتر والزعيتمان يقيمان في الشيخ مونس والمغار
الشيح يعبر الدفء في مفاصلي تعانقني الرئام
الصبير والصبر الخضاري والتين الشوكي والجميز
الرند والجمار يتقدمها النفير في زنقات غزة وتنهدات الجليل
معروف للعيان أن السرّيس ماجن متشرد في الآفاق
ع العشب اليابس رمى جكيت ع العشب اليابس
محدا لابس مثلك حبيبي محدا لابس
على السرّيس رمى جكيت على السرّيس
قص الشليش علمني حبيبي قص الشليش
الجوافة تذرع الشوارع تمقت بيع الكلمات
هاهي هواجس السبانخ تتفتح بالشفرات مع المعدنوس
الكراث يقرع الطبول يرقص الصدور في أعشاش الأطفال
السلق يزين الاش معلنا ادعاء المعارف والقهقهات
الكاكا يهزج للجرذان تقضم الأسوار في قصر الأمير
البئر الأولى والمعلقات تتبارى مع سعفات النخيل
البندورة في مواضع القوة لا مساومة عندها ولا حتى الخنوع
الزعفران يعبر الدفء في الفروة الزاهية حول جيدها الأخاذ
نبضي يتقدمني كنفير العنبر الفواح في الاهوار وميسان
الشلب في الاهوار يصد الجراد الزاحف من الشرق والشمال
رياحي تثير الزوابع أعشاش السنام والجلخ الوسيم
الفيجم يسحب بسط النهارات من تحت جداتنا المقعدات

النحل يبجل الملكات ويمقت الروائح الكريهة في النفوس
وتغنيني عاشقا أحب اللهو وأبدد التثاؤب في النهار
يطولك طول عود الزين لو مال
وشعرك حير الجدال لو مال
طلبنا النسب من أبوك ما رضي لا بفضة ولا مال
واشو الراي عندك والجواب
فتردفه بنبرات العشق تقول....
يطولك طول عود الزيزواني
قمح شامي خال من الزوان
تعال حط أختك لخوي بدالي
هذا الراي عندي والجواب
ومن رموش العين سوف أخيط لك منديلا وضياء
أنثى الأرانب تلعب البليياردو مع الجري ومعشوقات الفصيل
عنب الثعلب يعطي الدوران في الحياة زهرها ارجواني فتان
أثمارها تشبه التفاح ومذاق الحلمات لايدانيه مذاق أو ضياء
التفاحات الإثيوبية تحاصر الأغوار وتستحم في الخردل من الآهات
أذن الدب أزهارها صفراء والسيقان مزغبة نجلاء
تهاجم العين يجليها الدوار وتستقر في مسامعي غنجات التلاقي في العراء
التوت الأحمر يبزغ من الادلاب النامية من الزيتون
الفلاحات تطعم زيوتها بمذاقات العناب وتهزج لفرحهن الفيافي والطيور
وانجلت الغيوم لاهثة نحو بصل العنصل أزهاره بيضاء
بندورة الحيات توارت في الوقت ونفلة القطن كؤؤس الزهور
حيثما يبكي العاشقون تدغدغ مشاعرهم رجل الحمامة في المشاع
والصيادون في القصبات مع جذور البقدونس وقصب الربيع
اللفت والنعناع البري يجعلون بائع الورد في حال الهيام
يا طير طاير يا طير طاير
البيضة والسمرا صارن ضراير
قولوا للسمرا اتقص الجدايل
وقولوا للبيضة اتكحل العيونا
أغصان الخروع تعانق الشمس وتبدي أسفها للظلال
على سلم الوقت يقضم البعير الشبرق وعيناه صوب السلال تحوم
زهوره وردية تحيطها بلاسم الأشواك
كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ   والماء فوق ظهورها محمول
انتظرتك طويلا يا شوق فالصبير راوي الرعشة في الاقنان

ويبكي الحاضرون باسم الجليلة ودم كليب المسال
زهوره لؤلؤية تتشابه مع رجلي العنكبوت
عشبة الدبوة تسافر وتدمن الروح في الأحلام
ذاب الثلج والأضراس مشتاقة إلى الخشخاش
اعرني عينيك حتى اريك قرينك الدريس يتبختر في الحقول
رحيق مطبق الطير يشبه عسلة النحل في المدار
الشامة يزيل أدرانها حليب البوم وفي الحقول تتسع المسامات
وفسحة الغريزة تنهض قرنبيط الدجاج والطواويس تتهادى في المكان
دمها ثقيل و بذرة الكتان تحافظ على جماليات التربة والعنان
مشدودة إلى جني شمسة الراهب ونار الوجاق تجمع الشمل والخلان
يغازلها الكمون وإبرة العجوز تدغدغ اللمسات الحسان
العاشقة لايفتك بها شعر العجائز والحناء
وتدندن خلسة مع تنهدات الكرمل تقول ....
مرين ثلاث عا تلّ أبيب
وقلت يا شمس يا شمس غيب
حتى أدور على حبيبي
حبيبي وينو حبيب وينو
حبيبي نايم وامشقشق عينو
لشق البحر ونام في احضينو
وخلي الأرض تلعب دلعونا
على دلعونا على دلعونا
راحوا الحبايب ما ودعونا
وظلنا لم يزل يحبو في الدار يرضع الأزهار
القرطم يرمق الغياب ويرينا تزاحمه مع الأجساد
البسوم لا يعرف الاحزان فالشفاه العاشقات تقبل وجنتيه
الخيالات تشعل في القلب نداء الاشتعال
يا الخلة ضياؤك يبزغ من رؤوسك البيضاء
الخبيزة تدعو السراة إلى عشائها السري
تغني ترتجل العتابا تبتسم لها العذراوات تسويها باقات وانسام
اللفيتة ترتسم قمرا على ثغرها يجليها الليمون والزيتون
لسان الثور يعانق الأميرات ويستميل الشعراء
الجرموع مر المذاق يطرد الطباخون سمه بالماء الحار في التكرار
الصليبيات والحويرة يرمقن الغياب بالابتسامات
الحميض بنهم البرق يلسع اللسان ويدر اللعاب في الخيال

السنينة والركيبة تنتشل الوجوه من هاوية المدار
ياعرق الحميضة جبنة طرية تروي شهوة الفتيان
الرهبان يعجبون بالخرفيش والعلك والقرصعني والمرار
شقرق ليش منقارك محنا
نصارى ما ايسمو غير حنا
صدق من قال صدر البيض جنة
وصدر السمر نار املهلبا
الصحراء تنتشي بالعيون الزرق والسواق وعلك الماء
الدغيمس يزهو أرجوانيا ينمو في شقوق الصخور ترسمه مواويل الشفاه
رغم النهارات واللذة المشتهاة ليس كثير الشيوع في الحقول والأسواق
التمير الغرنوقي زهوره وردية أوراقه خضراء
الشحيم لم تلده الشجيرات في آذار يكتمل النضوج
ثومة العرب –الكراث والبلابوس ينتشيان من ظمأ الرمال
الفار ابيطلع حردان يتلهى في البقول البرية وجذور الأدغال
الفول البري سكبك أبو لبن والجلاثون والحية الرقطاء
في مطارح العبور يترنح البقول بأغصانه في حافة الحضور
البلح وحليب النوق وأرغفة البدوي السمراء
تجعل الروح قريبة وان بعدت المسافات
تخرجنا إلى نمانم الحياة تحتمي بخيالاتها النجوم
البلان والنتش والصوفان يا ريتها ما بانت في الأجفان
غريبة مسميات عين البس وحتمية خبز العذراء
سراج الغولة والخلة والعين الفوارة وسداسيات الآفاق
على ملاعب راسي أشرقت مبكرة أهدت الأنوثة للرهبان
الزوفا وحبق الشيوخ تتهادى التوراة في وصفها الأخاذ
الريحان وزعتر الحمير يقفان طويلا عند شذاها السحري
يا ناس الله اكبر كل يوم صورة ابتتصور
حاملة ميرمية وقاعدة ادور زعتر
يا ناس الله اكبر ضحك عليهم كيسنجر
كيسنجر ضحك عليهم يا ناس الله اكبر
الجعدة تطارد الحمى من مفاصل الأطفال والشيوخ
الشيح يجعل مراكبنا الخوف والماء ينشر أحزانه في الدنان
الحمحم يقيم على حواف الميادين والندا خنجر في القانون
حوض البحر الميت مرتع شجرة الزقوم وموج الجفون
يا سكرة المنحنى الفضي رجل الحمام ناعمة زرقاء

القرطم يتقمص سحر الغبار ويتثاءب من وجل الزعفران
الغالقة تندمل منها الجروح ويبنى الشاطئ حوافه في العنان
لسان الكلب عشبة الجروح تصنع فيزيائية القروح
الكزبرة والرشاد والكمون الأبيض تفيد لسعة الثعبان
الندى خنجر والنويعمة تجعل الجلود رطبة في الخلاص
الزنبق البري والبوصلي يعانقان المألوف عصافير السماء
اللوز والجوز والطقطاق و الحموي والنواعير تديم الدفع في حديثة وحماه
ينادمون دمي في لجة اغتراب الينابيع واهتزازات النهدين
استرق السمع لأهزوجة ترددها نسوة تختال الكبرياء
(من صحن المشمش لا تكبش دور على اللوزية)
البابونج يراقب الأطفال يسترسلون في قضم أظافرهم وهم يعبرون الطرقات
تتهاوى الأجساد متعبة إن لم يكن دواؤها زيتون بري
القزحة الحبة السوداء تتسع منها شرايين النماء وترتق عيون القلوب
الباختة ضد ا لزكام تتسارع محدودية عرجاء
المصطقرا ينقي الفم من البصر الشاخص في التكرار
القريش من العناصر الأربعين التي تغذي المرضعات
القضاب أحيانا يسبح يولي منه السل تاركا للمكان
تتوهج الخشمي تقوم اللثة والأسنان
الروماتيزم يوقع معاهدة الجلاء مذعورا من السذاب
القتحة والحنظل والمروحة والغار تديم مفعول السذاب
السماق ناكله مع الخضار نزين به صحون الحمص والكباب
الجلود تغير عريها أمامه يعانقها البيلسان والجلناروالرمان في شهر بان
المتنان صديق قروح الحمير راجلة تحمل الأطفال في الدروب
يتذوقون الموز أبو نملة يهزجون مصفقين
(حموي يامشمش بلدي يا مشمش ريحاوي يا موز خليلي ياعن)
اللوز والجوزو الخابور يديمون المحبة مع الرطوبة في الصخور
منفية على صدري آهاتها كنكهة الأرض التي تنادي الرجوع
القريص يحارب النقرص وألم النسا والمفاصل في الدوام
الفلفل الأسود والأبيض والأحمر والقرنفل والبهار الحلو
تطرد الارياح من القولون والأمعاء
الزنجبيل يهيم في حضنها البري ويشعرنا بالدفء والامتنان
الخلنجان في فجر التعبد يديم العلاقة مع الأمعاء
جوزة الطيب احتكرها الهولنديون لوحدهم يجلها المعممون في المزاد
المحلب وزهرة القرفة وخميرة العطار

يدندن لحن التلاقي خلف غيمات الأمطار
قهقهات ثمر السكر ورأسها الماسي مجلوة البياض
الفجل والقطوني والبطيخ الأصفر وبامية أكرا اعز من التفاح والد راق
يا نوح ردد ما تردده النساء المتعبات
يا جارنا يا بو علي
والغول بطحن معي
والليل معنا طويل
والحب معنا قليل
ون خلص الحب بوكلك
البرتقال المر وقامات النساء زبد في جيب البحار
الباذنجان ينادم البصل في المحاشي ورقة ألازمان
الأرز في لبنان مقدس والجليليون يعدونه رمز الجلال
العبهر اسديتها طويلة صفراء
يقدسها الفارس واللصوص والرهبان
الميس أرضعت ملوك الأرض والأمهات المقهورات
تنشد العذارى (ياتيس ماتشوف الميس)
الرمان تعشقه الأرواح يعانقه الدوم في الأوان
الأثل تعانقه القرّاسة وتفاح المجانين أزهاره سوداء
وننشد في أسربنا مع التمايل وآلأكف..
هي لله يا بو شوشة يابو حلاوة منفوشة
عبروا الفقرا ع الجامع لقيو الحصيرة مفروشة
قالوا انو إلي فارشها قالوا البنت المقصوفة
قالوا بيش أنغطيها قالوا بورقة اللوفة
واللوفة مع الراعي والراعي بدو البيضة
والبيضة مع آلجاجة والجاجة بدها العلفة
والعلفة في العلية والعلية آمسكرة
والمفتاح مع بو صلاح راح اجبلنا تفاح
لهل البنات الملاح شمومات وهشومات وسرورات
والأجمل منهن كرومات ست البنات الحلوات...
أتراها تذكرني بالمواقد تجلو ليلة الأحزان
وردة أريحا كف العذراء تتوجها النائحات في المدارات
عشبة القرقعة تلمع راحتيها في الآهات والموروث
وردة البراءة تغازلها الحساسين عشاقها البناة
تلوح بالغمام وأذيالها الصفراء قدمت للحقول تاج الأكوان

الحمحم وشجرة الرب يباركها الهنود
تصفق في سماء الشرق مرابع البذار
يتعانق الشهران شباط وآذار
تنهمر الأمطار في المستقرضات يبزغ فجر التفتح والنصوع
تتدحرج حجارة الصوان وملح الغولة والحور الطنان
شباط يشد العزيمة يغازل آذار
آذار أبو الزلازل والامطارثلاثة منك وأربعة مني
لبيك يا ابن عم تنخلي دولاب العجوز افني
تنهمر الامطارمغردة شباط الخباط بشبط وبخبط وريحة الصيف فيه
أفيق ورنين شبقها يعانق الدنان
في وحدتي كتبت ما سبق من مشاهد الفارس الأخير
بعايرني البخيل ابكثر مالو
بخيل وراح للظلام مالو
يا ويل إلي انتخا وارجال مالو
بيموت وابخاطروا كيد العدا
أدخلني حبك الحياة راهنتني بالحبق البنات
اسمعي جيدا وقولي يقينك للممات
أنت خلاصي في الحياة إلى الحياة
بنت البخيل لا توخذها ابمالك
بيجي ابنها صقيع الذقن مخول
بنت الكريم خذها بكل مالك
بيع الرزق واظعن في هواها
وغبار طلع الرخاء يسوق آهاتنا ويعود الليل منشدا في الآفاق
حدرجي بدرجي نصب الدرجي
اطلعت ازور ع الزر زور
لقفت الكف طلع يلتف
حيا الله بنات الشام
فيها الخوخ والرمان
فيها زاعقة العصفور
طلع الباشا بلا طنطور
طنطوروحايل مايل
حايل عا بنت الكردي
بنت الكردي اطلع وانزل
حامله إبريق الفضة

يافضة يا فضتنا
جيبي الكوز الجرتنا
والخابور يزدان برائحة الإبطين يعمد ابن طريف عنوان الجدال
سلام على زكريا المعمدان والعذراء مريم ويوسف النجار
والمسيح المعمد بماء المغطس والزيتون الضارب الجذور في الأعماق
سعفات عمتنا تظلنا من يثرب منابت العز حتى أعالي الفرات
والعذراء مع الزهراء تعيدان عشبة الخلود إلى انكيدو ربيب القفار
وجلجامش لم يزل يحادث النفس في فلسفات التكوين
يطعم الكمة لجنود الفتح ويزرع المقيس
ويروي الأرض سيحا في بطاح دجلة ومرج ابن عامر والهضاب
ويديم حالات الدفع في المذراة والدقران والكربال والصارود
ولوح الدراس والرداد والحياصة والغربال
والزنجيل والقلادة والميزان والنير والسفاطة والشاعوب
البذار والعفير بعد الوفرة وسقوط الأمطار
هما السعادة والخلاص من الفاقة والحرمان
تنهمر الأمطار وتحياالارض من بعد الموات
وفي ساعد سعود بدور المية في العود
والمربعنية من بردها تثير التساؤل ويتحلق القوم حول الوجاق
والشفتان المعطرتان ترينا الألوان فيما يهزجه الصغار
حدرا بدرا قلي سيدي عد العشرة
من ثلاث لثلاث طوق امطوق في البستان
نط الدم اطلع يا آفلان
ويأتي الربيع اكتمال المدار ويبزغ للناس قوس قزح
وكلما مرت خمسان الحياة هيا القلب أهازيج المرح
خميس البيض خميس الحليب خميس النبات خميس البشر
وسعد الذابح يدعو إلى ارتحال الينابيع وبيع الشذا
وسعد السعود ينير الدروب وسعد الخبايا يخيف البشر
كل ما مضى يذكرنا ان ليس لأسفارنا موعد
رام الله المبتلة برذاذ الهموم نجعلها في دنا العسجد نرجسا
البيرة تئن صوت العتابا يدوي الصدى في شارع السعدون
جبل لبنان يا عالي جبلنا
ومن دم العدى جبلناك جبلنا
عليم الله لو انركب المدفع على جبلنا
واندیرو تلا إسرائيل لنجعلها خراب

بلا فجر ولا مساء يتثاءب الاس وجلا من احتدامات الصراع
السماء سقف السجن للزيتون النبالي والرومي والظنون
الحب زهرة الشفقة يجعلني أتقطع بين الدهر واشتعال المشيب
ياشفير هاويتي يقول الفلاحون إن لم ينزل القطر في نيسان
(المطرة في نيسان ابتسوى العدة والفدان)
يا ناقف الحنظل تحطمت دنيانا وتحدق بآهاتنا السيول والبركان
الجمال لاشئ يوقفه لا آهات السجن ولا حتى النسيان
آلاء غرفتي المعلقة مطوقة بأمواج الأحلام
كان الفجر والعمر سهمين يحميان نشوة الأمجاد وزهرة البيلسان
من كتفي وعيني يخرج السهم خلخالا تقراونه في نهايات المطاف
كيف اصف الدنيا في مواسم الزيتون والقمر يضلل الباحثين عن فحوى الظلام
الآلاء تتقدمني نشرب الليل صدى سقوط الامتنان
تراني بعيدا قريبا اردد أحلام التمني ويندمل جرحها في الغياب
من أي العينين تخرج ذكريات فلفلة الجامع وسدرة الساحة والزنبق البري
قلبي ويداها الناعمتان يحرسان أنغام الطفولة من شعيرة الحياة
بكرة العيد وبنعيد ابنذبح بقرة اسعيد
اسعيد مالوا بقرة ابنذبح بنتو ها الشقرا
والشقرا ما فيها دم ابنذبح بنتو وبنت العم
لا تبحثوا عني فنهار الزيت مثل ما أصبحت أمسيت
أي مدار يستوعب هذه الروح وفقوس الحمير يطارد اليرقان
حماقة تخونني نفسي وأنا محتاج أن لا يشابهني الكلام
مشاهد للظل بوصلة حركتنا وها انذا أجرب الظلال
قلب صمتهاعيون اليوم تسلم اليدين لصوت يركض تحت الأجفان
الفليفلة الملونة تسرق عرق الخارجين من البستان
البطاطة الحلوة واللفت والشمندروالملفوف الأحمر والعنكبوت الحفار
والخلند تحت ردم الغرفة يدير ساحة الرقص عزفا بالجذور
إن كان لا بد فمضغة مما تتخايله الأسماك والحيتان البيضاء
الخروب البري ملاذا للصمل والدبابير الحمراء
قرون الخروب الخضراء تختر لنا الحليب مقيقة ناصعة بيضاء
وبعد النضوج نصنع الخبيصة ورب الخروب يشرب مثلجا في الأفراح
يباهي عرق السوس وقصب السكر والتمر هندي يعشقه الصائمون
الدهين والقيمة والاش الأخاذ يعشقها الناس في النجف الشريف
الورد الماوي عدو لدود لحالات الخوف والرعشة الرعناء
العطارون في السوق الكبير والشورجة يقبنونه بالمثقال

الكاهن وطيور الكرم يتماثلون حيث الرحى تهزج للحبوب والحبور
أصوات الشنانير تلجم الحواجز تستظل شمعة مصارع الأجداد
السريس يفتش عن اللوعات في اتجاهات المتعبين
المزاريب في الكوانين ترجع الحلم في أول ناي شكا للصفصاف
اليرغول والشبابة يفتشان عن وميض وجهك الأخاذ
أي صندلينه أي منضلينة
أي تون وايدس أكرس واسيدس
نسيو مضى عقل ما فش
أنا بي بي بو ما قل ادبو
أنا بي شيخة مصاري مفش
رحت عند النش قلتل اصرفل القرش
قلي مفيش قلتل الله يلعنك هل الوش
إعادة التطبيع وجه حضاري في لعبة طبيعة الافكاروالسموم
المسحال والطورية والقزمة المتلألئة الأطراف
تصيح في السادة الزعماء نريد قبور الأجداد والأخوة من الخلان
يرد الساسة هولاكو وسماسرة مجلس الأمن راحو دون عنوان
في مجاهل الطرقات تجلد الذوات وتسرع الست المستحية إلى الانكفاء
وتحت جفون الأرض العطشى تعود مرفرفة إلينا شجرة المساء
ثمار الموعد المضروب مع سرب اطل من أبو عصب واللقلاق
وأصوات رصاصات العدو تجعل جفون الماء عائدة إليك
سئ الأخلاق من لا يتنسم انبعاثات عولمة الزمان
وولادة حالات التحكم لانبعاث البدايات من جديد
من ضجة النهاروتثنيات الهواء نزين الأسنان والشفاه
الشتاء معنا وصفد دمعة الأصدقاء تهرول لبسمتها الحقول
أنا غريب يا صفد وأنت غريبة في ممالك الضياع والأهواء
والآلاء سقف القصب يعانقه ورد الساعة يظلل الجدار
الرند والضباب يركضان إلى زاوية الخطوب
دعونا نكون الزارعين لآمال الألوان
الشاعر يتسمر راسما لحظات التودد ومزاريب المياه
أخاصم الظلال والصواريخ لا تبطل متعة الشتاء
أعيش الكآبة في جامعة تقتل فينا شهوة التفاح
يا أيها العاري إلا من حفنة الاعتراف الأخير
كل النساء ثواكل إن بقيت على عرشك المتهاوي تصيح
أتعلق بالهواء النازل من بين الشفتين ونمضي في الانتظار

المطبق البري وغلفة المرآة أعلقها أوسمة الأرض والفريك
قايم الرايات يتدرج على الغربال يزين صدور النساء
من لمعان الشعر تنهم البحيرات رؤى الفؤاد ولم تزل تقول
طلت من باب الشرق تلمع بديها
سيجارة ياخلق تلمع بديها
عليم الله لو مست الميت بديها
لتحييه لو كان ثلثين تراب
في بيتنا الوجاق يبدد عتمة الشتاء وقسوة العم مع اجتماع المحبين
لون الشتاء داكن كمهجة صاحب خوابي القمح والشعير
يجاورها صندوقة القطين والجرمعون في أكياس الخيش حزين
الجد يضع قامات القرع الأصفر على حواف التبن في القطع الجليس
وأنا مثل عصفور معدم اليدين في العراء أتنسم الباسمات
أخاطب البسيسة وحبات القطين في اشتهاء الروح لرشات البذار
النار في الوجاق قبرة تجعل الروزنة صديقة العصافير والطيور
والجد يردد الألحان يبدد شعورنا بالبرد والزمهرير
الدموع وحيدة رغم القهقهات ترسم آفاق الطريق
القصول ودق التبن والجفت تغدو وقودا لساسات الطابون
وها انذا اصنع معاطفنا لأعمارنا الصامتة وزخات المربعنية الغبوق
مع الفجر تتحرك الدواب تغادرنا إلى حيث الحقول والنجم الساجد للرحمن
ولدينا عواطف حب تديم حلاوة الميجنا والموال
يا ميجنا يا ميجنا يا ميجنا
زهر البنفسج ياربيع بلادنا
زحلق حبيبي ع البلاط اوقعت أنا
الله معاهم وين مراحوا أحبابنا
وهالوك الدار يكرع جهدنا حتى ثمالات التكوين
ونحن نصطاد أحلاما وفراشات الحقول
ونفسي تسير وتعثرات الفجر باحثة عن مقعدها المفتون بأقوال الرفاق
يتكلمون جيدا عن العيس التي يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول
كل شئ في كوكبنا الصغير مذكرات امرأة وغانية هاربة بملابس الوقور
تين الفيل وزهرة القرفة والمحلب تجعل الإنسان يتحلل من صرخات الآلام
جالس أمام التلفاز استذكر الحرمل والعاقول والانناس والارتشوك
رسمها محاط بصدى الرصاصات الباحثة عن البلوط والاسكي دنيا والجميز
في أمكنة شاردة تتبختر الكستناء مرحبة بالشتاء
بثقة الغائب اسيرفي دروب يظللها الابانوس وومضات العيون

في الأفق المبهم تحمل كتات القمح بعد جمع الاغمار
الأيدي تفضي بنا إلى حلل القمح والشيالين
والجمال في غموض الموج تئن تحت السنابل والشباك
وأنا احمل إثم البدايات تسائلني السنابل =هل ماء النهر هو النهر=
جسدي مجرى الأيام ورؤوس الكلمات تدغدغ الفقمات والدلافين على الصخور
وانداحت رذاذات الندى الكحلي عن سفير السنابل وغناء المحار
فتشني اللصوص طويلا يبحثون عن الدواة وصدى الكلمات في الألحان
تحتار الفلاحات بما يردده الصبية في أيام الشتاء
تدخل إشعاعات الجرس إلى محافظ الصدور
يطير الرجل المفتون في الزهو يقلب الألوان
الجهر نتعلمه من الصبايا يقاذفنا الزمان في جزيرة الجمال
ننشد بلا فلسفة مع المنشدين
جماعة نزلوا البرية في فصل الشتوية
تكة واتنعشر حرذون معاهم ست اعصية
لقاهم تكة وصرصور في أيام القمحنطور
والشخدم لابس طنطور والبدلة عسكرية
زعلوا كل الحرذين على لبس الجرابين
والتكة بدها فساتين ع النمرة ألف ومية
فرفور ابيع تنانير ع قرة ازغيرة مكوية
اج الشخدم محامي على التكة مترامي
وقت شلحها الكلسون وراحوا ع الفرمشية
اج الصرصور محامي بتنعشر مجيدية
الجوائز تمنح للأفكار السيئة وللجناة على الحدود
وتبتسم النسوة والتيار يشتري أنشودتهن السرية في جزائر الثبات
ويجلس صاحبي مأخوذا برحيق الفرايك والقراقيش
واراه يولد ثانية مع كل لقمة يبللها من ضرع الشاة
والبكارى تهيم تحت الدوالي تخاطب الليل في جل الأوقات
=قل سرك اوابقه في جوفك أيها الليل و تقذفنا الذكريات
جرار الزيت المرصوصة تزحف على الأرض برجها السرطان
العسلية تقول للشربة والإبريق سأصبح ملكة والأرض من ملك اليمين
القبعة والتقريص يتنادمان الأحلام على وشك الانقصاف
الوتر المشدود يتسلق ضحكاتنا يعلق القلوب على صواني القش والدندنات
يا قاطع الطريق دع ممرا آمنا لرحيلنا فالجونة تنادم رمل البحر والظلال
يا أيها الواردون اشتال القرنفل عبير جناك يلازمه أصوات القديسين

عرصات الديار وزنار بير الحمام ترتقي الليل بعد أزمنة الخفوت
تهرول ليعود البهاء إلى عين الزرقاء وصريدا وعين أبي ناظم والمزراب
الفوارة زابقت عمري المتداول بين رجال سوفا وعين الشجاع واللطرون
يا انخطاف شبابي وهو يظلل قصر أم راشد ويغور في التأجيل
طلت من باب الشرق زرعية ربي ما خلق مثل عزية
طلت من باب الشرق عصفورة الله ما خلق مثل ها الصورة
طلت من باب الشرق يمامة ربي يحميها تصلحل حالي
صفد يختصب بمداها حبي وكفي تورد البر من صنعاء
الآلاء والرئام جمالهن يزنبق الخطايا ومن شفاهن يطهر الصليب
يا طريق الصباقيم على الذنوب حتى وصلت فهاجرت مني الذنوب
رضابك صفد يحرقني اشتياقا وشوقك أمضى من اللهيب
يا ظلال المحيا فاض النور منك فكنت في الأحشاء نارا ونور
يا ....تنز رعين في فمي فأرى زعانف الروح في المرآة تضيئ
ومع قامتك يرتجف الليل ومن عينيك تنساب عيون الأرض في التقويم
وتسير القوافل من خلفك فتنحسر أمواج البحر على بلورك الأخاذ
لجج الوديان وفجر الملائكة وأبواق الهتاف السبعة وأعراق الصليب
كحمام نائم في راحتيك وأسراب النخيل أطبقت أجفانها تطفئ الحريق
والفقع يلتصق بقرامي الزيتون وأطراف السناسل والحوا كير
والصبية البلهاء يقتلون أنفسهم بمذاقات المشروم المسموم
يا قرون الغزالات أحار عندما لا أراكن واقفات كالسنديان في السفوح
وها انذا اطلب الماء ولا أجد إلا انصهار الروح في مزاريب القدود
انتهت الصاعقة ولم تمت الجميزات بأرض غزة ومفارق النهود
وعندما تحملينني تترك الأرض الفستق يعانق شفاه العذارى والعيون
أيها العاشق الذي صدئت قدماه من أتلام الحرث وحرق الشبرق والهبوب
العرابيد وعيون الصل والحية الرقطاء والنشاب تعاضدهم في هدم مانبتنيه
القرقود والشوكة وبيض العشر والعشرة الأواخر والنمورة والمعمول
السبلي والكمندار والضرم نباتات تزهر فرحا غذاء للنحل والملكات
الينبوت يزهر أربعين يوما في حضرة الملكات وتل الصافي مكامن العشاق
الزحيف ينير دروب النحل في تموز الثورة والفاقوع في الأكوان
الدبس والملبن والخاثر والقمر دين تديم علاقة الود مع شهر الصيام
الحندقوق يسود المكان والمسك والكعكبان والروائح الأخاذة تهزج للزمان
=شامم ريحة حندقوق/أخذت عقلي هاالي فوق /سوق إجمالك خي سوق
وتأتي حروف العمر الملونة المأخوذة بالتنويعات وآهات النساء
ويبزغ الجسد المتوهج بالق الأنوثة يرسمه البباي والتمر حنة العنود

والفلاحون على أحواض الانهاريرددون لحن التلاقي وشهد الجرار
ينشدون =هر السمسم عا الصندوق /بالله اشوي تاانذوق/اطلع برى يلي فوق
ونراها تتراقص أوتارها السوداء في حلقات الندامة وبيع توابل القدود
خرزة البير تصبح ناي الخطوات وعمامة الطيور وضحكات مقصورة العزاء
ونكان راعي غنم شبب تغنيلك وان كان راعي حمير يا علة تجيلك
العاري من الأشياء يشكل ضباب الخطوات ورسن الذهاب في القيود
رقيمات السكون ينحني لها المزمار يساوي ظلها على سرير الكلمات
قلبي جمرات بملقط حاجبيها تصنعني كعكة وقت الشفاء
وهاأنذا امضي المشوار واسمح لك بالأناقة وقت الاعتراف
أدغال الشعيرات في جسدك الأخاذ تنحني لمستفقع الصفصاف والنقيق
أغصان اللبيد ترفع الأكف إلى الله تشكو الطرق الالتفافية وقسوة المستوطنات
المقر مرهف الحواس يمد الانسان بالماء وقت الحرمان
والبطاطة تشكل حلقة الوقت ومنبعا للجمال والخوف الجميل
الجهير ينشر أحزان الماء ويكون الرعاة عصافير الاحتمالات في المجهول
ويصيح ظهر القف أنا العاشق لزرقة السماء والمؤنس لعصافير المساء
يا طيور طايرة يا وحوش سايرة
سلموا ع أمي وأبوي قولوا اجبينه راعية
ترعى غنم ترعى سخول اتقيل جنب الزاوية
الندى خنجر غدا يطعننا به البغاة والمنتفعون
نشوة الماء واللحظات السريعة من المنحنى واغتراب الينابيع
تجوهر حافة الصحو من أيامنا والندى الكحلي يقول
يا اغزيل شرق شرقا راكب ع مهرة زرقا
يا اغزيل من مت أنا مين اقلي مرحبا
اغزيل على التين بوكل ما بطعمين
يا شكال المرتينة قوصل هل الارنبا
البقلولة أو البستوكة كما يسميها الموصليون الرافضون كسهم الرحيل
تقول آه ما أجمل صوت الحب المنبعث من عيون عصافير الثلوج
خربشات يتولاها الأطفال تصبح خلجانا ملؤها الحياة
وهاأنذا تقيم في حضرتي مراهقات في مراجيح الدفوف
والقداح يقيم مع أحزانه بعد انتفاء حاجته عند المدخنين والطهاة
القوص ليس عطرا من زمان القبح يفقد حياته بالشاعوب
البطم تلتذبه اليرقات عبقه ينتشر في الآفاق يظلل المكان
السنديان يحمني من الداء وانفض من النوم علني اتقي الكابوس
غدا الوطن ينثر لحمي بعدما احتميت به من منافي الظنون

آه على زمن يسند الإنسان نفسه بوهج القبارة وحرارة الشيد
بي حنين للأرض البوار عندما تبتل أول مرة بزخات الخريف
العصافير لا أرها في بيوت يبتنيها المقعدون هما وضلال
للصبح بشارات والعناقيد تقول لربيع العمر تعال ....
صفد تجعلني أعاني الموت ويردني الله إلى ارض تهبني الحياة
من زهو الزهر ينبت نيسان مفاتن القدود والتلال
إن لي أطفالا وحبا ولي في حبهم خمر وزاد
وأتوسد الحاضر عائدا من شهوة إلى شهوة نشوتها الجراح
سبت النور اوخميس البيض تلون فيه الأمهات والجدات أنواع البيوض
مع عيد القيامة تخضر الحواكيروتنتشر في مهادها الورود والزهور
تتعامد الألوان وتتباهى الصفرة والزرقة والحنون البنفسجي والد حنون
شقائق النعمان تنبثق جراحها ضاحكة من تربة حمراء
ترفع رؤوسها والندى يتلالاعلى أوراقها وعشقها يمتد إلى الصخور والصبار
السنابل الخضراء تعانق الشقائق مرة أخرى
وأجنحة العصافير تظلها الهابطة من السماء
وعشيات الربيع تحتضن فضاءاتها اللازوردية رفوف السنونو عاشقة المكان
نظراتنا وشهقاتنا تتداخل مع صخب السنونوة مرة أخرى عابرة الزمان
الطيور المهاجرة تستحم بالرذاذ ودفء شعاع الشمس في بهجة الربيع
تتداخل رفوف العصافير مع أجساد الغيوم يداعبها الهواء
وما زال الرحيل طويلا يردد ما تتباهى به النساء
على دلعونة على دلعونة راحوا الحبايب ما ودعونا
على دلعونة يا امدلعنية وصاروا يطلبوا في البنت مية
ولك يا عزب وامنلك مية دورع الأرمل وارحل من هونا
سماؤنا الزرقاء ترينا تقلبات حالات الغيوم من الخراف والحيتان والأقواس
البدر يجعل الغيوم مصطفة منداحة في أبهى حالات الجمال
وترينا القطن والعهن المنفوش تتألق من مباسمها الأصداف
حالات الصيف ترينا الطائرات الورقية تتماها بألوان الزخارف والنياشين
النقيفة تجعل العصافير حذرة لا تستقر في المكان
الدوري بجسده الصغير يحتل ثقوب الجدران والمزا ريب يبني الأعشاش
وديوك السمن تغري نثاياهابما تجود الأرض ويكشفه المنقار
والسودة يسهل قنصها بعد امتلاء بطنها يتغشاها النعاس
السنونوة والاسكنضاضة تدور في مقطورات تسف أسطح البيوت
الحسون والزرعية والتويني يستطاب لحمها مع امتدادات الربيع
الحداة والبوعصب واللقالق والنوارس البيضاء تزورنا مع تداخلات الربيع

الزريق والهدهد والرقطي وحمام الجوختي واعبدوا ربكم لا تبرح العمران
الشنانير تتهادى بجمالها تغبطها النساء المتبرجات الجميلات
ونحن نغني خلسة وللبنات جهرة بلا رياء اوجفاء
=مرت ما مرت مرت ما مرت مثل الشنارة ياعالم فرت
وخبطت ع العشبة والعشبة اخضرت مطرح خبطتها نبتت حنونة
وسيقان الفاقوع تحتضن الديدان وأنواع اليرقات
وباليرقات نستجلب الطيور خدعة بعد وضعها طعوما في الافخاخ
وفي الصباحات الباكرة نعاود الكرة نضع الديدان سليمة في علب الكبريت
وتتردد في نفسي بقايا الناي تخرج من ثقوبه أجمل الألحان
التواريخ عند الرعاة والملاك تجعل الزراع يتجذرون في التربة مع الزمان
الرهبان يحاكون جمال الطبيعة في مزركشات الثياب
وسنت هيلانة تعشق عيونها النرجس وخفقات قلبها حمرة شقائق النعمان
والعازفون يوحدون زيهم والمنشدون في حضرة الرهبان
وقساوسة العرب يعيدون مجد الضاد في تراتيل الآحاد والأعياد
ألليلك يثير مفاتن الصبايا وشفير الفجر يعانقها وردة في الأصيل
الخمري يقطع على مفاتن الروح ويفتح الحدود مع سراح الليل
شفتاها تعشقها لسعة الرارنج وحموضة اللون في السماق
من طيات ثوبها المشقوق تعبرني وتنغلق الشفاه على النهود
النعيم لا سكر فيه إن لم تتغشاني شهوة وجهك في العراء
أنا الطفل الذي يعتقد أن في عذوبتك سر الإله
وأنا لاعن عني فوق عني
على إلي ابعد المحبوب عني
كذب من قال خالي مثل عمي
مثل الأب ما ايدلل حدا
بيننا حرية العناق تحيل أصابعك نجوما في السماء
كبتك يهندمني نياشين العيون تتداخل في ستائر التكوين
يريدونني ظلالا وأنت تريديني رمزا فريدا في ثنائيات التجريد
تنسابين شعورا بين أضلعي وأرسمك عصفورا من الحزن بريء
لولا هيامي فيك لكنت بقيت آهات غامضة التكوين
الشعر بعفويته جائع لمفرداتي تمر على شفتيك وقت الطباق
تصيرين له الوزن والحلم والشغاف والخيال والعاطفة سروجا للنماء
عفويتك تدير في الرأس نشوة النهايات وخلاخيل العذاب
أنا من ضحايا من يجلدون الروح ويعبثون بالرند حتى اليباب
تقدمت مفتوحة الحواس واشرب ليلك احملك في صدى الذكريات والصدود

يتحقق في لقائنا استعادة الروح وتستلقي في جروحي الجروح
وابوصافي يزرع المحبة في درب الدموع من داره إلى الخواص المنيع
تهزج الصخور فرحا مستبشرة بمقدمه الأخاذ
الصبية في الحواري يتهامسون يرددون قصيدة يلحنها الشعار في الأعراس
والشعيبي على ربابته يصدح ويغني المواويل والأشعار
اسمعوا يا أمارة قصيدة كلها أخبارا عن بو صافي والحمارة
أبو صافي لقد سهر حتى يسرح ع الظهر
احمارتو ابتقهر قهر ما أشقى منها حمارا
والصبح شد عليها واتبرم حواليها
معرفش يركب عليها ضاع العمرياخسارة
أشقى منها مريناش ابنها أورش الجحاش
الله يستر الله يعين قد ضعن مني الستين
أنا من التعب صرت أنين ونادي يا أهل الحارة
أبو صافي نزل ع الخلة ولحقو يابو قدلة
وأنا عزمي منحل خريتني السيجارة
يومنا مضى بلا حساب وتأخرنا عن الشباب
شعر راسي لقد شاب وقد أصبحت محتارا
الخرج والميات عن ظهرها واقعات
والخرج مني انغدا وانحرمت من الغدا
قصدي مايدري حدا ولا أبوح بسرارة
أبو لطفي لقاهن قالوا الناس خباهن
لو بدو اخبيهن لكان في الأرض يخفيهن
أبو صافي لا تحتارا بو لطفي جمل هدارا
أبو صافي الله ايخليك بو لطفي أحسن صديق
ابينفعك في أيام الضيق لو خصمك عليك ثارا
يتلبسني الفرح عندما تعبرينني في الخيال
وآهاتي مسرجة تتعمد بزيت الإيمان
حلاوة مبسمها الأخاذ تذيب لسعة السجان
من رموش عيون الاس أخيط لها ثوب التلاقي والعناق
تعيدين الحياة في اليدين وعناوين التراب
وترتفع اكف الأرض تنفجرين منها اذرع النماء
وارها مفتوحة الصدر إلى السماء تقاسمني حلاوة النسيان
هبي نزرع سحبا في النفوس ترشرش مباسمها الأوطان
يبزغ منها نغم وعسجد واليراع يحرسنا بلا انقطاع

وهمسات الواردات على الفوارة والمزراب تعبق في المكان
يانجمة الصبح فوق الشام عليت   الاجواد أخذت والأنذال خليت
نذر علي إن عادوا أحبابي لبيتي   لأضوي المشاعل واحني العتاب
عندها تتململ الشّفاه وتكون الرؤى في مسيرة مولانا الموال
ومطرة المساطيح تعيد النشوة في هيامات نفوس المتعبين
ورجع الصّدى يكون بين مبازل الروح وعقبات اليقين
وتباشير آلأماني يأتي بها سنا شيرينها وحشرجات النجوم
وتعيش أناملها المبيتلة بالرمل على نهدات الربيع والموال
ووقع سكون القوافي يردده الزعرور حتى لحظات همس الحنين

نادي ساري الديك
رام الله-فلسطين
٢٠٠٩/١٠/٢٤

مهداة لها، وهي بين نشوة الحياة، ويقظة قيثارة القلوب، تبذر الحرف ينبهر الياقوت

المؤلف:

ولد الدكتور نادي ساري الديك ببلدة كفر الديك، فلسطين عام ١٩٦١م. أنهى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارس البلدة، وحصل على الثانوية العامة من ثانوية الاخاء ببغداد، التحق بالجامعة المستنصرية عام ١٩٨١م، تخرج في قسم اللغة العربية عام ١٩٨٥م، حصل على الماجستير عام ١٩٨٨م، والدكتوراه من الجامعة المستنصرية عام ١٩٩٥م. التحق ليعمل في التدريس بجامعة الكوفة عام ١٩٨٨م، حتى نهاية عام ١٩٩٥م، وعمل في كلية العلوم التربوية - اناث منذ العام ١٩٩٥م حتى نهاية العام الداسي ٢٠٠٠م، ويعمل الآن بجامعة القدس المفتوحة - فرع رام الله والبيرة التعليمي.

أصدر عدة مؤلفات منها:

١- محمود درويش الشعر والقضية - دراسة في شعر درويش ١٩٧٢-١٩٨٦.
٢- ما قالته غزة للبحر - دراسة نقديةفي تجربة معين بسيسو الشعرية.
٣- الهجرة والانبعاث في شعر صخر أبي نزار، دراسة في ملكوت الشعر والشاعر.
٤- علامات متجددة في الرواية الفلسطينية - الجزء الأول.
٥- أدب الأطفال من السومريين حتى القرن العشرين، دراسة نقدية تطبيقية.
٦- أثر الفكر في الشعر الفاطمي.
٧- جراحات حيفا عذابات الكرمل - دراسة في شعر محمود درويش - ١٩٦٠-١٩٧١م.
٨- رائحة التراب (دراسات في الأدب والنقد) .
٩- نقوش بغدادية (نصوص إبداعية) .
١٠- أخوة التراب وهموم المكان (دراسات تأصيلية نقدية في الشعر الفلسطيني المعاصر) .
١١- الشهد واليعسوب قراءة تحليلية في الشعر الفلسطيني المعاصر من عام ١٩٩٣-٢٠٠٥م.
١٢- دراسات تأصيلية في الرواية الفلسطينية مع مؤلفين فلسطينيين آخرين، اصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
١٣- ظلال القيقب ومباسم الزيزروق، قراءات تحليلية في نصوص روائية فلسطينية.
١٤- مختارات من الأغاني الشعبية الفلسطينية (جمع وتقديم)

مؤلفات تحت الطبع:

١- وجع التراب ومحنة الإنسان: حياتي في بلاد الرافدين.
٢- نشوة البذار /نصوص إبداعية.
٣- ثورة في ظلالها القمر – نصوص إبداعية.
٤- صويحباتي في مدارج الروح /نصوص إبداعية.
٥- الرحى وندا الياسمين /قراءات نقدية في نصوص أدبية إبداعية /شعرية ونثرية.
٦- زهرة القبار وتنهدات الروح في المرآة /نصوص إبداعية.